دولة الكويت

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية — مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

نشرة الطب الإسلامي

العدد الرابع

الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الرابع عن :

الطب الإسلامي

٣

الإسلام والطب الوقائي

اشراف وتقديم :

سعادة الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي

وزير الصحة العامة

ورئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

المحرر :

دكتور علي السيف

دكتور احمد رجائي الجندي

دكتور عبد الستار أبو غدة

الكويت :

٥ ~ ٩ ربيع الاول ١٤٠٧ هـ

٩ ~ ١٣ نوفمبر ١٩٨٦ م

دولة الكويت

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية — مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

نشرة الطب الإسلامي

العدد الرابع

الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الرابع عن :

الطب الإسلامي

٣

الإسلام والطب الوقائي

اشراف وتقديم :

سعادة الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي

وزير الصحة العامة

ورئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

المحرر :

دكتور علي السيف

دكتور احمد رجائي الجندي

دكتور عبد الستار أبو غدة

الكويت :

٥ ~ ٩ ربيع الاول ١٤٠٧ هـ

٩ ~ ١٣ نوفمبر ١٩٨٦ م

المجموعة الرابعة
(من القسم الأول)

«الإسلام والطب الوقائي»

المحاضرة الرئيسية

مدخل وقائي للطب الوقائي

الأستاذ الدكتور / حسان حتحوت

مدخل وقائي للطب الوقائي

الأستاذ الدكتور حسان حتحوت

كلية الطب ـ جامعة الكويت

يروى أن قرية كانت تقع على قمة جبل . . . فكان الأطفال إن اندحرجوا في لعبهم سقط منهم من سقط إلى الهاوية فمات . وتكررت هذه الحوادث حتى اقترح كبير من أعيانها أن يبنوا مستشفى عند قاعدة الجبل ليستقبل الحوادث عند وصولها ويتولاها بالعلاج الناجز . وفعلوا ولكن سرعان ما استبان لهم أن عدد الضحايا لم يقل . . فاقترح كبير آخر أن يقام المستشفى في منتصف الطريق على منحدر الجبل ، فلعل في الإمكان كذلك التقاط بعض من هؤلاء الصبية في طريقهم إلى الهاوية . ولكن تبين أن الفكرة الثانية لم تكن خيرا من الأولى ، وهنا بدؤوا يعبرون مسامعهم للحكيم الذي كان ولم يزل يحاول إقناعهم أن الحل السوي ليس مستشفى يقام في وسط المنحدر أو في القاع ، وإنما يكمن الحل في إقامة سياج حول نطاق القرية في مكانها أعلى الجبل يحول بين الصبية وبين السقوط من بادىء الأمر . وتعلمو آخر الأمر أن التوقي من المشاكل لا يكون بملاقاتها عند خواتيمها أو في منتصف الطريق إليها ، وأن الطب الوقائي الصحيح يمنع الحوادث بمنع أسبابها وعند أصولها ، وأن وسائل الطب الوقائي ليست بالضرورة وسائل طبية كإقامة المستشفيات بل قد تكون خارج الدائرة التقليدية للطب .

بهذه المقدمة نود أن ننظر إلى الخريطة المرضية لعالمنا المعاصر . ولو فعلنا لخطفت أبصارنا طوائف وأنماط من الأمراض تفاقمت كماً حتى بلغت درجة الأوبئة ، واستشرت خطرا حتى إنها لتستأدي ضريبة فادحة من الأنفس والأموال والثمرات . ورغم أن الطب استطاع التعرف على أسبابها المباشرة المكروبية أو السمية أو المناعية أو غيرها ، وراح يجري وراءها لاهثاً بالفكسينات والأدوية والمضادات الحيوية ، فما زادت نارها إلا اشتعالا ، ولا خطرها إلا استفحالا ، وانتفخت بضحاياها إحصاءات الموت والمرض والبؤس ، ذلك بأن الطب حاول أن يلقاها كسكان القرية عند آخر الطريق أو في منتصفه . . ولو صادرها عند المنبع لكان بحق طبا وقائياً ، فإنما يقضي على الأفعى بضربها على رأسها لا بقطع الذيل أو قريب منه ، وبصادر الشر بسد الذرائع لا بملاحقة الآثار . . يوم تقتصر ذخيرتنا على قذائف اللقاحات والمضادات والصيدلانيات نرمي بها المكروبات والفيروسات وسائر المسببات فليس بمستغرب أن يتسع الخرق رغم الرتق ، وأن تتلو انتصاراتنا في المختبر هزائمنا في المجتمع ، وأن تزيد الأدوية ذراعا فتزيد الأمراض باعا . فقد أهملنا الأصل ولاحقنا العرض ، وغم علينا أن الخلل الأصيل كان خللا في القيم ، وأن السبب الأساسي كان خارج الخلية

الطبية ، وأنه لم يجد سبيله إلى الفتك بأجسام الناس إلا بعد أن غير عليهم المناخ الأخلاقي والأدبي والسلوكي الذي يضبطهم ، وإلى ذلك كان ينبغي أن يوجه الطب الوقائي أنظاره ويستثمر فعالياته .

ونريد أن ندلل كيف أن خللا في قيمة قد يفضي إلى خلل في الصحة . فنضرب مثالا بانصراف الناس في كثير من أنحاء العالم عن تلك القيمة الأساسية الأولى وهي الإيمان بالله الخالق سبحانه وتعالى . فإن كتلا وقطاعات ضخمة من البشر قد اعتنقت الإلحاد الجلي أو الخفي . فأما الإلحاد الجلي فإنكار وجود الله بالمرة وقد قامت به وله في عالمنا المعاصر فلسفات ودول ، وأما الإلحاد الخفي الذي لفّ سواد الناس في الغرب فأن تعترف بالله إلها ولكن مع تجريده من خصائص الألوهية ، فهو عندهم قد يزار في المعبد كل أسبوع مرة أو أكثر ولكن ليس له أن يتدخل في حياتنا الشخصية أو الأخلاقية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الدولية .

والإلحاد باطل . والله حق . ولو نظرت إلى القاموس فوجدت الكلمات فيه مرصوصة حسب الترتيب الأبجدي لحروفها ، ثم حاول امرؤ أن يقنعك أن ذلك كان على أثر انفجار حدث في المطبعة تطايرت من جرائه الحروف في عنان الجو فلما سقطت وجدت هكذا مرتبة أبجديا كما هي في القاموس ، لما قبل أي عقل فيه مسكة من علم أو ذكاء أن يأخذ بهذه الدعوة أو يسيغ هذا التفسير . فإن الصنعة دليل على الصانع ، والخلق دليل على الخالق ، وكل ما في الكون من ذرته إلى مجرته ومن شجره إلى بشره أعوص وأدق وأبلغ من ترتيب الكلمات في القاموس . وإنما كان الإلحاد رد فعل كاره تجاه مكروه ، ومبغض إزاء مبغوض والكره عمى ، والبغض سكر . . فإن كنيسة العصور الوسطى لما أحكمت قبضتها على فكر الإنسان وأخذت بخناق العلم والعلماء ففريقا كذبوا وفريقا يقتلون أو يحرقون ، قد أوغرت عليها الصدور والعقول ، ولما كانت الكنسية تفعل ذلك بدعوى الدين فقد نقموا عليها وعلى الدين جميعا ، وأدى الكبت إلى الانفجار ، والفورة والثورة لم يفرق الغرب بين الله وبين الكنيسة التي نصبت نفسها متحدثا رسميا باسمه ، وجعلوا تحررهم من الكنيسة تحررا من الله كذلك . وعلى الرغم من أن الدرس العملي الأول الذي تعلمت فيه أوربا ألا وصاية لفكر على فكر ، وألا حجر على طلب العلم بل هو فريضة ومطلب من المهد إلى اللحد وألا كهنوت يقطع الطريق بين الله وعباده كان هو لقاء أوربا بالإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية التي بزغت شمسها على العالم ، إلا أنها كانت أشد انشغالا بالقيد الذي تحطمه والصرح الذي تهدمه والشبح الذي تحجمه ، وما لم يعصم الله فإن سواد الناس أسرع استجابة لدواعي الكره لا الحب وإن كان الحب أسمى وأنبل ، وبنت أوربا نهضتها وحضارتها للأسف الشديد في وعاء الإلحاد . ولم يكن الإلحاد في السابق ولا في اللاحق أمرا سلبيا يتمثل في فرد انطفأ إيمانه بالله . ولكنه كان ولايزال فلسفة إيجابية ودعوة ناشطة وقائمة تريد أن تمد رواقها على سائر البشر . ولها دعاتها الناشطون في الشرق والغرب . ولها أساليبها المبتكرة . . فقد كان ولايزال لله أعداء على مدى التاريخ والتاريخ المعاصر من عصورهم الزاهرة . ومن أنشطتهم في العصر الحديث مذهبهم المسمى « فضيلة بلا دين » الذي انتشر بين الحربين العالميتين ، والذي يدعو إلى اتباع الفضائل لذاتها وبغير إثارة الحساسيات الدينية ، فإذا انسلخ الناس من الالتزام بالدين حكما وفيصلا كان من السهل بعد ذلك إعادة النظر في مقومات الفضيلة ذاتها محتكمين إلى العقل البشري وحده ، خاصة بعد أن فتن الناس بما بلغه من اختراعات وكشوف ، وكانت النتيجة الحتمية أن تغيرت المفاهيم وأن ما كان بالأمس رذيلة أصبح اليوم مباحا بل من ضروب الفضيلة . من

أصدق آثار الكاتب دستور يفسكي قوله « إذا غاب الله فكل شيء جائز » . وهذا بالضبط ما كان . وسأضرب مثلا بقيمة دخيلة حلت محل قيمة أصيلة لتشهدوا التسلسل الذي أفضى إلى مشاكل صحية ينوء بها الطب العلاجي ويحار في أمرها الطب الوقائي على السواء :

قضت العدالة والمساواة في المفهوم الجديد أن حق المرأة في التمتع بالجنس لا ينبغي أن يقل عن حق الرجل فيه . ولكنها بدلا من أن تدعو الجنسين إلى العفة حكمت لهما بالإباحة وجعلت الممارسة الحرة للجنس أي بغير قيد الزواج استجابة مشروعة لهاتف طبيعي فهو من حقوق الإنسان رجلا وامرأة . . وأصبح ذلك عرفا مقبولا بل مندوبا تزال من طريقه العقبات وتنشأ عليه الناشئة ولكيلا تكون المرأة دون الرجل مهددة في ذلك بحمل غير مرغوب فقد استنبطت وسائل منع الحمل على صعيد واسع ووضعت في متناول السيدات والآنسات المراهقات . . . فماذا كانت النتيجة ؟ وفي الحقل الطبي بالذات ؟ .

عندما اكتشفت المضادات الحيوية في الأربعينات ظنت المهنة الطبية أنها قضت على الأمراض الجنسية قضاء مبرما . وخاب الأمل . فقد احتالت جراثيم هذه الأمراض على الأدوية الجديدة صنفا صنفا وجيلا جيلا بما اكتسبته من مناعات منها ، وأصبحت أدويتنا حتى اليوم تلاحق تلك الأمراض كما يجري الظمآن وراء السراب . ولم تعد الأمراض الجنسية إلى عهدها فقط ، ولكنها انتشرت انتشار الوباء مما دعا السلطات الصحية أن تطلب إعلان حالة الطوارىء القومية في أكثر البلاد تقدما ، وساءت صورة اليوم عن صورة أمس . . . لم تصبح المشكلة موسما تنقل العدوى إلى زبائن معدودين ، بل مشكلة الشباب والصبايا في مقتبل العمر وفي كافة مرافق الحياة بدءاً بالمدرسة والمراهقين والمراهقات إلى كافة شرائح المجتمع .

ومن واقع إحصائية حديثة ، فإن الجديد السنوي من حالات الأمراض الجنسية بالولايات المتحدة يبلغ . .

٣ ـ ١٠	مليونا من حالات الكلاميديا
٢	مليونا من حالات السيلان .
١	مليونا من حالات الثآليل الجنسية .
٠,٢ ـ ٠,٥	مليونا من حالات الهربس
٩٠.٠٠٠	من حالات الزهري .

ثم ظهر كذلك نوع جديد من سرطان عنق الرحم يشكل مشكلة شبابية وصلته السببية ثابتة بالإباحة الجنسية من سن صغيرة ومع عشراء متعددين .

ورغم الإغداق على المراهقات بوسائل منع الحمل فإن نسبة الحمل غير المرغوب أي السفاح زادت وما قلت لأن الاستهتار أصبح سمة وشيمة ، ويسجل كل عام من كل ألف فتاة دون العشرين العدد التالي من الأحمال :

في الولايات المتحدة ١٠ منها خمس يلجأن للإجهاض .

في بريطانيا	٤,٥	منها ١,٧٥ يلجأن للإجهاض
في كندا	٤,٥	منها ١,٨ يلجأن للإجهاض
في فرنسا	٤,٥	منها ١,٨ يلجأن للإجهاض
في السويد	٣,٥	منها ٢,١ يلجأن للإجهاض .

والمصير من بعد أن ٨٠ بالمائة من هؤلاء البنات يهجرن الدراسة فمن تزوجن طلقت ستون بالمائة منهن في خمس سنوات ، وحملت أربعون بالمائة منهن ثانية حملا بغير زواج خلال عامين . وبين عامي ١٩٦٠ ـ ١٩٧٨ زادت نسبة الإصابة بالسيلان في المراهقات ٢١٦٪ . . . ولم تكن السيدات المتزوجات بأسعد حالا ، فقد وهى رباط الأسرة بعد أن تخلخل الإخلاص الزوجي ، وبعد أن هيأ العلم والعرف أن الجنس لا يستدعي الزواج بل أن الإنجاب لا يستدعي الزواج كذلك ، وأصبح كل زواجين بأمريكا يقابلهما طلاق . ويا ليت المرأة إذن حصلت على العدالة والمساواة في خاتمة المطاف . . . وكيف تكون العلاقة بين اثنين عادلة إن لم تتوزع نتائجها عليهما بالتساوي ؟ لقد ظلمت المرأة . . . فإن عوشرت وهجرت فهي الخاسرة . أو حملت فأجهضت فهي الخاسرة ، أو وضعت طفلا بلا أب فهي الخاسرة ، أو تنازلت عن ضناها للتبني فهي الخاسرة .

ويصحو الغرب اليوم على زلزال طبي عنيف ومخيف هو مرض الإيدز أو زوال المناعة كانت لَبِنته الأولى حين اعترفوا باللوطية علاقة مشروعة ، وأفسحوا لها حتى أصبحت قوة سياسة هادرة وكفّت جمعية الأطباء النفسيين عن اعتبارها شذوذا وانكسرت أمامها كثير من الكنائس ففي إحدى كبريات المدن أربع كنائس للوطيين ، بل إن قسيسا في إذاعة تلفزيونية قال إنه يعتقد أن المسيح يبارك كل علاقة جنسية بناءة مرضية حتى لو كانت لوطية . واليوم تنفتح عيون العالم الأول المتقدم المتحضر على وباء من صفاته أنه قاتل دائما ، قابل للانتشار يتضاعف انتشارا مرة كل تسعة أشهر ، ولا يرجى له في المستقبل المنظور دواء ولا وقاء .

كل ذلك خيط في نسيج . أما بقية الخيوط فوباء إجهاض ووباء مخدرات ووباء خمر ووباء انتحار ووباء أمراض نفسية ووباء عنف وجريمة ووباء بيوت مهدومة ونفوس كسيرة وأنانية تعبد حواسها ولذاتها وحرية تتمرد على الله وعلى الأواصر وعلى القيم الأصيلة . . ووصل الإنسان إلى القمر ولكنه ما وصل إلى طمأنينة نفسه ولا وصل إلى قلب أخيه الإنسان .

فمن أين يبدأ الطب الوقائي إن أراد أن يبني حول البشر سياجا ويجعل بينهم وبين تلك البلايا سدا . لقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام : « ما حلت الفاحشة بقوم فأذاعوا بها إلا ابتلاهم الله بأمراض لم يعرفها أسلافهم » . . . والإشارة بينة إلى أن موضع الطب الوقائي مركوز في القيم والأخلاق لا في الأدوية والعقاقير . ولا يخالجني ريب في أن الله سبحانه وتعالى قد وضع مسئولية ذلك على عواتقنا نحن المسلمين . فأطباء الغرب محكومون بقاعدتهم التي تحرم على الطبيب أن يَعِظ . وكنائس الغرب سادرة في التهاون مع رغبات الجماهير ولو حرفت النصوص والتعاليم . وديمقراطية الغرب تأخذ بأغلبية الأصوات لا بصوت الله .

أما نحن المسلمين فهذا قرآننا محفوظ لم يتغير منه حرف ، وسنة نبينا نهج واضح ونور مبين ، وتراثنا الفقهي معين لا ينضب وشباب يتجدد . . وأعرافنا الطبية لا تحبسنا في دائرة الطب التقليدية بل هو في الإسلام طب أرواح وطب أبدان . وليست مسئوليتنا أن نحصن أمتنا فحسب فقد انكمش العالم حتى أصبح كالسفينة التي حدث عنها النبي إن أحدث ركاب أسفلها ثقبا فيه لم ينج ركاب أعلاها من الغرق . إن الذي يحمل المصباح مسئول عمن يتخبط في الظلام وربنا يخاطبنا ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ﴾ [المائدة / ١٥] إن العطش اللاهب في خلق الغرب لا رِيَّ له إلا في قيمنا إن العالم الأول في قمة العلم والتقنية والثروة المادية يعاني إفلاسا روحيا لن تنجيه منه إلا خزائننا . إن عقدة النقص التي نحسها إزاء الشرق أو الغرب لا تتجاوز المادة ، ولو استنبطنا عملة للسعادة والسكينة والطمأنينة لوجدنا العالم من حولنا فقيرا فقيرا . العالم محتاج أن نؤدي فيه دورنا ونفي له بأمانة الله علينا . شرط أن نكون جديرين برسالتنا ، محققين لظن الإسلام بنا . . فلن ينشر الهدى إلا المهتدون . والدعوات الكبيرة لا ينهض بها إلا الأكابر .

فهل نعود دعام الأرض نعصمها ... من أن تضل ونُعلي الحق ميزانا
إن الوقاء وإكسير الحياة لنا ... من صنعة الله تنزيلا وفرقانا
لكم بلينا بأرزاء مدمرة ... فلم يكن في سوى الإيمان منجانا
ولم نروض عباب الحادثات لنا ... إلا وبالله مجرينا ومرسانا

رئيس الجلسة : الدكتور عبد العزيز كامل

شكرا للأستاذ الدكتور / حسان حتحوت هكذا نرى جميعا أن الإسلام لنا منار وصراط وإرادة واعية ومنهج للحياة عسى أن نكون من المهتدين إن شاء الله أدعو أولا الدكتور ابراهيم الصياد والدكتور / محمد كامل أحمد والدكتور / يحيى ناصر خواجي إلى التفضل للجلوس على المنصة وليتفضل الأستاذ الدكتور / ابراهيم الصياد بعرض بحثه النظرية الطبية الإسلامية للوقاية والعلاج في الوقت المحدد له وهو خمس عشرة دقيقة.

المجموعة الخامسة
(من القسم الأول)
الاسلام والطب الوقائي

أبحاث قبلت للإلقاء أثناء المؤتمر

١ ــ «النظرية الطبية الإسلامية في الوقاية والعلاج»
الدكتور / إبراهيم الصياد

٢ ــ «الإسلام والوقاية من الأمراض»
الدكتور / محمد كامل أحمد

٣ ــ «المفهوم الوقائي والمفهوم العلاجي في الطب النبوي»
الأستاذ / معالي عبدالحميد حمودة

٤ ــ «تقليم الأظفار على ضوء التراث النبوي والعلوم الطبية»
الدكتور / يحيى ناصر خواجي

المناقشات

النظرية الطبية الإسلامية في الوقاية والعلاج

للدكتور ابراهيم الصياد
الكويت

مقدمـــــه :

يضع الإسلام تصورا عاما للحياة ينبثق من العقيدة ويهتدي بهداها . وفي ضوء هذا التصور يقدم منهجاً متميزاً للاقتصاد الإسلامي والطب الإسلامي وكافة أنشطة الحياة . فالإسلام عند المسلم عقيدة روحية ومذهبية اجتماعية ومنهاج يسلكه في أمور دينه ودنياه . وسوف نعرض خصائص التصور الإسلامي ثم نوضح انعكاساته على النظرية الطبية في الإسلام .

يقوم التصور الإسلامي على المبادىء التالية :-

١ ــ توحيد الخالق .
٢ ــ وحدة المخلوقات .
٣ ــ وحدة الأمة .
٤ ــ الاستخلاف في الأرض .

أولاً ـ توحيد الخالـــق

توحيد الألوهية معناه رد السلطان إلى الله سبحانه وتعالى سواء في ضمير الفرد أو في واقع الحياة . ويقدر ما تستقر في النفس عقيدة التوحيد بقدر ما يتخلص الإنسان من العبودية لغير الله . وهذا من مقومات الكرامة الإنسانية . والعباد كلهم سواسية أمام الله وليست هناك حاجة إلى وسيط بين العبد وربه . وعلى أساس الإيمان بالله الواحد تلتقي عقول المسلمين وقلوبهم على عبادة الله وتتضافر جهودهم على إقامة شريعته .

ثانيا ـ وحدة المخلوقـــات

الكون كله مخلوق لله تعالى ومن حكمته أنه خلق الكائنات متصلة مترابطة ، فكل كائن وجوده مرهون بوجود غيره

بدءا من الذرة ومكوناتها وانتهاء بالكائنات الحية الراقية . وقد أودع الله تعالى في الكون المادي قوانين أزلية تحكم حركته وهذه من سنن الله في خلقه . وأمرنا باستخدام العقل والحواس في البحث عنها وفهمها . وبقدر ما يدرك الإنسان نواميس الكون بقدر ما يتمكن من استخدامها في عمارة الأرض . وكلما أدرك تناسق هذه القوانين زاد إيمانه بوحدة المخلوقات وعظمة الخالق الواحد .

ثالثا ـ وحدة الأمـــة

رسالة الحق إلى المخلوقات واحدة منذ عهد آدم . والخلق الذين آمنوا بالله وأحسنوا العمل يكونون على دين واحد يمتد عبر الرسالات السماوية . يقول تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذين أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ (الشورى ١٣) . فوحدة الأمة نتيجة حتمية لطبيعة الإسلام الذي قام على توحيد الخالق ووحدة الكون والدين . وتتجلى وحدة الأمة في وحدة المنهج الذي هو شريعة الله المنزلة ، ووحدة القيم والمعايير التي لا تحتمل النسبية ولا تخضع للأهواء . فالعدل مثلا ينبع من عقيدة التوحيد لأن الكل سواء في العبودية لله تعالى فتنطبق عليهم نفس القيم والقوانين . وينبع من وحدة الأمة شعور الانتماء والالتزام بقوانين المجتمع بوازع من الضمير لا خوفاً من القانون . وهذا الانتماء قد يصل إلى حد التطوع للتضحية بالنفس في الجهاد أو بتجنب الهجرة من موطن الوباء حفاظا على سلامة باقي أجزاء الوطن من أن ينتشر فيها الوباء بين المسلمين .

رابعاً ـ الاستخلاف في الأرض

قال تعالى : ﴿ **واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ (البقرة : ٣٠) .

أناب الله الإنسان في الأرض للتصرف فيها وعمارتها . والاستخلاف ينبع من مبدأ وحدانية الخالق فهو المالك الواهب الذي منح الإنسان أمانة الخلافة في الأرض . ورزقه من العقل والإرادة ما يمكنه من عمارتها واستغلال خيراتها . وللخلافة ضوابط ، فالمالك الحقيقي هو الله تعالى والإنسان موكل في التصرف حسب ما أمره الله به وبما شرعه له وليس كما يريد الإنسان لنفسه . ولكي يحقق الإنسان وظيفته كخليفة في الأرض لابد أن يستوفي ثلاثة عناصر وهي :ـ

١ ــ إعمار الأرض وإقامة الحضارة .
٢ ــ حماية هذه الحضارة من الإفساد .
٣ ــ إصلاح ما قد يطرأ عليها من فساد .

١ ــ إعمار الأرض وإقامة الحضارة :

الحكمة من خلق الإنسان وعلة وجوده هي ابتلاؤه باستخلافه في الأرض لعمارتها وحمايتها وإصلاحها . يقول تعالى :

﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ (هود : ٦١) .

﴿ **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور** » (الملك : ٢) .

فإذا قام الإنسان بمهمة الخلافة متبعا شرعة الله فذلك لب العبادة . وكل طاقات الإنسان وقدراته يجب أن يسخرها لأداء هذه الأمانة . روى الترمذي عن أبي برزة نضلة بن عبيد الله الأسلمي عن النبي ﷺ قال :

« لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه » .

فالجسد والمال والعلم والوقت هي وسائل الإنسان لعمارة الأرض ، وسوف يحاسب يوم القيامة على ما قدمه في حدود طاقته .

وعمارة الأرض مهمة ربانية يؤديها الإنسان ولا يشترط أن يكون هو المستفيد منها . روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له بها صدقة » .

والمحصلة النهائية للنشاط الفردي المتعاون على الخير هي إقامة مجتمع متقدم متحضر . وغياب التحضر والعمران يعني أن المجتمع لا يقوم بواجب الخلافة .

٢ ـ حماية الحضارة من الإفساد :

الكون في عقيدة المسلم جزء من خلق الله ، وكل شيء فيه يسبح بحمد الله ، يقول تعالى :ـ

﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ (الإسراء : ٤٤) .

لذلك فموقف المسلم من الكون موقف ألفة ومحبة ، وإذا كان غير المسلم يسعى للمحافظة على البيئة من أجل رفع مستوى الحياة المادية ، فإن نظرة المسلم للبيئة أسمى من ذلك ، فهي توجيه رباني بالحماية من الإفساد طبقا لمستلزمات الخلافة في الأرض بصرف النظر عما تجلبه له هذه الحماية من مصلحة . والمسلم يحب الكون شكراً لنعم الله تعالى عليه ، والنبي عليه الصلاة والسلام نهى عن قطع شجرة في الغزو إلا لطعام . والقرآن الكريم ينهي عن أي عمل يؤدي إلى الفساد في الأرض . يقول تعالى : ﴿ **ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها** ﴾ (الأعراف : ٥٦) .

ويحذر الرسول عليه الصلاة والسلام من أن يكون المسلم مصدراً للشر والضرر . وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله :ـ

« إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه » .

٣ ـ الإصـــلاح :

الإصلاح مستوى رفيع من الإيجابية يتحدى مرحلة التمني السلبي للخير والامتناع عن الضرر والإفساد ، حيث يرتقي المسلم في إحساسه بالانتماء للجماعة والمسئولية نحوها فيسعى لإزالة الخطر والضرر من حياة المسلمين . وبالطبع لا يشترط أن يكون هذا الفرد المصلح هو مصدر الضرر حتى يتقدم لإزالته بل إنه يتطوع لإزالة أي ضرر تسبب فيه غيره وقصرت همته عن أن يزيله ، فالمؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى .

يقول تعالى :

﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله ﴾ (هود : ٨٨) .

ويوضح رسول الله ﷺ أهمية الموقف الإيجابي الإصلاحي للمسلم في حديث النعمان بن بشير الذي رواه البخاري حيث يقول :

« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً « .

وقد اعتبر الإسلام إنكار الفساد ومحاولة إصلاحه مقياسا لدرجة الإيمان حيث روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله :

«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

وفي هذا دعوة لكل مسلم ألا يكون سلبيا تجاه أي خطر يهدد المجتمع . وهكذا تتضح وظيفة الخلافة في الأرض : إعمار الأرض وإقامة الحضارة ثم حمايتها من الضرر والفساد والتطوع لإصلاحها مما قد يطرأ عليها من فساد وضرر . ومفهوم الخلافة عنصر أساسي من النظرية الإسلامية التي تقوم على توحيد الخالق ووحدة المخلوقات ووحدة أمة الحق على أيدي رسالات الأنبياء . وهذا المفهوم ينعكس على كافة الأنشطة الإنسانية في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والطب .

الصحة في ضوء مفهوم الاستخلاف

خلافة الإنسان في الأرض تتحقق بعمارتها وحمايتها وإصلاحها ، والمؤهلات التي منحها الله للإنسان لتمكنه من أداء وظيفة الخلافة هي العقل والإرادة الحرة وقوة البدن وهذه نعم من الله عز وجل لابد من توظيفها فيما يرضي الله تعالى حتى تكون حياة الفرد عبادة . فالصحة والعافية نعمة تلي نعمة الهداية إلى الإيمان . روى أحمد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :

« سلوا الله اليقين والمعافاة ، فما أوتي أحد بعد اليقين خيرا من العافية » .

ونظرة الإسلام إلى الصحة تتطابق مع عناصر الاستخلاف وبذلك يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مستويات هي بناء الصحة وحمايتها وإصلاحها .

النظرية الطبية الإسلامية :

يتطابق المفهوم الحديث للصحة مع نظرة الإسلام للصحة في ضوء الاستخلاف وبذلك تتكون من ثلاثة مستويات :

١ ــ **المستوى الأول** : هو بناء الجسم وتحسين الصحة .
٢ ــ **المستوى الثاني** : حماية الصحة من الضعف والأمراض وهو ما يعرف بالطب الوقائي .
٣ ــ **المستوى الثالث** : إصلاح البدن من الأمراض والعجز وهو ما يعرف بالطب العلاجي والتأهيل .

المستوى الأول : بناء الجسم وتحسين الصحة

الصحة في مفهوم المنظمة الصحية العالمية ليست مجرد الخلو من المرض أو العاهة ولكنها تعني الصحة الإيجابية وهي أن يتمتع الفرد برصيد من القوة في وظائف أعضائه تجعله يتحمل ما قد يتعرض له من مسببات كثير من الأمراض . وتحقيق الصحة الإيجابية يستلزم أن يكون نظام الحياة الشخصية والظروف البيئية والعوامل السائدة في المجتمع عوامل بناءة تساعد على تحسين الصحة . وإذا اصطبغت الحياة بصبغة إسلامية في كل المجالات تكونت ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وروحية تؤدي بالضرورة إلى تكوين المجتمع الصحي .

أمثلة لمنهج الإسلام في بناء الصحة وتحسينها :

١ ــ يبدأ الاهتمام بصحة الفرد قبل أنْ يكون جنينا في بطن أمه وذلك بانتقاء الشريك الصالح لإنتاج ذرية طيبة . ورد في كشف الخفاء عن ابن عباس مرفوعا عن النبي ﷺ قال : (تخيروا لنطفكم) .
٢ ــ دعا الإسلام إلى الرضاعة الطبيعية ، وفي كل يوم يكشف لنا الطب الحديث عن مزاياها في توفير القوة والمناعة الطبيعية وبناء الجسم السليم . يقول تعالى : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ (البقرة : ٢٣٣) .
٣ ــ يجب تعهد الطفل بالرعاية الروحية والبدنية منذ بدء نشاطه الحيوي . روى مسلم وأحمد والترمذي قول رسول الله ﷺ « مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر » .

واللياقة البدنية تستلزم التدريب منذ الصغر ، وقد روى الطبراني عن مصعب بن سعد عن أبيه مرفوعا عن النبي ﷺ قال : « عليكم بالرمي فإنه خير لعبكم » .

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت مع النبي ﷺ في سفر فسابقته على رجلي فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال هذه بتلك » .

٤ ــ الحياة الصحية في بيئة نظيفة وهواء طلق من عوامل بناء الصحة . فكان النبي عليه الصلاة والسلام يحب أن يصلي في البساتين . روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « كان النبي يستحب الصلاة في الحيطان » .

٥ ــ التغذية السليمة تساعد على بناء البدن فكان النبي عليه الصلاة والسلام يوصي باللبن واللحم وتنظيم الوجبات حتى يكون الغذاء مصدرا للصحة وليس سببا للمرض .

٦ ــ إعطاء الجسم والنفس حقهما من الراحة من عوامل بناء الصحة ، فقد روى أبو داود حديث رسول الله ﷺ : « روحوا قلوبكم ساعة فساعة » .

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قول رسول الله ﷺ : « سافروا تصحوا » .

٧ ــ بناء الصحة النفسية للمسلم يتم عن طريق تنمية الشخصية وتهذيبها . فالنفس تتطور من خلال عملية تكيف الفرد في المجتمع . والمسلم يدرك أن غايته في الحياة هي إرضاء الله تعالى بالأعمال الصالحة . وعندما يتعامل مع الآخرين فإنه يقوم بتكوين أو كبح قدرات داخلية معينة ، فيتعود على الحب والعطاء ويتغلب على الأنانية وبذلك تنمو الصفات الإنسانية وتتحقق الصحة النفسية الإيجابية .

المستوى الثاني : الطب الوقائي في الإسلام

حماية الصحة والمحافظة عليها من المفاهيم الإسلامية الأصيلة ، يقول تعالى :

﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ (البقرة : ١٩٥) .

ومنذر صدر الإسلام ظهر مفهوم حفظ الصحة حيث إنه يعين على العبادة وأداء مهمة الخلافة في الأرض وبذلك تتحقق مصلحة الدين . والوقاية من المرض تحقق مصلحة البدن والعقل والصحة تعين على العمل والكسب والتناسل . فهي بذلك تحفظ مصلحة النسل والمال . وهكذا فإن حفظ صحة الفرد يحقق له المصالح الخمس التي طلب الشرع رعايتها وهي الدين والبدن والعقل والنسل والمال .

حفظ صحة البيئة فيه سلامة المجتمع وحماية لأمة المسلمين من الضرر وإعلاء لكلمة الله ، ومن هنا نلاحظ أن الأحاديث الشريفة تتناول جوانب الوقاية والحماية بدرجة تكون أقرب إلى الأمر والإلزام . وكلما كانت الحماية مرتبطة بالمقاصد الخمس التي جاءت بها الشريعة كانت درجة الإلزام أكبر . فالإسلام يأمر الفرد بالابتعاد عن موطن الوباء ولكن وقاية المجتمع المسلم من انتشار الوباء تعلو على مصلحة الفرد الواحد وبذلك تصير التضحية بالنفس في سبيل سلامة المجتمع شهادة في سبيل الله . روى البخاري وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسباً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد » .

عناصر الوقاية في ضوء الإسلام :

١ ــ **الصحة الشخصية** : تعاليم الإسلام تدعو إلى السلوك الصحي والنظافة الشخصية . روى البخاري عن رسول الله ﷺ : « الطهور شطر الإيمان » .

وفي مجال التغذية هناك أحاديث كثيرة تتناول وصايا صحية في الاعتدال في الطعام واختيار الطعام الطيب والحرص على نظافة الطعام والشراب . روى مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « غطوا الإناء وأوكوا السقاء » .

وهناك أحاديث تناولت أعضاء الجسم المختلفة كصحة الفم والأسنان وصحة العين وصحة الأنف وغيرها . ويؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام أن هذه الإجراءات الوقائية ليست من قبيل النظافة فحسب وإنما هي من قبيل العبادة . روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « السواك مطهره للفم ، مرضاة للرب » . وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ قوله : « العين نطفة فإن مسستها رنقت ، وإن أمسكت عنها صفت » .

وإذا كان تحريم الخمر والمخدرات من مقومات الصحة الشخصية فإنه ينعكس على الصحة النفسية والوقاية من الحوادث وحماية الأجنة من التشوهات . روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » .

ولحماية الصحة الاجتماعية شجع الإسلام الزواج المبكر وحذر من الفاحشة التي هي مصدر الأمراض الاجتماعية . روى أحمد وابن ماجه حديث رسول الله ﷺ قال : « ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم » .

والإسلام لا يفصل بين الصحة الاجتماعية والصحة النفسية وبين الصحة البدنية . فالمجتمع الذي يسوده الرفق والتراحم وحسن الخلق وحسن الجوار تبدو عليه علامات الصحة الإيجابية ممثلة في طور العمر . روى أحمد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « أنه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خيري الدنيا والآخرة ، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار » . وهذا الحديث الشريف هو أول تسجيل لارتباط العلاقات الاجتماعية بمتوسط عمر الفرد في المجتمع .

٢ ــ **صحة البيئة** : حماية صحة البيئة تطبيق لقاعدة إسلامية رئيسية وهي أن كل مسلم مسئول عن سلامة جماعة المسلمين تطبيقا للقاعدة التي وضعها رسول الله ﷺ بأنها كالجسد الواحد ، وأن من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم . وهذه الحماية تلزم المسلم ألا يكون مصدر ضرر للبيئة .

روى أبو داود حديث رسول الله ﷺ : « اتقوا الملاعن الثلاثة : البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل » . وروى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » .

وقد دعا الإسلام إلى الوقاية من الأمراض الانتقالية بعزل المريض عن الأصحاء ، روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يوردن ممرض على مصح » .

٣ ــ **الوقاية من الحوادث** : وضع الإسلام القواعد الأساسية للوقاية من الحوادث قبل أن يظهر علم السلامة ويتبلور في إجراءات محددة في مجالات الصناعة وحوادث الطرق وحوادث المنازل . فالإسلام يكره التواكل ولكنه يأمر باتخاذ الأسباب الدنيوية ثم بعد ذلك بالتوكل على الله . يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ﴾ (النساء : ٧١) . وروى ابن حبان والطبراني أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ : هل يترك ناقته دون أن يربطها توكلا على الله تعالى . فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : « اعقلها وتوكل » .

وعلم السلامة يقوم على مبدأ أساسي وهو أن لكل حادثة سببا وبتجنب الأسباب يمكن تجنب الحوادث . روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون » .

المستوى الثالث : الطب العلاجي والتأهيل

أمر الإسلام بإصلاح البدن مما يصيبه من أمراض وإصابات وذلك بالعلاج والتأهيل فالجسم هو أداة العبادة ، وسلامته شرط لأداء وظيفة الخلافة . وقد خلص الإسلام مهنة الطب من الخرافات والكهانة والسحر التي اختلطت بهذه المهنة منذ فجر التاريخ . روى مسلم وأحمد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « من أتى عرافاً أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» .

وتخليص الطب من الكهانة والسحر يرتبط بمبدأ عام في الإسلام وهو رد الأمر والإرادة والقدرة على النفع والضر لله وحده كجزء من عقيدة التوحيد .

والأحاديث النبوية الشريفة في الأمر بالتداوي صريحة وواضحة وملزمة لكل فرد أن يسعى إلى استعادة الصحة المفقودة . وأوضحت الحد الفاصل بين الإيمان بالقضاء والقدر وبين طلب العلاج . روى ابن السني وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما : سئل النبي عليه الصلاة والسلام : هل ينفع الدواء من القدر . فقال : « الدواء من القدر ، وهو تعالى ينفع من يشاء وبما يشاء » .

فالأمر بالتداوي لا ينافي التوكل وعلى كل مسلم أن يلتمس كافة الأسباب للوقاية والعلاج .

منهج الطب الإسلامي في العلاج

ترتكز نظرة الإسلام للعلاج على الأسس التالية :

١ ــ **الأمر بالتداوي** : روى الشيخان عن أسامة بن شريك عن النبي ﷺ قال : « تداووا . فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء . غير داء واحد هو الهرم » .

٢ ــ **تقرير المنهج العلمي في ممارسة مهنة الطب** : وذلك بالقواعد التالية :

أ ــ قصر مهنة الطب على ذوي الخبرة فيها : روى أبو داود والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : « من تطبب ولم يكن معروفا بالطب فأصاب نفسا فما دونها فهو ضامن » . ومبدأ ضمان الطبيب كان أحد عناصر نظام الحسبة في عهود الخلافة الإسلامية . والرسول عليه الصلاة والسلام لم يدع لنفسه القدرة على المداواة . روى أحمد عن هلال بن يساب قال : دخل رسول الله ﷺ على مريض يعوده فقال : « أرسلوا إلى الطبيب » . فقال له قائل : وأنت تقول ذلك يارسول الله . قال : « نعم » .

ب ــ احترام التخصص في مهنة الطب فقد روى مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم رضي الله عنهما أن رجلا أصابه جرح فاحتقن الدم وأن رسول الله دعا برجلين من بني أنمار فقال : « أيكما أطب » فقال رجل : وفي الطب خير ، فقال عليه الصلاة والسلام : « الذي أنزل الداء أنزل الدواء » .

ج ــ العلاج يخضع لمنطق الأسباب والنتائج . فلا دواء إلا بعد معرفة الداء . ففي كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني عن الشمردل بن ثبات الكعبي أن النبي ﷺ قال له : « لا تداووا أحداً حتى تعرفوا داءه » .

وتأكيداً لمبدأ الأسباب والنتائج روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لكل داء دواء فإذا أُصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل » .

د ــ دعوة العلماء للبحث عن أسباب الأمراض واكتشاف ما يجهلونه من وسائل العلاج فليست كل الأدوية معلومة ولكن تكتشف بالتدريج . روى أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله » .

والأمراض التي لم يكتشف علاجها بعد هي ابتلاء من الله تعالى للعبد فعليه أن يصبر ويحتسب وله الجنة . روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع وأني أتكشف فادعُ الله لي . قال : « إن شئت صبرت ولك الجنة . وإن شئت دعوت الله عز وجل أن يعافيك » . قالت : أصبر .

هـ ــ تقبل العلاج النافع أيا كان مصدره ، فقد روى أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : « إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فينعتون له الأنعات وكنت أعالجها له » .

٣ ــ **الالتزام بالقواعد الشرعية في العلاج** . ومن ذلك ما يلي :

أ ــ تجنب المحرمات في العلاج . والأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نص بتحريمها . وقد روى أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » .

ب ــ الاهتداء بالتوجيهات الشرعية للإجراءات الطبية : فقد أرست الشريعة كثيرا من المبادىء التي تنظم المعاملات وتناولها بالتفصيل علم أصول الفقه ، وكثير من هذه المبادىء يمكن تطبيقه على عملية العلاج . فقواعد المصلحة توضح أن الأصل في المنافع الإباحة والأصل في المضار التحريم . كما تقوم قواعد تجنب الضرر على مبدأ (لا ضرر ولا ضرار) وبالمفاضلة بين المنفعة والضرر يمكن استنباط رأي الشرع في الإجراءات العلاجية . أما قواعد دفع الحرج ومراعاة الضرورة فتوضح الرخص الشرعية التي تبيح للطبيب والمريض من المحظورات بقدر الحاجة . أما قواعد الحقوق فتنظم الجوانب القانونية وآداب مهنة الطب .

كل هذه القواعد تقوم على مبدأ العدل والإحسان وتكسب الممارسة الطبية صبغة إسلامية متميزة .

خاتمـــة :

وهكذا يتبين مما سبق أن للإسلام نظرية فريدة في الطب تنبثق من التفسير الإسلامي لرسالة الإنسان في الأرض والنظرة الإسلامية للكون والوجود والحياة . فالإسلام لا يفصل الدين عن الاقتصاد أو الطب أو السياسة أو الاجتماع وإنما يضعها كلها في إطار واحد هو الإسلام ، بطريقة توظف الطاقات الروحية لخدمة التقدم الاجتماعي والاقتصادي والصحي . والغاية القصوى من هذا الازدهار البشري والتقدم الحضاري في الأرض هو إعلاء كلمة الله تعالى . يقول سبحانه :

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ﴾ . (الحديد : ٢٥) .

فالمسلم مكلف بإقامة حضارة تعتمد على مصادر القوة المستنبطة من خيرات الأرض وخاماتها الطبيعية وتهتدي بما أنزله الله على رسله لتسير بالحق والعدل وهذه الحضارة لا تقوم إلا في مجتمع صحيح قوي قادر على نصر كلمة الله .

رئيس الجلسة : الدكتور عبدالعزيز كامل

شكرا للأستاذ الدكتور / الصياد على حديثه عن الركائز الأربعة والمستويات الثلاثة والمقاصد الخمسة والمنهج وأعطى الكلمة للأخ الأستاذ الدكتور / محمد كامل أحمد وأعلم من انضباطه أنه سيضبط وقته كما أحب .

الإسلام والوقاية من الأمراض

للدكتور محمد كامل أحمد

جمهورية مصر العربية

إن الحمد لله نحمده ونشكره . . . ونستعينه ونستهديه ونستغفره . . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . . من يهده الله فلا مضل له . . ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . وأن محمدا عبده ورسوله . . . ﷺ وبعد . . .

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أسامة بن شريك قال : كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا : يا رسول الله أنتداوى ؟ فقال نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء ، إلا وضع له شفاء (غير داء واحد) قالوا : ما هو ؟ قال : الهرم « وفي لفظ : « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله » وكذلك روي في السنن عن ابي خزامة قال : قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال هي من قدر الله .

ومن هنا نجد أن هذه الأحاديث قد أثبتت الأسباب والمسببات . . ونجدها أيضا قد أكدت أن الأسباب كلها بيد الله يصرفها كيفما يشاء . . وجعل من بين هذه الأسباب ما يؤدي إلى المرض . . ومنها ما يؤدي إلى العافية والشفاء . ونجدها أيضا قد أكدت أن كل الأمراض مما عرفنا له علاجا ومما لم نعرف له علاجا بعد :

قد جعل الله له دواء يشفيه ولكن مازال علمه مطويا عن البشر لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فإذا صادف الدواء الداء . حصل الشفاء بإذن الله .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر . . وفر من المجذوم كما تفر من الأسد وفي هذا الحديث يؤكد الرسول ﷺ أن الله تعالى هو الذي بيده الصحة والمرض كما أن الأمور كلها منه وإليه . . وهو قادر في كل حين وآن أن يجعل من الداء الوبيل دواء نافعا . . ومن الدواء الناجع داء شافيا . . كما أنه يؤكد أن العدوى لا تحصل بذاتها وإنما تحصل بقدر الله تعالى وبقدرته . . فإذا شاء جعل هذه الأسباب سارية . . وإن شاء سلبها قدرتها على التأثير بأسباب أخرى تعارضها وتضادها منها ما أتيح لنا أن نعلمه بعد الاكتشافات العلمية الحديثة . . ومنها مالم يتح لنا أن نعلم منه إلا القليل .

وموضوع العدوي والأحاديث التي وردت فيها قد أثارت الكثير من الجدل في الماضي ومازالت تثير شكوكا لدى البعض في وقتنا الحالي . . نتيجة لما يبدو في ظاهرها من تعارض كحديث لأعدوى ولا طيرة . . وفر من المجذوم كما نفر من الأسد إذ أن ظاهرها يقول أمرين :

أولهما : أنه لا تحدث العدوى فلا يجب أن نخاف من مخالطة المرضى أو الاقتراب منهم .
ثانيا : أن هناك عدوى بدليل أننا يجب ألا نقترب من المجذوم بل نفر منه خوفا من العدوى .

وبادىء ذي بدء نود أن نؤكد صحة هذا الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه فإذا ثبت لدينا يقينا أنه من قوله ﷺ وهو (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) بدأنا نفكر في كيفية جمع هذه الأمور التي قد تكون متناقضة في ظاهرها فنقول إن ما تكشف لنا من اكتشافات حديثة يدل على أن العدوى وحدها أو الميكروب وحده ليس هو السبب في حدوث المرض . . فحدوث المرض يعتمد على عاملين اثنين .

أولا : قوة الميكروب ذاته .
ثانيا : درجة مقاومة الجسم في أثناء الإصابة بالميكروب .

لذلك فمجرد وجود الميكروب لا يعني حدوث العدوى . . أي أن تواجد أحدنا مع المريض لا يعني بالضرورة حدوث العدوى . . لذا فقد بين ﷺ وأكد أن العدوى بيد الله سبحانه وتعالى إن شاء صرفها وإن شاء جمعها فكان المرض وكانت العدوى أما الاعتقاد بأن هذا الميكروب أو ذاك هو السبب الوحيد للمرض وأن العدوى هي سبب المرض فهو : -

أولا : جهل بحقائق الأشياء .
ثانيا : جهل بقدرة الله عز وجل .
ثالثا : تعظيم الأسباب الظاهرة فيتكل المرء عليها ويرى بذلك الأسباب الظاهرة ولا يرى سببها الحقيقي وهو الله عز وجل . . فيضل كما كان العرب والعجم قد ضلوا في الزمان الغابر حينما كانوا يعتقدون بمسببات أخرى للمرض ما أنزل الله بها من سلطان . . وذلك من حركة النجوم والرياح . . ومن أرواح شريرة وشياطين ومن تغيير للفصول وغيرها من الأسباب التي أكد الدين الإسلامي أنها لا تصرف ولا تتحكم في العدوى وأسبابها .

أما قوله ﷺ فر من المجذوم كما تفر من الأسد ، فهو من باب الوقاية التي هي أخذ بالأسباب . فكما أن المرض بيد الله . . والشفاء بيد الله فإن اتقاءه أيضا بيد الله وبقدره . . وهذه الوقاية توجيه ممن لا ينطق عن الهوى إلى المسلمين كافة باتخاذ الأسباب الموصلة إلى صحة البدن وإلى سلامته . والأمر بالتداوي لا ينافي التوكل على الله . . فقد ذهب بعض الناس إلى القول بأنه إن كان الشفاء قد قدر فالتداوي لا يفيد ولا يرد قدر الله أو قضاءه . . ولايكون هو السبب فيه وكذلك إن لم يكن الشفاء قد قدر فلا ينفع دواء ولا تداوي . . ومن هنا كان سؤال الأعراب لرسول الله ﷺ عن التداوي وهل يرد من قدر الله وتلاحظ هنا أن الأعراب هم الذين سألوا هذا السؤال ولم يسأله الصحابة رضوان الله عليهم . . فهم أعلم بحكمة الله وصفاته وقدرته وقد أجابهم الرسول ﷺ بما شفي وكفي فقال إن هذه الأدوية والرقي والتقي من قدر الله فما خرج شيء عن قدره بل يرد قدره بقدره . . فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما ورد القدر بالقدر يأتي في مسائل

كثيرة من الشرع . فالجوع يرد بالأكل . . وكلاهما من قدرة الله . . وكذلك البرد يرد بالتدفئة وكلاهما أيضا من قدرة الله . . والعدو يرد بالجهاد . . وكل من إغارة العدو ورده من قدر الله . . ولعل الإمام ابن القيم قد رد عليهم ردا بليغا حينما قال لهم إن رأيكم يوجب عليكم ألا تفعلوا أي سبب من الأسباب التي تجلبون بها منفعة لكم أو تدفعون عنكم مضرة لأن المنفعة والمضرة إن قدرتا لم يكن هناك سبيل إلى منعهما والعكس بالعكس . . وهذا لا يقوله عاقل . . وهو يذكرنا بقول المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) فقد قالوا ذلك دفعا لحجة الله عليه بالرسل . لذلك فالله سبحانه وتعالى كما قدر المرض فهو قد قدر الشفاء وقدر كذلك سبب الشفاء فإن أتى الإنسان بهذا السبب حدث الشفاء وإن لم يأت لم يحدث وقد يقال حينئذ إنه إن كان قدر هذا السبب فعلناه وإن لم يقدر لم نتمكن من فعله . . والرد عليه هنا أن نقول لهم هل تقبلون هذا الاحتجاج من أولادكم أو أجرائكم إن احتجوا به عليكم في عدم فعل ما أمرتموهم به . . إن قبلتم ذلك منهم فلا تلوموا من عصاكم وأخذ مالكم وقذف عرضكم . . وإن لم تقبلوه فكيف يكون مقبولا منكم في دفع حقوق الله عليكم .

ولعلنا لا نغفل عن معنى آخر في قوله ﷺ (لكل داء دواء) فهو تقوية لنفس المريض والطبيب في آن واحد . فالمريض حينما يوقن أن لديه داء فإن روحه المعنوية ترتفع ويستطيع جسده أن يتغلب على سبب المرض وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء ـ أمكنه طلبه واجتهد في التفتيش عليه وبحث من خلال تجاربه العلمية والعملية عن تركيب الأدوية التي تنفع في علاج مثل هذه الأمراض .

وننتقل الآن إلى نقطة بحثنا وهي الوقاية من الأمراض . . فنقول بعون الله أن رسول الله ﷺ قد عني بموضوع الوقاية من مواقف عديدة منها حديثه المشهور الذي روي في المسند عنه ﷺ أنه قال (ما ملا آدمي وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلا ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) فهو هنا ينبه إلى الوقاية من التخمة والزيادة في الأكل والشرب وإلى القانون الذي ينبغي مراعاته في الطعام والشراب فهناك الكثير من الأمراض التي تنتج عن الإفراط في الطعام والشراب وسببها إدخال الطعام على المعدة قبل هضم الطعام السابق ، والزيادة في القدر الذي يحتاجه البدن ، وتناول الأغذية القليلة النفع البطيئة الهضم ، والإكثار من الأغذية المختلفة التركيب . فإذا ملأ الإنسان بطنه من الأغذية واعتاد ذلك ، أورثته هذه العادة أمراضا متنوعة من عسر الهضم وصعوبة التنفس والانتفاخ وتعب الكبد والخمول والكسل والصداع وغيرها .

وإذا توسط في الغذاء وتناول منه قدر الحاجة وكان معتدلا في كميته ونوعه كان انتفاع جسمه به أفضل من انتفاعه بالغذاء الكثير . ويفرق الرسول صلوات الله وسلامه عليه هنا بين مرتبتين هما مرتبة الحاجة ومرتبة الكفاية . فحاجة الإنسان هي ما عبر عنه ﷺ بقوله لقيمات يقمن صلبه . والباحث الآن في كمية السعرات الحرارية التي يحتاجها الجسم والمقارن لهذه السعرات وكميات الطعام التي تحتويها سيجد أنه تكفيه فعلا هذه اللقيمات كي يمارس حياته بدون تعب أو مجهود . فإن تجاوز مرتبة الحاجة فأقصى ما أوصي به الرسول ﷺ هو ملء الثلث بالطعام فهذه هي مرتبة الكفاية التي إن جاوزها الإنسان بدا يشعر بالتعب وأثر هذا على كمية الشراب الذي يشربه ناهيك عن حركة الحجاب الحاجز التي تساعد في التنفس والتي سوف يعوقها امتلاء المعدة بالطعام والشراب . وهكذا نجد أن الإنسان كي يتقي الكثير من الأمراض

فعليه باتباع هدي الرسول ﷺ في طعامه وشرابه . وهكذا نجد في هذا الحديث معالم واضحة في الوقاية من أمراض الجهاز الهضمي .

وننتقل إلى جانب آخر من جوانب الوقاية من انتشار مرض معين قد نشأ في بعض الناس وكيف نمنع انتشاره بين الآخرين . وكيف ينصح الرسول ﷺ : « أن هذا الطاعون رجز علي من كان قبلكم ، أو علي بني اسرائيل فإذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » . وإذا كان بأرض فلا تدخلوها . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله فما الطاعون قال (غدة كغدة الإبل المقيم فيها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف) . وأخرج البخاري في صحيحه أن الطاعون لا يدخل المدينة) وقبل أن نبين مافي هذه الأحاديث من مواقف نحكي هذه الحادثة التي حدثت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورواها عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال (خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام حتى إذا كان بسرغ وهي قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز) لقيه أهل الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام (يقصد الطاعون) قال ابن عباس قال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه . وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم علي هذا الوباء . فقال عمر ارتفعوا عني (اي انصرفوا من عندي) ثم قال ادع لي الأنصار فدعوتهم له فاستشارهم وسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم علي هذا الوباء . فنادى عمر في الناس أني مصبح على ظهر (أي مسافر غدا) فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة ابن الجراح أفرارا من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان أحدهما خصبة والأخرى جدبة أليس أن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله قال فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال : إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ـ قال فحمد الله (عمر بن الخطاب) ثم انصرف .

والطاعون وباء شديد الخطورة وأول من وصفه هم قدماء المصريين في تذاكرهم الطبية وقد حدث طاعون مريع في عام ٥٤٢ قبل الميلاد واكتسح شمال افريقيا وآسيا وأوروبا أي العالم القديم كله واستمر ينتشر من بلد إلى بلد ما يقرب من خمسين عاما وقد أصيب في هذا الوباء مائة مليون شخص تقريبا وكاد أن يبيد أكثر من نصف سكان العالم آنذاك (Cecil & loed Text Book of Medicine 1971) فهو بصورته هذه رجز وعذاب لايضارعه عذاب كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ حين قال إن هذا الطاعون رجز على من كان قبلكم . واستمر الطاعون في الظهور من فترة إلى أخرى وقد ظهر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان مشهورا بطاعون عمواس . وعمواس هي قرية من قرى الشام ظهر فيها هذا الوباء ثم انتشر في كثير من مدن الشام وأدى إلى استشهاد عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم وفيه جرت تلك المحاورة التي أوردناها آنفاً نقلا عن الأمامين البخاري ومسلم بين الصحابة رضوان الله عليهم وفيه وقعت تلك المناظرة بين عمر وأبي عبيدة رضي الله عنهما حين قال أبو عبيدة لعمر : أفرارا من قدر الله ؟ فأجاب عمر نعم نفر من قدر الله إلى

قدر الله وبين أن اتخاذ الأسباب هو من قدر الله وأن التوكل على الله والثقة به والاعتماد عليه لاينافي اتخاذ الأسباب والأخذ بها بل أن إتخاذ الأسباب هو نفسه من الإيمان بقدر الله لأن الأسباب كلها بيد الله وهي مربوبة مقهورة . وهي من سنن الله الكونية والسير وفق السنن الكونية لاينافي الإيمان بالله والتوكل عليه والثقة به . واستمر الطاعون في الظهور من حين لآخر وظهر بصورة وباء عالمي في القرن الرابع عشر الميلادي واكتسح أوروبا وآسيا وكان عدد ضحاياه في أوروبا وحدها خمسة وعشرين مليونا وهم ربع سكان أوروبا آنذاك وقد أطلق عليه اسم الموت الأسود . لأنه قلما ينجو منه أحد ولأن القروح التي كانت تظهر على الجلد وفي الإبط والمنطقة الأربية (GROIN) أو ما يسمى (المراق) والرقبة كانت سوداء وما حولها من الجلد به حمرة داكنة .

(Price Text Book of the Practice of Medicine)

وتكرر ظهور الطاعون منذ ذلك التاريخ في مناطق متعددة من العالم ولايزال يوجد حتى الآن في مناطق من الهند بصورة مرض متوطن . وبصورة أقل في جنوب الصين وبعض جزر أندونيسيا وبعض مناطق مدغشقر وكينيا وأمريكا الجنوبية وبعض مناطق الولايات المتحدة الأمريكية ويصيب بصورة خاصة في هذه المناطق الحيوانات البرية ويسمى بالطاعون البري وأكثر الحيوانات إصابة به هي الجرذان والفيران والجربوع (وهي كلها من القوارض) ،المدينة الوحيدة في العالم التي لم يصبها الطاعون خلال القرون الطويلة والأحقاب البعيدة والاماد السحقية هي المدينة المنورة تصديقا لحديث رسول الله ﷺ : إن الطاعون لايدخل المدينة) .

ونلاحظ هنا : أن الأحاديث الشريفة سالفة الذكر قد حددت ماذا ينبغي على المرء أن يفعله إذا ظهر هذا الوباء (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه . وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ، وحديث جابر ، « الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه كالصابر في الزحف) فالحجر الصحي يعتبر من أهم وسائل مقاومة إنتشار الأمراض الوبائية في عصرنا هذا . ويظهر بجلاء مما تقدم أن الأحاديث النبوية الشريفة قد حددت أسس ومباديء الحجر الصحي كأوضح ما يكون التحديد فهي تمنع الناس من الدخول إلى البلدة المصابةبالطاعون كما أنها تمنع أهل تلك البلدة من الخروج منها ومفهوم الحجر الصحي مفهوم حديث لم تعرفه البشرية إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ولاتزال تتعثر في تنفيذه إلى يومنا هذا . ومنع السليم من الدخول إلى أرض الوباء قد يكون مفهوما إلى حد كبير دون الحاجة إلى معرفة دقيقة بالطب . ولكن منع سكان البلدة المصابة بالوباء من الخروج منها وخاصة الأصحاء منهم قد يبدو عسيرا علي الفهم بدون معرفة واسعة بالعلوم الطبية الحديثة . فالمنطق والعقل يفرضان علي السليم الذي يعيش في بلده بها وباء أن يفر منها إلى بلدة سليمة حتى لا يصاب هو بالوباء . هكذا يقول العقل والمنطق أما الطب الحديث فيقول غير هذا . إنه يقول مثلما يقول الحديث النبوي الشريف ويؤكده . إنه يقول إن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملا للميكروب . وكثيرا من الأوبئة تصيب العديد من الناس . ولكن ليس كل من دخل جسمه الميكروب يصبح مريضا . فكم من شخص يحمل جراثيم المرض دون أن يبدو عليه أي أثر من آثار المرض . فالحمى الشوكية والتيفود والسل والكوليرا وكذلك الطاعون قد تصيب أشخاصا عديدين دون أن يبدو على أي منهم علامات المرض بل ويبدو الشخص وافر الصحة سليم الجسم . ومع ذلك فهو ينقل المرض إلى غيره من الأصحاء . وهناك أيضا فترة الحضانة وهي

الفترة الزمنية التي تسبق ظهور الأعراض منذ دخول الميكروب إلى الجسم . وفي هذه الفترة يكون انقسام الميكروب وتكاثره على أشده . ومع ذلك فلا يبدو على الشخص في فترة الحضانة هذه أنه يعاني من أي مرض ، ولكنه بعد فترة قد تطور وقد تقصر على حسب نوع المرض والميكروب الذي يحمله تظهر عليه أعراض المرض الكامنة في جسمه . ومن المعلوم أن فترة حضانة فيروس كالإنفلونزا مثلا هي يوم أو يومان بينما فترة حضانة التهاب الكبد الفيروسي قد تطول إلى ستة أشهر كما أن ميكروب السل قد يبقى كامنا في الجسم عدة سنوات دون أن يحرك ساكنا .

ولكنه لا يلبث بعد تلك الحقبة من الزمن أن ينتشر في الجسم . والشخص السليم الحامل للميكروب وكذا الشخص المريض الذي لايزال في طور الحضانة يعرض الآخرين للخطر دون أن يشعر هو أو يشعر الآخرون . لذلك جاء منع رسول الله ﷺ لأهل البلدة المصابة بالوباء من أن ينتقلوا منها تشريعا رائعا ، ومعجزة طبية وعلمية ظهرت حقيقتها اليوم بعد مضي أربعة عشر قرنا من الزمان . فالشخص السليم في المنطقة الموبوءة قد يكون حاملا بالميكروب كما قد يكون في فترة الحضانة للميكروب .

فإذا خرج من بلدته تلك لم يلبث أن يظهر عليه الوباء فيعدي غيره وينقل بذلك المرض إلى آلاف الناس . لذلك فقد جاء المنع شديدا والوعيد مرعبا . (والفار من الطاعون كالفار من الزحف) . كما جاء الوعد مرعبا وحاثا على الإقامة والصبر (المقيم فيه كالشهيد) (والصابر فيه كالصابر في الزحف) . ولايمكن أن يتأتى ذلك لبشر إلا أن يكون نبيا رسولا .

لذلك فإن حديث الطاعون معجزة كاملة من معجزات الرسول ﷺ . ودليل قاطع على صدق رسالته . إذ لا يمكن لبشر عاش في ذلك الزمان أن يعلم مافي الغيب إلا أن يوحي إليه . وقضية الحجر الصحي وما يتعلق بها كان غيبا من الغيوب التي أظهرها الله تعالى إلى عالم الشهادة في القرن العشرين . ومن المحاولات الجادة لعلماء المسلمين في تفسير سبب المنع من الخروج من البلدة التي بها الوباء ما روي عن الإمام الغزالي حين قال (إن الهواء في البلدة المصابة بالوباء لايضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الإستنشاق فيصل إلى القلب والرئة فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظهر إلا بعد التأثير في الباطن فالخارج من البلد الذي يقع به الوباء لايخلص غالبا مما استحكم فيه أي أنه ينطلق وهو يحمل معه الميكروب إلى بلاد أخرى فينقل بذلك العدوى إلى غيره من الناس بسبب خروجه من بلده المصابة بالوباء .

وفي تفسير سبب المنع من الدخول إلى الأرض التي يقع بها الطاعون قال ابن القيم . . « إن لهذا المنع عدة حكم » : الأولى : تجنب الأسباب المؤذية والبعد عنها .

الثانية : الأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد .

الثالثة : أن لا يستنشقوا الهواء الذي قد فسد فيمرضون .

الرابعة : أن لا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم .

الخامسة : حمية النفوس عن الطيرة والعدوى فلا تتأثر بهما وبالجملة فالنهي عن الدخول في أرضه الأمر بالحظر والحمية والنهي عن التعرض لأسباب التلف وفي النهي عن الفرار منه الأمر بالتوكل والتسليم والتفويض فالأول تأديب وتعليم والثاني تفويض وتسليم .

وفي ختام هذه العجالة نرى أن الإسلام وعنايته بأمر الوقاية من الأمراض قد أخذ حقه ووضح لكل ذي عين . . ويأتي من الأمور المستقرة في نفوس المسلمين وتأكد ارتباطه بالقدر وبأنه جزء منه . وأنه لاينافي التوكل على الله لأن كل شيء بأمره وكل شيء بإرادته سبحانه وتعالى والله الهادي إلى سواء السبيل .

رئيس الجلسة :

شكرا للأستاذ الدكتور / محمد كامل أحمد على الجهد الذي بذله في عرض المحاضرة بنور قلبه وإن أظلم المكان . . .

الأخ الدكتور / يحيى ناصر خواجي .

المفهوم الوقائي والمفهوم العلاجي في الطب النبوي

للأستاذ معالي عبدالحميد حمودة

جمهورية مصر العربية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . . وبعد

إنه من المعجز ـ دون جدال ـ حقا أن نرى شخصا أميا ينشأ بين قوم لم يقرأ ولم يكتب ، ولكنه مع ذلك ﷺ يضع اللبنات الأساسية في بناء الحضارة الانسانية . كما يضع الأصول للعلوم التي تعود فائدتها على البشرية إلى أن تنتهي الدنيا ومن فيها . إنه محمد بن عبدالله ﷺ ، الذي أنزل الله عليه الرسالة اصطفاء واجتباء فأخذ من رحيقه وأعطى للدنيا خير هذه الرسالة . فكان ولا يزال عطاؤه متجددا ، ووقف أمام فيضه وعطائه علماء كل فن يأخذون من علمه ، وينهلون من منهله الشريف . ومع ذلك فإن معينه لم ينضب وما من نظريات صدقها العقل واهتدى إليها المجتمع البشري إلا وتجد لها صلة من كلام النبوة .

ولقد كان للطب النبوي في فجر الرسالة الخاتمة ركائز عظيمة أساسية حملت مفاهيم طبية شاملة بلغة العصر ، تلك المفاهيم التي ساعدت على بناء مفهوم الطب النبوي ، ووضعت اللبنات الأساسية في بناء الحضارة الإسلامية خاصة والحضارة الإنسانية عامة . كما كان للطب النبوي أصول علمية بكل ما تحمل كلمة العلم من معان وما تشير إليه من إيماءات ، لمس المجتمع الإنساني من تلك الأصول كل النفع والفائدة .

وإننا إذ نتقدم بهذا البحث المتواضع عن المفهوم الوقائي والمفهوم العلاجي في الطب النبوي ، فإننا نسأل الله سبحانه أن يأخذ بيدنا جميعا إلى طريق الخير والرشاد . وما كان في هذا البحث من خير وتوفيق فهو من فضل المولى علينا ، وإذا كان غير ذلك فهو قصور مني ، وما قصدت إلا الخير والله أعلم بالنيات ، وبه سبحانه نهتدي ونتوكل وهو تعالى نعم المولى ونعم النصير .

المفهوم الوقائي

تهتم الأمم كلها في أيامنا الحاضرة بالطب الوقائي ، لأنه يكفل لمواطنيها الخدمات الصحية التي تقيهم شر الأمراض

والأوبئة قبل وقوعها ، ويهيئهم للعمل ويمكنهم من الإنتاج ، ويوجه الجهود إلى العناية بأوليات الصحة العامة من نقاء الهواء ، ومستوى الغذاء ، ونشر الوعي الصحي الخ .

وإذا كانت الحضارة الغربية المعاصرة تروج أن الفضل يرجع لها في وضع قوانين الطب الوقائي كما فعلت انجلترا عام ١٨٤٨ م عندما وضعت قانونا يكفل المحافظة على صحة الشعب ، ونشأ في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٠١ معهد روكفلر للأبحاث الطبية[١] .

إلا أن خاتم النبيين محمد بن عبدالله ﷺ كان قد توصل إلى الكثير من مفاهيم الطب الوقائي ، وحفظت لنا سيرته وسنته العطرة العديد من الأساليب والأحاديث والأقوال والأفعال التي توضح ذلك .

وقد يجد القارىء اليوم شيئاً غريبا فيما نقوله من أن الطب النبوي توصل إلى كثير من مفاهيم الطب الوقائي ، ولكن إذا وضعنا هذه المفاهيم في إطارها الزمني ومجالها الحضاري ، كان خليقا بأن نجد فيه سبقا لعصره بمئات السنين ، ونراه أهلا لأن يحتل مكانه من هذه اللقطات .

وإذا عرفنا الشعار المعروف (الوقاية خير من العلاج) فإن استقراء الطب النبوي في المفهوم الوقائي ، يجعلنا دون أدنى شبهة انحياز نشير إلى أن شعار الوقاية خير من العلاج شهد أول بذرة له في عصر الطب النبوي .

والحقيقة الخالصة أنه في فجر الإسلام وبداية دعوة محمد ﷺ حدث شيء على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للطب ، ذلك أن الرسول الكريم ﷺ جاء أكبر داعية لصناعة الطب والأطباء[٢] .

ويهمنا أن نقول إن رسول الله ﷺ بالإضافة إلى ما قدمه للحضارة الإنسانية من ركائز من الطب النبوي تعتمد عليها وتحيا بها ، فإن المعارف الطبية في عصر المصطفى ﷺ قومت على أسس من فرائض وسنن الشريعة الإسلامية العظيمة .

وقد كان من الإعجاز النبوي لرسول الله ﷺ أنه قدّم الطب النبوي كعلم وإيمان ـ كعلم يعالج مرض القلوب ومرض الأبدان من جهة ، وإيمان لترسيخ مفاهيم الدعوة الإسلامية والعقيدة وتعاليم الإسلام وسننه .

لقد تحدث الرسول الكريم ﷺ في الطب ، والصحة والمرض ، والوقاية من العدوى وفي فضائل الأطباء ، بل إن بعض الكتب التي جمعت أحاديث الرسول ﷺ تعتبر بلغة العصر (دائرة معارف للطب النبوي) ضمنها المفاهيم الوقائية والعلاجية من منظور إيماني إسلامي .

ولا يمكن مثلا أن ننسى مقاما قاله رسول الله ﷺ من أن المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء ، وبقيت هذه المقولة الشريفة تحتل مكانها الرفيع في الممارسة الطبية طيلة العصور الإسلامية ، بل إنها قاعدة طبية أساسية معمول بها حتى وقتنا الحاضر[٣] .

وهذا ، وغيره مما سوف نراه ـ يدحض قول بعض المستشرقين الذين زعموا أن النواحي الصحية والطبية مهملة في الإسلام .

ينحصر المفهوم الوقائي في الطب النبوي فيما يلي :

أولا : النظافة من الإيمان

حث الإسلام على النظافة وجعلها من الإيمان ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : النظافة من الإيمان[٤] .

والمعروف أن من أهم تعاليم الإسلام إيجاد جيل صحيح سليم ، لا يتم ذلك إلا بالعناية بالصحة الفردية التي منها يتوصل إلى صحة المجموع ، ولذلك أشار الرسول الكريم ﷺ بقوله (العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان)[٥] .

وقد قدم رسول الله ﷺ علم الأبدان لأن من لا يتبصر في نفسه لا يتمكن من معرفة ربه عز وجل .

والنظافة فوق أنها تقوى الله ومن الإيمان وهي أحد أركان الإسلام ، لأن الصلاة لا تتم إلا بها ، والصلاة من أهم أركان الإسلام الخمسة التي بني عليها ، إلا أن النظافة هي وقاية من الأمراض السارية والأوبئة المعدية .

تعد نظافة الأقسام الظاهرة من الجسم أساساً في طهارته والتي يعتبر فيها الجلد الدرع الواقي المتين ، والحصن المكين لما تحته من الأنسجة والأعضاء . وهو عرضة لملامسة مواد متنوعة من غبار وجراثيم وفضلات ورواسب وأوساخ تجتمع على سطحه فتولد الأقذار الكريهة والروائح القبيحة . وقد تسد الأوساخ مسام الجلد فتحدث أمراضا عامة وموضعية .

والنظافة ـ والطهارة ـ تشمل طهارة الأجزاء المكشوفة أو الخارجية للجسم ، ومسام الجلد ، والفم والأنف والعينين والأذنين ، وطهارة الجسم العامة هي الاغتسال .

وقد جمع رسول الله ﷺ في منهج الطب النبوي ، الطب كعلم وإيمان ، ففي الصلاة وطبقا لأوامر القرآن الكريم ، يلزم الوضوء ، الوضوء من الإيمان ، وهو من أكبر مفاهيم الوقاية لأن الوضوء بالماء يقي الوجه مما يعلق به ويقي العينين مما يصيبها ويلوثها ، وينظف الأنف من إفرازاته التي التقطت أثناء التنفس من الأوساخ التي قد تذهب إلى القصبات ، فالقصبات الرئوية ، فالرئة . كما أن غسل الأذنين يزيل ما يتراكم فيها من إفرازات تفرز في الأذنين لاصطياد الجراثيم ، والضرر الذي يمكن أن يلحق بالأذنين ويؤدي إلى التهابهما ، كما أن عملية الوضوء تنشط الدورة الدموية لاستحسان تدليك الأعضاء التي يجري غسلها في أثناء الوضوء[٦] .

وقد أوصى رسول الله ﷺ وأمر بالاستنان (أي تنظيف الأسنان) بالسواك وهو عود من خشب شجر الأراك له ألياف دقيقة يستعمل لتنظيف الأسنان .

فقال رسول الله ﷺ (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك قبل كل صلاة)[٧] .

يقول الباحث عفيف عبدالفتاح طبارة :

(ولو نظرنا إليه من الناحية الطبية ، أي الأراك ، لوجدنا أن هذا النبات يتكون كيمائيا من ألياف السيليلوز وبعض الزيوت الطيارة ، وبه راتنج عطري وأملاح معدنية وأهمها : كلور الصوديوم والبوتاسيوم واكسالات الجير)[٨] .

وقد حث الطب النبوي على التطهر من النجاسة ، والنجاسة هي اسم أطلق على كل ماهو ملوث بالجراثيم ، أو على الأقل عرضة لنقل العدوى والمرض إلى الإنسان لذا أمر الإنسان بالتطهر منها كوقاية ، فقد قال رسول الله ﷺ :

(إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء ، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره ، ولا يتمسح بيمينه)[٩] .

وإعجاز الطب النبوي في هذا الحديث بالنسبة للنهي عن التنفس في الإناء إذا شرب المسلم ، لأن شارب الماء قد يتنفس في إناء الشرب فيخرج مع نفسه في الزفير ما يخالط الشراب إذ الماء من اللعاب أو من غاز ثاني أوكسيد الكربون ، وربما يغص شارب الماء عند تنفسه لامتزاج النفس والشراب وعدم وجود الهواء الكافي للتنفس .

ومن مفاهيم الطب الوقائي في الطب النبوي أن رسول الله ﷺ أمر بالوقاية من البلهارسيا قبل أن تعرف البشرية هذا المرض الخطير بمئات السنين . قال رسول الله ﷺ :

(لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه) .

وفي هذا الحديث حارب النبي ﷺ البلهارسيا وغيرها من الأمراض ، ذلك أن الماء الراكد إذا بال فيه الإنسان وخاصة إذا كان مصابا بمرض ما ينقل العدوى إلى سواه . وفي قول الرسول الأعظم ﷺ حكمة نبوية طبية جليلة القدر وهي أن الماء الجاري تقل فيه العدوى إن لم تنعدم .

وقد أمر رسول الله ﷺ إجمالا بنظافة الجسم بصورة عامة ، باعتبار أن النظافة هي أرقى صور الوقاية من الأمراض .

قال رسول الله ﷺ

(خمس من الفطرة : الاستحداد والختان وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظافر)[١٠] .

فالاستحداد ، أي إزالة شعر العانة وما حولها خشية أن تكون مقرا للطفيليات ومختلف أنواع الجراثيم بالنظر لقربها من القبل والدبر ، أما الختان فإن وجود (القلفة) وهي التي تغطي الحشفة قد يكمن تحتها بعض الجراثيم ، ولذلك وجب أن تزال ليسهل تطهيرها وإزالة ما قد يصيبها في أثناء الجماع أو التبول . أما قص الشارب ـ فلا يعني إزالته تماما ـ ولكن قصه بحيث لا يتكاثف شعر الشارب فيكون مقرا للإفرازات الأنفية وغير ذلك . والإبط يمكن أن يكون مقرا للإفرازات الجلدية الضارة ، وقد ينتقل إليه بعض الطفيليات من العانة ولذلك وجب نتف شعر الإبط . أما الأظافر فإنها كثيرا ما تخفي تحتها الأوساخ والجراثيم ولذلك وجب تقليم الأظافر وقصها .

ويمضي المنهج الوقائي في الطب النبوي بشأن نظافة الجسم ، فأمر رسول الله ﷺ بالاستنجاء ، وهو طهارة الناحية التناسلية وأمر بالعناية بالطعام والشراب ، ونهى عن لحم الخنزير وشرب الخمر وغير ذلك .

وهكذا في المفهوم الوقائي في الطب النبوي يتضح لنا في سنن النبي ﷺ وأفعاله في نظافة الجسم ، عظمة هذا المنهج ، على الرغم من تعاقب السنين وهاهو لا يزال في جدته وصدقه لم تخفه وتقضِ عليه تطورات العلوم المعاصرة وتعاقب الأحداث لأنه من عند الله على لسان رسوله وصفيه ﷺ .

ثانيا : الطب النبوي . . والحجر الصحي

جاء الطب النبوي بأول مفهوم وقائي للحجر الصحي ، بل إن رسول الله ﷺ هو أول من وضع قانون الحجر الصحي ، وسبق الطب النبوي بذلك الطب الحديث .

ففي الصحيحين عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون ؟ فقال أسامة : قال رسول الله ﷺ : (الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل ، وعلى من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه)[١١] .

هذا الطاعون الذي لو علمت أوربا بقانون الطب النبوي وعملت به حين اجتاحها الطاعون في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي لخفت حينئذ الخسائر التي منيت بها الأرواح فقد قدر عدد الموتى الذين قضى عليهم هذا المرض ٢٥ مليون نسمة[١٢] .

والطاعون من حيث اللغة : نوع من الوباء ، قاله صاحب الصحاح . وهو عند أهل الطب : ورم رديء قتّال ، يخرج معه تلهب شديد مؤلم جدا ، يتجاوز المقدار في ذلك ، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر ، ويؤول أمره إلى التقرح سريعا . وفي الأكثر يحدث في ثلاثة مواضع : في الإبط وخلف الأذن والأرنبة ، وفي اللحوم الرخوة[١٣] .

والمقصود بما قاله رسول الله ﷺ عند وقوع الطاعون ، أن الرسول الكريم جمع للأمة في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه ، كمال التحرز منه فإن في الدخول في الأرض التي هو بها تعرضا للبلاء ، وموافاة له في محل سلطانه ، وإعانة الإنسان على نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل . بل تجنبه الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشد الله إليها[١٤] .

وبلغة أهل الطب ، فإن المفهوم الوقائي في حديث النبي ﷺ عن الطاعون هو ما يتبع الآن في الوقاية من الطاعون ، فإذا أصيبت مدينة ما بهذا الوباء ، أقيم حولها « حجر صحي » يمنع أي شخص من الخروج منها ، ويمنع دخول أي شخص إليها ، ما عدا الأطباء ومعاونيهم ، وبذلك يمنع المرض من الانتشار خارج هذه المدينة ، ويتم حصار الوباء في مكان واحد مما يسهل فيه مراقبة المصابين وعلاجهم ،

بل إن الطب النبوي لم يغفل المفهوم الوقائي بالنسبة للحيوان ، وفي ذلك يقول النبي الكريم ﷺ (لا يوردن ممرض على مصح)[١٥] .

أي لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل السليمة فيعدي مريضها سليمها[١٦] .
ولقد أشار الشاعر العربي إلى ذلك بقوله :

لا تربط الجرباء حول سليمة خوفاً على تلك السليمة تجرب

وقد عرف رسول الله ﷺ العدوى ، وأوضح المفهوم الوقائي لها قبل أن تكتشف الجراثيم ، وقبل أن يعرفها أطباء الشرق والغرب . قال رسول الله ﷺ :

(فر من المجذوم فرارك من الأسد)[١٧] .

في هذا الحديث ما يوضح حرص الرسول العظيم ﷺ على مافي الأمراض الوبائية من أخطار العدوى . ومن الملفت للنظر في هذا الحديث النبوي ، أن هناك دورامن أدوار مرض الجذام يبدو فيه المصاب بوجه ذي سحنة تشبه وجه الأسد ولذلك دعيت حديثا (السحنة الأسدية) ؟

وهكذا رأينا من النبي الأمي ﷺ المنهج الوقائي في الطب النبوي ، هذا المنهج الذي ارتكز أساسا على الدعوة إلى نظافة الجسم ، وتأثير هذه النظافة في الوقاية في كثير من الأمراض والالتهابات . كما أن المنهج الوقائي للطب النبوي قدّم لنا ما يطلق عليه بلغة العصر الحديث الآن الحجر الصحي ، قبل أن تعرفه البشرية كلها بمئات السنين .

المفهوم العلاجي في الطب النبوي

ارتكز المفهوم العلاجي في الطب النبوي إلى قاعدة طبية إيمانية جليلة القدر ، هي ما قاله رسول الله ﷺ أمرا بالتداوي والعلاج . روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير ، عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ أنه قال : لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل[١٨] .

وفي الصحيحين : عن عطاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما أنزل الله من داء ، إلا أنزل له شفاء[١٩] .

وفي مسند الإمام أحمد ، من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال : كنت عند النبي ﷺ ، وجاءت الأعراب ، فقالوا : يا رسول الله : أنتداوى ؟ فقال : نعم يا عباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء ، غير داء واحد . قالوا : وماهو : قال : الهرم .

ارتكز المفهوم العلاجي في الطب النبوي بداية على الأمر بالتداوي ، وترسيخ الأسباب والمسببات في نفوس المسلمين والمسلمات من أن الله تعالى بيده كل شيء ، وأن الداء والدواء من قدر الله عز وجل .

وهذه الأحاديث التي أوردناها وعلى رأسها : لكل داء دواء ، والأمر النبوي الذي يقول فيه (تداووا) فإن الله تعالى لم يضع داء إلا ووضع له شفاء . هذه الأحاديث هي من جهة تقوية لنفس المريض والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه ، فإن المريض إذا استشعر في نفسه أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء ، ونجا من حرارة اليأس وانفتح له باب الأمل . وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء ، أمكنه طلبه والتفتيش عليه[٢٠] .

وفي هذا المفهوم العلاجي رد على من أنكر التداوي ، كما أن هذا المفهوم حارب الشعوذة والخزعبلات والأوهام ، وأبطل الطلاسم والرقى مما كان يستعمله الكهنة في الجاهلية ، وسفه أحلام من نسبوا بعض الأمراض للجان والعفاريت ، ولقد ترك هذا المفهوم المجال للبشر لمعرفة أسباب الأمراض وكشف علاجها .

ومن إعجاز الطب النبوي كما قلنا أنه المنهج الوحيد الذي جمع فيه رسول الله ﷺ بين الإيمان والطب ، أو الإيمان

والعلاج ، فالمسلم مطالب بالإيمان أصلا في كل عقائده وسلوكيات حياته ثم إن المسلم إذا مرض فإنه بداية يؤمن أن هذا المرض الذي ابتلاه الله به هو من قدر الله ، والمسلم كذلك يؤمن بأن التداوي أيضا من قدر الله ، وهذا منهج طبي إيماني فذ وإعجازي .

وقد حفظت لنا السنة النبوية الشريفة ، وهدي رسول الله ﷺ ما يمكن أن نصفه بأنه « دائرة معارف طبية نبوية » في العلاج والتداوي .

والواقع أن الرسول الكريم ﷺ لم يكن طبيبا بالمعنى الذي نعرف الآن ، ولكنه كان رسولا ملهما ملما بالمعاني السامية التي تحمي المرء وتسدل عليه ثوب العافية نفسيا وطبيا ، وهو مقيد عليه الصلاة والسلام بتعاليم أنزلت عليه من السماء ، بآيات قرآنية تتضمن الحرص على صلاح الناس وإصلاحهم في أجسامهم وعقولهم وحالاتهم الاجتماعية .

هل عرفتم إذن لماذا نشدد في وصف الطبيب المسلم بأنه صاحب أعظم مهنة إنسانية في هذا الكون .

اعترف الرسول الكريم إذن بالطب والأطباء ، وحث المسلمين على الاستفادة بكل ما يساعد الإنسان على حفظ صحته وعافيته ، وكانت أدوية الرسول الكريم مفردة لا مركبة على ما كان يوصى به وهو العدول عن الدواء المركب إذا كان الحصول على الشفاء بالدواء المفرد .

وعن العلاج بالأدويةوالمداخلات الطبيةالتي أمر بها رسول الله ﷺ فإن العمل بهايتطلب الإيمان بكل ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حيث لا ينتفع من هذا المفهوم العلاجي إلا من تلقاها بقبول حسن واعتقد الشفاء بها ، فلم يوص بها رسول الله ﷺ إلا بعد أن تلقاها بوحي من ربه تبارك وتعالى .

وسوف نورد هنا على سبيل المثال ماجاء في المفهوم العلاجي للطب النبوي :

١ ــ المداواة بالعسل
٢ ــ حديث الحجامة والقسط
٣ ــ حديثة الحبة السوداء
٤ ــ حديث السنا
٥ ــ حديث مداواة الحمى

١ ــ المداواة بالعسل

جاء في القرآن الكريم عن عسل النحل ﴿ . . **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾[٢١] .

وجاء المفهوم العلاجي للمداواة بالعسل في الحديث الصحيح
عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ وقال : إن أخي يشتكي من بطنه فقال : اسقه عسلا ، ثم أتاه

الثانية : فقال : اسقه عسلا ، ثم أتاه الثالثة فقال : اسقه عسلا ثم أتاه الرجل فقال : فعلت وما زال . فقال له الرسول الكريم ﷺ : صدق الله وكذب بطن أخيك . اسقه عسلا . فسقاه فبرأ[٢٢] .

ويريد رسول الله ﷺ بقوله : صدق الله ، قوله تعالى ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ وعسل النحل أمر به رسول الله في الحديث السابق لمداواة الإسهال بالمسهل ، لطرد الأخلاط الفاسدة من المعدة والأمعاء حسب أصول الطب الحديث .

وإذا رجعنا إلى تركيب عسل النحل كيميائيا وجدنا أنه يحتوي على ٢٥ ـ ٤٠ في المائة جلوكوز فالجلوكوز الموجود فيه هو بيت القصيد ، وهو سلاح الطبيب في أغلب الأمراض ، واستعماله في ازدياد مستمر بتقدم الطب ، فيعطى بالفم ، وبالحقن الشرجية ، وتحت الجلد وفي الوريد ويعطى بصفته مقويا ومغذيا وضد التسمم الناشىء من أمراض أعضاء في الجسم مثل :

١ ــ التسمم لبولي الناشىء من أمراض الكبد .
٢ ــ الاضطرابات المعدية والمعوية .
٣ ــ التسمم في الحميات مثل التيفوئيد ، والالتهاب الرئوي ، والسحائي المخي ، والحصبة .
٤ ــ في حالات ضعف القلب .
٥ ــ في حالات الذبحة الصدرية إلى آخره[٢٣] .

ولعسل النحل تأثير ملطف يزيد في إفرازات الفم ، فيفيد في حالات صعوبة الابتلاع ، وجفاف الحلق ، وبعض حالات السعال الجافة ، ولذلك أدخل عسل النحل طبيا في تركيب كثير من الغراغر وأدوية السعال . كما أن العلم الحديث أثبت أن عسل النحل علاج عظيم لتسمم الحمل .

وهذه التجربة المفيدة في هذا المقام ، فقد تم اختيار ٢٠ سيدة حوامل الحمل الأول في الشهور الثلاثة الأخيرة من الحمل ، وكان ضغط الدم يتراوح ما بين ٩٠/١٤٠ - ١٠٠/١٦٠ بمتوسط قدره ٩٨,٥/١٤٧,٧٥

وحمض اليوريك يتراوح ما بين ٥ ـ ٩ بمتوسط قدره ٧,١ ملجم في المائة ملليلتر دم . وكانت درجة (الاوديما) و (البروتين) في البول من متوسطة إلى شديدة . وقد تم اختيار عسل النحل للعلاج على أساس خصائصه وهو أنه مهدىء ومدر للبول واحتواؤه على مكونات مادة (البروستجلاندين) وهي المادة التي تكون ناقصة في مرض تسممات الحمل .

وقد استخدم عسل النحل ثلاث ملاعق قبل الإفطار بساعة ، وثلاث ملاعق بعد الغداء بساعتين ، وثلاث ملاعق بعد العشاء . وقد استجاب للعلاج ٧٥ في المائة من الحالات بعد فترة متوسطها ١٥,٥ يوما وأصبح ضغط الدم بعد العلاج يتراوح ما بين :

٧٠/١٢٠ ـ ٩٠/١٤٠ بمتوسط قدره ٨٤,٥/١٢٦,٢٥

وانخفض حمض اليوريك في الدم إلى متوسط ٢٥ , ٥ ملليجرام في المائة ملليلتر وانخفضت الاوديما والبروتين في البول[٢٤] .

٢ ــ حديث الحجامة والقسط

جاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
(إن أمثل ـ أي أفضل ـ ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري) .

والحجامة من أنجح الطرق لمعالجة سكان المناطق الحارة ، لأن إخراج الدم إلى ظاهر البدن يفيد كثيرا ، ذلك لأن الأمراض إما أن تكون دموية أو غير دموية ، فإن كانت من القسم الأول فشفاؤها إخراج الدم بالحجامة من جزء مناسب من الجسم ، كابتداء الإصابة بالفالج وضغط الدم نتيجة امتلاء الشرايين به وما ينجم عنه من احتقان بالمخ وغيره[٢٥] .

أما القسط[٢٦] فقد ذكرت له عدة فوائد عديدة ، وتنبت أكثر أنواعه في بلاد الهند ، وأخصها وأحسنها المدعو بالقسط العربي أو البحري والسبب في تسميته القسط البحري لأنه ينبت أيضا في بعض جزر الهند التي يحيط بها البحر من جميع الجهات .

وقد صنفت منافع القسط إلى منافع ثلاث :

١ ــ النوع المستعمل في الطب الباطني فهو مقو عام وخاصة للمعدة ، وإذا غلي بالماء فإنه يدر البول والطمث ، وإذا طبخ بالعسل المصفى ، فإنه يفيد الجهاز التنفسي ويشفي ضيق النفس وأوجاع الكلى والكبد وقيل إنه يفتت الحصاة .

٢ ــ الاستعمال الظاهري : إذا ذر مسحوقه على الجروح جففها ، وإذا مزج مع زيت الزيتون واستعمل مروخا (دهانا بالتدليك) في أمراض الصدر وأمراض الرحم وفي الشلل وعرق النسا . وتقطير دهنه بالأذن يسكن ألمها .

٣ ــ استنشاق بخوره يقطع الرشح ويشفي الزكام ويسكن أوجاع المفاصل[٢٧] .

جاء في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على السيدة عائشة رضي الله عنها وعندها صبي يسيل أنفه فقال : ما هذا ؟ قالوا إنها : العذرة ، فأمر رسول الله ﷺ بالقسط يحك ويسعط به ففعلوا فشفي .

٣ ــ حديث الحبة السوداء

ثبت في الصحيحين من حديث أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام)[٢٨] .
والحبة السوداء يسمونها بالفارسية (الشونيز) وتسمى الكمون الهندي[٢٩] .

وتسمى في العديد من مجتمعات أمتنا العربية بـ (حبة البركة) . وهي حبة تنبت في بلاد فارس ذات طعم حريف ، ورائحة عطرية ، وهي تنبت كذلك بالهند وأفريقيا وصعيد مصر .

وللحبة السوداء استعمالات طبية من الباطن والظاهر ، فاستعمالاتها الباطنية أنها تفيد في النزلات الصدرية وهي مقشعة للبلغم ، وهي تحلل الأخلاط الضارة بالجسم وتفرزها إلى الخارج . وقيل إنها إذا شربت بماء وعسل فإنها تفتت الحصاة ، وإذا مزجت بماء الشيخ أخرجت الديدان من الأمعاء ، ودخانها طارد للهوام[٣٠] .

أما استعمالاتها من الظاهر فقد لوحظ أن مزجها مع غيرها من العقاقير يفيد في بعض الأمراض الجلدية وتحليل الأورام ، وإذا ما نقعت في الخل يوما ثم سحقت واستنشقها المريض سعوطا أبرأت آلام الرأس .

٤ ــ حديث السنا

السنا هو نبات حجازي ، أفضله المكي وهو دواء شريف مأمون الغائلة قريب من الاعتدال ، يسهل الصفراء والسوداء ، ويقوي القلب[٣١] .

روى ابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال :
(عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام) .
والسنا يلين الطبيعة ، ويسهل تدفق الصفراء ، ويهضم الدهون ، ويمنع عسر الهضم[٣٢] .

وقد أورد ابن قيم الجوزية فضائل السنا من أنه ينفع في الصداع العتيق والقمل وينشر الشعر ، ويعالج الجرب والبثور ، والحكة والصرع[٣٣] .

٥ ــ حديث الحمى

ثبت في الصحيحين ، عن نافع عن ابن عمر ، أن النبي ﷺ قال :
(إنما الحمّى أو شدة الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء)

والطب النبوي عالج الحمى بمثل ما يعالجها العصريون والحكماء والمتخصصون وهي الماء البارد[٣٤] .
ولا يزال حتى اليوم نرى أطباء الحميات يصفون للمحمومين حمامات الماء البارد للقضاء على نوبات الحمى المصاحبة للالتهابات الرئوية أو الالتهابات المعوية . بل إن حالات الحميات عند اشتداد الحرارة تعالج بالماء بطريقتين :

الأولى : من الخارج على هيئة مكمدات باردة أو مثلجة ، لغرض تهبيط وإنزال درجة الحرارة .
الثانية : تعاطي الماء بالفم بكثرة أثناء الحميات ، يساعد جميع أعضاء الجسم ـ خصوصا الكليتين ـ على النهوض بوظائفها الحيوية للجسم .

بل إن بعض الأطباء الفاهمين يستبشرون خيرا بالحمى ، ذلك أن الحمى تكون أنفع من شرب الدواء بكثير فإنها تنضج من الأخلاط والمواد الفاسدة ما يغير البدن ، فإذا أنضجتها صادفها الدواء متهيئة للخروج بنضاجها فأخرجها فكانت سببا للشفاء .

وقد ثبت أنه في بعض الأمراض المزمنة مثل مرض الروماتيزم المفصلي المزمن ، الذي تتصلب فيه المفاصل وتصبح غير قادرة على التحرك ، أو مرض الزهري المزمن في الجهاز العصبي تتحسن كثيرا بارتفاع درجة حرارة الجسم ، أي في حالات الحميات ولذلك من ضمن طرق العلاج الطبي في مثل هذه الحالات عمل « حمى مصطنعة » أي إيجاد حالة حمى في المريض بحقنه بمواد معينة .

وقبل أن ننهي هذا البحث الموجز المتواضع لابد أن نشير إلى أن الرسول الكريم ﷺ عني بتثقيف أمته ثقافة صحية تلقى تعاليمها من ربه ، واستنبط بعضا منها من كُنْه الحياة وإدراك خصائص النفس ، ومن ذلك التعرف إلى حاجة الجسد والنفس ، والعلم بالوسائل المؤدية إلى حفظ التوازن بين حاجة الجسم وحاجة النفس وإعطاء كل من عنصري الإنسان المذكورين الأساسيين حقه .

وقد ألقينا بعض الضوء على المفهوم الوقائي والمفهوم العلاجي في الطب النبوي ، ولا نزعم أ ننا أوردنا كل مايتعلق بهذين المفهومين ، أو كل ما لايحتوي منهج الطب النبوي ، ولكن قدمنا بعض الأمثلة على سبيل المثال لتوضيح المفهوم الوقائي والمفهوم العلاجي في الطب النبوي .

وقد أوضحنا في المفهوم الوقائي كيف أن الطب النبوي كان أول من أوجد نظام الوقاية الطبية الصحية ، وأن هذاالمفهوم وتلك الوقاية قومت على أساس من تنفيذ فرائض وسنن شريعة الله ، بمعنى أن الجديد الذي ذكرناه أن المفاهيم الطبية النبوية (الوقائيى يعالج أمراض الأبدان من جهة ، ومن جهة أخرى ترسيخ الإيمان كما جاء به الدين الحنيف . كما أن هذه المفاهيم تدحض شبهات الذين زعموا أن الإسلام لم يهتم بأمر الصحة العامة .

وقد شرحنا ضمن المفهوم الوقائي دور النظافة وأثرها في النظرة الصحية العامة من جهة ، ومن جهة أخرى دور النظافة في تطبيق شعائر وأركان الدين الحنيف . وكيف أن النظافة من أكثر الأشياء التي اهتم بها الإسلام ، وأنها هي أول الأسلحة الوقائية من العديد من الأمراض . كما شرحنا كيف أن الطب النبوي هو أول من جاء بأول مفهوم وقائي للحجر الصحي واستدللنا فيما تقدم بالأحاديث النبوية الشريفة في هذا المقام .

وعن المفهوم العلاجي في الطب النبوي فقد ألقينا بعض الأضواء على هذا المفهوم وشرحنا كيف أنه ارتكز أساسا على قاعدة إيمانية هي أن الداء والدواء من قدر الله ، والأمر بالتداوي والطب والمعالجة ، ثم قدمنا بعض الأحاديث للأسلوب العلاجي النبوي الذي أرشدنا إليه سيد الأولين والآخرين ﷺ .

ويهمنا أن نكرر أننا لم نورد كل ما فعله وقاله رسول الله بشأن المفهوم الوقائي والمفهوم العلاجي في الطب النبوي ، ذلك أن الإلمام بهذا كله يحتاج إلى كتب ومؤلفات في هذا المقام .

ونحن قد التزمنا في بحثنا هذا بشروطه وعدد صفحاته ، بما يوضح أننا ألقينا بعض الضوء ـ لا الضوء كله ـ على المفهوم الوقائي والعلاجي في الطب النبوي .

والله من وراء القصد وصلى الله على خاتم النبيين وسيد المرسلين صلاة وتسليما دائمين .

هوامش

(١) د . توفيق الطويل : في تراثنا العربي الإسلامي ص ٩٨ .
(٢) د . كمال السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي ١/٢٦٣ .
(٣) انظر المصدرالسابق ١/٢٦٤ .
(٤) رواه البخاري .
(٥) انظر هذا المعنى في ابن قيم الجوزية : الطب النبوي ص ٤ .
(٦) انظر المقال لقيم للدكتور : مصطفى شريف العاني : الظواهر الصحية والطبية في أحاديث الرسول محمد مجلة المورد العراقية ـ العدد ٤ ـ ١٤٠١ هـ ـ ص ص ١١٠ إلى ١٢٨ .ى
(٧) رواه أهل السنن .
(٨) عفيف عبدالفتاح طبارة : روح الدين الإسلامي ص ٤٣٣ .
(٩) رواه البخاري .
(١٠) رواه البخاري ومسلم .
(١١) رواه البخاري ومسلم .
(١٢) عفيف عبدالفتاح طبارة : مصدر سابق ص ٤٤٣ .
(١٣) ابن قيم الجوزية : مصدر سابق ص ٢٩ .
(١٤) المصدر السابق ص ٣٣ .
(١٥) رواه أحمد والشيخان وابن ماجه عن أبي هريرة .
(١٦) عفيف عبدالفتاح طبارة : مصدر سابق ص ٤٤٣ .
(١٧) رواه البخاري ومسلم .
(١٨) رواه مسلم .
(١٩) أخرجه أيضا : النسائي وابن ماجه .
(٢٠) ابن قيم الجوزية : مصدر سابق ١٢ وما بعدها .
(٢١) سورةالنحل / ٦٩ .
(٢٢) رواه البخاري .
(٢٣) عفيف عبدالفتاح طبارة : مصدر سابق ص ٤٤٢ .
(٢٤) بحث قيم للأساتذة الأطباء : محمد بيومي سمور ، وعلي يزيد علي ، ومحمد علي في مؤتمر الإعجاز الطبي في القرآن الكريم الذي عقد بالقاهرة أواخر ١٩٨٥ (مجلة منبر الإسلام المصرية صفر ١٤٠٦ هـ) .
(٢٥) ابن قيم الجوزية : مصدر سابق ص ٤١ وما بعدها .
(٢٦) د . السيد الجبيلي : إعجاز الطب النبوي ص ١١٢ .
(٢٧) مقال الدكتور مصطفى شريف العاني ـ مصدر سابق ـ مجلة المورد ص ١٢٣ .
(٢٨) أخرجه أيضا الترمذي وأحمد ، وأخرجه أيضا البخاري وابن ماجه وأحمد عن عائشة رضي الله عنها .
(٢٩) ابن قيم الجوزية : مصدر سابق ص ٢٢٩ وانظر د . السيد الجبيلي : مصدر سابق ص ٨٠ .
(٣٠) ابن قيم الجوزية : مصدر سابق ص ٢٣٠/٢٣١ .
(٣١) المصد رالسابق ص ٥٩ .(٣٢) د . السيد الجبيلي : مصدر سابق ص ٩٧ .
(٣٣) ابن قيم الجوزية : مصدر سابق ص ٥٩ .
(٣٤) د . السيد الجبيلي : مصدر سابق ص ٥١ .

مراجع البحث

* صحيح البخاري .
* صحيح مسلم .

* مسند الإمام أحمد .
* سنن ابن ماجه .
* سنن الترمذي .

١ ــ الطب النبوي : ابن قيم الجوزية ـ مراجعة وإشراف : عبدالغني عبدالخالق ـ طبعة دار احياء الكتب العربية بلقاهرة ـ ١٣٧٧ هـ .
٢ ــ إعجاز الطب النبوي : د . السيد الجبيلي ـ دار ابن زيدون بيروت ودار أسامة دمشق ـ طبعة أولى ١٤٠٥ هـ .
٣ ــ روح الدين الإسلامي : عفيف عبدالفتاح طبارة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ طبعة ١٧ يوليو ١٩٧٨ .
٤ ــ في تراثنا العربي الإسلامي : د . توفيق الطويل ـ سلسلة عالم المعرفة ٧ـ دولة الكويت ـ جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ .
٥ ــ مختصر تاريخ الطب العربي : د . كمال السامرائي ـ وزارة الثقافة الإعجاز ـ بغداد ـ العراق ١٩٨٤ .
٦ ــ مجلة المورد العراقية العدد ٤ المجلد ٩ ـ ١٤٠١ هـ .
٧ ــ مجلة منبر الإسلام المصرية ـ عدد صفر ١٤٠٦ هـ (اكتوبر ١٩٨٥) بها ملحق عن مؤتمر الإعجاز الطبي في القرآن الكريم .

تقليم الأظفار

في ضوء التراث النبوي والعلوم الطبية

للدكتورين

يحيى ناصر خواجي

كلية الطب والعلوم الطبية جامعة الملك فيصل

الدمام - المملكة العربية السعودية

أحمد أبو الوفا عبد الآخر

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحابته وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

يتناول البحث واحدا من الخصال الهامة التي حثت عليها السنة النبوية ألا وهي (تقليم[1] الأظفار[2])

فلقد ورد بشأن (تقليم الأظافر) أحاديث صحاح كثيرة ، وهو فضلا عن كونه واحدا من سنن الفطرة إلا أنه يدخل في موضوعات (التراث الطبي النبوي) المتعلقة بالطب الوقائي والمحافظة على سلامة الأبدان ، شأنه في ذلك شأن نظافة العجان ، واستعمال السواك ، والمضمضة والاستنشاق في الوضوء ، وغسل اليدين قبل تناول الطعام ، إلى غير ذلك من التعاليم الإسلامية وآداب الطهارة والزينة ، التي هي في حقيقتها دعائم للطب الوقائي بالمفهوم المعاصر ، والذي يمكن أن نضعها في الإطار الموضوعي العلمي[3] (الطب الوقائي الإسلامي) .

موضوع البحث :

يتكون من شقين ، أحدهما ديني والآخر طبي ، وذلك في بابين :

١ ــ الباب الأول : مبحث إسلامي عن تقليم الأظفار والأحاديث النبوية الواردة فيه ، والموانع الشرعية لإطالة الأظافر ، والنظرة الإسلامية الجمالية لتقليم الأظافر .

٢ ــ الباب الثاني : مبحث طبي يلقي الضوء على الأضرار الناتجة عن (إطالة الأظفار) مخالفة للفطرة ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾[٤] وهو عمل يتعارض مع تعاليم الإسلام كما جاءت بها السنة النبوية[٥][٦]، التي هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله «القرآن الكريم».

وبهذا يكون الباب الأول مختصّاً بسنة تقليم الأظفار في الشريعة الإسلامية ، والباب الثاني مختصّاً بأضرار الأظفار على ضوء العلوم الطبية .

أغراض البحث :

الأغراض والمغزى من البحث والغايات التي نهتم في تحقيقها ، نذكرها فيما يلي :

١ ــ التنبيه ولفت النظر إلى السنة النبوية الحافلة بالموضوعات الطبية في ثنايا الآداب والتعاليم ، أو في التراث الطبي النبوي ، حتى يتجه الباحثون مسلمون وغير مسلمين ، نحو هذا المصدر الإسلامي العامر بحقائق المعرفة ، ويتحقق دور الأبحاث العلمية المستمدة من التراث النبوي في الإسهام في التقدم العلمي المعاصر .

٢ ــ الربط في الدراسة بين الفقه الإسلامي والتراث الطبي النبوي وبين الدراسات الطبية ، بقصد أن تكون الدراسة نموذجا لما يمكن أن تكون عليه الموضوعات الدراسية المنهجية (الأكاديمية) للطب الإسلامي .

٣ ــ إلقاء الضوء على تعاليم الإسلام وجوانب المصلحة فيها وذلك عن طريق الدراسات المشتركة : الإسلامية والعلمية والمادية ، وذلك لبيان التكامل في تعاليم الإسلام وتعانق المصالح فيها : فالزينة في الإسلام ـ ومنها تقليم الأظافر على سبيل المثال ـ جزء لا يتجزأ من صحة الأبدان ، والوقاية من الأمراض ، والمظهر الجمالي ، وسمو النفس وكرامة الإنسان .

وبهذه الدراسة والعرض المشترك ـ الديني والمادي والتجريبي ـ يزداد وضوح الرؤية للمسلمين فيزداد تمسكهم بتعاليم دينهم ، كما أن غير المسلمين ـ في مجال الدعوة الإسلامية ـ يتعرفون على الإسلام وتعاليمه ، بفكرهم الموضوعي ومنطقهم المادي ، كما يطلعون على جوانب الإعجاز العلمي والطبي في القرآن الكريم والسنة النبوية مما يساعد على تصحيح المعلومات ووضوح صورة الإسلام المشرقة أمامهم فيقبلون عليه ، أو يزدادون معرفة به فيقبلونه ويؤمنون به .

٤ ــ مقاومة العادات والتقاليد السيئة الدخيلة على الدول الإسلامية باسم (التغريب) وذلك بالمواجهة العلمية عن طريق الدراسات والأبحاث المشتركة (الدينية ـ والعلمية المادية) .

الجديد في البحث :

١ ــ العرض الديني المتعدد الجوانب لسنة « تقليم الأظفار » والدراسة الطبية لمخالفة السنة (بإطالة الأظافر) وبيان الأضرار الناتجة عن هذه المخالفة ولهذا فإن الدراسة المشتركة ـ الدينية والطبية لهذه السنة النبوية ، وبتعدد جوانبها تعتبر جديدة في المنهج الدراسي وفي التكامل والبيان الموضوعي .

الباب الأول
تقليم الأظفار في ضوء التراث النبوي الشريف

معاني التقليم :

١ ــ التقليم لغة :

هو تفعيل من القلم وهو القطع ، وكل ما قطعت منه شيئا بعد شيء فقد قلمته ، من ذلك القلم الذي يكتب به وإنما سمي قلما لأنه قلم مرة بعد مرة . ومن هذا قيل قلمت أظفاري ، وقلمت الشيء : بريته ، وقلم الظفر والحافر والعود يقلمه قلما وقلمه : قطعه بالقلمين ، واسم ما قطع منه القلامة .

الليث : القلم قطع الظفر بالقلمين .

قال الجوهري قلمت ظفري وقلمت أظفاري : شدد للكثرة[٧] .

٢ ــ تقليم الأظفار شرعا :

إزالة ما يزيد على ما يلابس رأس الإصبع من الظفر ، ويستحب الاستقصاء في إزالة الأظفار إلى حد لا يدخل منه الضرر على الإصبع[٨] .

٣ ــ التقليم اصطلاحا :

إزالة ما يزيد عن الشيء ليكون صالحا لأداء مهمته ومناسبا للاستعمال . فالقلم يقطع مرة بعد مرة أي (يقلم) ليظل صالحا ومناسبا للكتابة به والشجر ـ كذلك ـ يقلم بإزالة ما ضعف من فروعه وأوراقه ، ليظل مورقا ، قوي الأغصان ، مثمرا .

والظفر كذلك ، يقلم بقص ما يزيد منه على ما يلابس رأس الإصبع ، ليظل محافظا على حيويته وسلامته ، مؤديا لمهمته .

أولا
تقليم الأظفار من سنن الفطرة

لقد روي عن النبي صلوات الله وسلامه عليه ، الأحاديث الصحيحة عن سنن الفطرة ومنها (سنة تقليم الأظفار) . وقد وردت هذه السنة في كتب الحديث الصحيحة لأئمة الحديث (البخاري ـ ومسلم ـ ومالك ـ والترمذي ـ وأبو داود والنسائي . . رضي الله عنهم) وجاءت في مواضع متعددة منها : في صفة النبي ﷺ ، في الطهارة ، في الأدب ، في الزينة ، في اللباس . . .

باب خصال الفطرة ، باب ما جاء في السنة في الفطرة ، باب ما جاء في تقليم الأظفار . باب قص الشارب ـ باب نتف الإبط . ومن هذا يتبين أهمية «سنة تقليم الأظفار» في الهدى النبوي الشريف وفي الآداب الإسلامية .

١ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : (الفطرة خمس ، أو خمس من الفطرة : الختان ، والاستحداد ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط ، وقص الشارب) متفق عليه[٩]
الاستحداد : حلق العانة ، وهو حلق الشعر الذي حول الفرج .

٢ ــ عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء ، قال الراوي : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة ، قال وكيع ـ وهو أحد رواته : انتقاص الماء يعني الاستنجاء . رواه مسلم[١٠][١١] .
(البراجم) بالباء الموحدة والجيم وهي عقد الأصابع .

٣ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط) .
وفي رواية : الفطرة خمس ـ أو خمس من الفطرة . . وذكر نحوه . أخرجه الجماعة[١٢] .

٤ ــ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « من الفطرة حلق العانة وتقليم الأظفار وقص الشارب » أخرجه البخاري . وفي رواية النسائي قال : « الفطرة قص الأظافر ، وأخذ الشارب ، وحلق العانة»[١٣] .

ثانيا
التوقيت في تقليم الأظافر

١ ــ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : « وقت لنا ـ وفي رواية ، قال : وقت لنا رسول الله ﷺ ـ في قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة : أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة » . أخرجه أبو داود والترمذي ومسلم والنسائي . وقال أبو داود : « وقت لنا » أصح . وقال النسائي : وأكثر من أربعين يوما » ، وقال مرة « أربعين ليلة»[١٤] .

٢ ــ في صحيح مسلم عن أنس قال : « وقت لنا النبي ﷺ في قص الشارب وتقليم الأظفار ، ألا نترك أكثر من أربعين يوماً وليلة»[١٥].

٣ ــ وقال النبي ﷺ : « من قلم أظفاره يوم الجمعة وقى من السوء إلى مثلها » رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها[١٦] .

ومما سبق من الأحاديث نرى أن التوقيت في تقليم الأظفار وضع بين حدين :

١ ــ الحد الأعلى الذي لا يزيد عنه المسلم في ترك الأظفار ، وهو أربعون يوما (أو أربعون ليلة) ، وجاء التحديد بصورة النهي بعبارة « أن لا نترك » .

٢ ــ الحد الأدنى بمدة أسبوع . وفي يوم الجمعة بالذات ، ليكون تقليم الأظفار ضمن سنن الجمعة[١٧]. وجاء التحديد بصورة الترغيب بعبارة « وقى من السوء » .

ثالثا
الموانع الشرعية لإطالة الأظفار

قد تكون (إطالة الأظفار) إهمالا وجهلا ، وهذه خصلة منفرة وغير مقبولة لدى المجتمعات المتحضرة لاتساخ الأظافر وقبح شكلها .

وهناك على الجانب الآخر (إطالة الأظفار) تأنقا وتجملا وزينة ، باسم التمدن (والموضة) وقد انتشرت هذه الخصلة السيئة في العالم ، وانتقلت إلى العالم الإسلامي رغم مخالفتها للآداب الإسلامية وسنن الفطرة كما وردت بالسنة النبويةالشريفة وابتلى بها نساء المسلمين بصفة خاصة . وأصبح العالم ـ الآن ـ ينفق المبالغ الضخمة على (إطالة الأظفار) وتجميل هذه الزوائد المخلبية ، والمحافظة عليها كما أصبح لهذه البدعة السيئة ـ المنافية لتعاليم الإسلام ـ من يهتم بها ويحرص عليها من المتخصصين والخبراء ، وأصحاب الحرف ، وشركات إنتاج المستحضرات ، ومحلات بيع هذه المستحضرات ، والكل مسخر للعناية بهذه المخالب البشرية تلبية لرغبات من يتزينون بها ، وذلك وفق مخططات شيطانية عالمية لاستدارج البشرية إلى مهاوي الرذيلة ومواطن الفساد في كل أمور الحياة .

وحيث إن (إطالة الأظافر) عمدا والتزين بهذه الزوائد المخلبية يعتبر عملا منافيا لتعاليم الإسلام ، فمن الواجب على المسلمين أن يتجنبوا تلك البدعة السيئة وإلا فإنهم يرتكبون عملا مخالفا لشريعة الإسلام ، كما أن كل من يتكسب من طريق هذه البدعة السيئة ـ يكون متكسبا من عمل لا يقره الإسلام ، وعليه أن يترك هذا العمل ويتكسب من طريق آخر لا يتعارض مع تعاليم الإسلام ، ليكون مكسبه حلالا .

ونذكر المخالفات والموانع الشرعية المتعلقة بإطالة الأظافر فيما يلي :

١ ــ تتعارض بدعة (إطالة الأظافر) مع سنن الفطرة التي جاءت بها الأحاديث النبوية وهي بالتالي تتعارض مع هدي النبي ﷺ ، والمسلمون مطالبون باتباع كل ما جاء به النبي ﷺ ، واجتناب كل ما نهى عنه .

٢ ــ (الأظفار الطويلة) قد تكون سببا في تعذر وصول الماء إلى مقدم الأصابع ، كما أن المستحضرات التي تدهن بها الأظافر بقصد تجميل (الزوائد المخلبية) تترك طبقة ذات سمك على الأظافر ، وتحول بينها وبين ماء الوضوء ، ويترتب على ذلك في كلا الحالين عدم إسباغ[١٨]الوضوء ، أو عدم حسنه[١٩]، مما يتطلب إعادة الوضوء مرة أخرى ، وإزالة (الدهانات) قبل الوضوء .

وهناك فتاوى بعدم صحة الوضوء في حالة وجود مواد التجميل ذات السمك والتي تسمى (مونيكير)[٢٠] على الأظافر ، ووجوب إزالتها من على الأظافر قبل الوضوء ليصح الوضوء وتصح الصلاة ، ومن هذا نرى أن الأظافر الطويلة قد تكون سببا في عدم صحة الوضوء[٢١] .

٣ ــ الأضرار المترتبة على طول الأظافر ـ والتي سنذكرها بمشيئة الله ـ في مبحث الدراسات الطبية ـ تجعل هذه البدعة تتعارض مع شريعة الإسلام ـ التي جاءت تحافظ على حياة الإنسان وصحته وسلامته ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾(سورة البقرة / ١٩٥) « لا ضرر ولا ضرار » .

٤ ــ « إطالة الأظافر » تشبه ومحاكاة لأهل الكفر والفساد ، في عمل يتعارض مع الهدي النبوي ، ولا يخفى على أي مسلم أن التشبه بأعداء الإسلام في تقاليدهم ولباسهم ومناسباتهم عمل يتعارض مع شريعة الإسلام ، وهو منهي عنه خاصة إذا كان التشبه من باب الاستحسان والتقدير في أمور تتعارض مع تعاليم الإسلام .

٥ ــ التغريب Westernization : وهو إصطلاح يقصد به « طبع المسلمين بطابع الحضارة الغربية وإزالة الحواجز الناشئة عن الاختلاف في الدين واللغة وفي التقاليد والعادات » وذلك لسهولة التأثير والسيطرة عليهم ، وإبعادهم عن دين الإسلام ، ولقد اجتاحت (دعوة التغريب) العالم الإسلامي في عهود الانحطاط بعد أن وضع أعداء الإسلام (مخططات التغريب) وقام أعداؤهم من خارج العالم الإسلامي ومن داخله بتنفيذ تلك المخططات التي أخذت أشكالا متعددة الجوانب وأساليب متنوعة لكل دعاتها والمنفذين لها ، والواقعين في شركها : فالذوق والأناقة ، وآداب التعامل (الإتيكيت) . . من وسائل التغريب وأكثرها قبولا وشيوعا في العالم المعاصر ، (وإطالة الأظافر) واحد من أساليب التغريب ، تسلل إلى المجتمعات الإسلامية النسوية تحت ستار (مقاييس جمال المرأة[٢٢] ودخل من باب التجميل وما يتصل به من الأدوات والأساليب والبواعث والمناسبات ـ الخ ، وفي الاتجاه نحو التغريب بما يتعارض مع تعاليم الإسلام انسلاخ عن هذا الدين المتكامل وخروج عن طاعة الله سبحانه وتعالى ، وهدي رسوله صلوات الله وسلامه عليه .

٦ ــ (إطالة الأظافر التجميلي) الذي ابتدعه غير المسلمين ، ويقومون بالتحكم فيه وتغييره من وقت لآخر باسم (الموضة) يكلف المرأة الكثير من المال والاهتمام والوقت والجهد ، ويكفي أن نعلم أن تجميل تلك (الزوائد المخلبية) يمر بعدة مراحل ويقوم به حرفيون متخصصون ، حرفتهم تجميل الأظافر الطويلة ، كما أن هذا التجميل بالذوق غير الإسلامي يحتاج إلى العديد من المستحضرات ، تشتريها المرأة وتقتنيها بصفة دائمة ، وتفرد لها نفقات خاصة ضمن ما تشتريه من مستحضرات التجميل الأخرى ذات الأذواق الغربية والاتجاهات غير الإسلامية والتي تكلفها الكثير من المال .

وكل ما تنفقه المرأة لتجميل الأظفار الطويلة والعناية بها يوجه إلى غير الوجهة الإسلامية المشروعة ، فضلا عن الإسراف والتبذير ، وكلها تصرفات يحذر منها الإسلام وينهى عنها .

٧ ــ إطالة الأظافر ،فضلا عن كونه تباعدا عن الطبيعة الإنسانية وعن سنن الفطرة﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾[٢٣]

فإنه نزوع إلى الطبيعة الحيوانية وتشبه بالحيوانات ذات المخالب[٢٢] ولا غرابة في هذا التشبه من جانب غير المسلمين وقد اعتنقوا بفكرهم الإلحادي وعملهم المادي ما يسمى (بالدارونية) أو (التطور) وحسبوا الإنسان من سلالة حيوانية ، تلي (القردة) في سلم التطور الحيواني ، كما أن الثدييات التي تحمل الأظفار والمخالب تضمها مجموعة واحدة لا فرق في ذلك بين الإنسان والحيوان[٢٤] وهذا التشبه الحيواني بإطالة الأظفار لتصبح كالمخلب عمل لا يقبله الذوق الإسلامي الذي تحكمه شريعة الإسلام وما بها من نظرات التكريم إلى بني الإنسان ، باعتباره خليفة الله في الأرض كرمه الله وأحسن خلقه .

ويطيب لنا بعد هذا العرض الشامل « للموانع الشرعية في إطالة الأظفار » أن نختمه بالقول الفصل من السنة النبوية الشريفة : أنكر رسول الله ﷺ على بعض الصحابة إطالة أظفارهم .

فقد أخرج البيهقي في « الشعب » من طريق قيس بن أبي حازم قال : « صلى رسول الله ﷺ صلاة فأوهم فيها ، فسئل فقال : مالي لا أوهم ورفغ أحدكم بين ظفره وأنملته » ومعناه أنكم لا تقلمون أظفاركم ثم تحكون بها أرفاغكم فيتعلق بها ما في الأرفاغ من الأوساخ المجتمعة . قال أبو عبيد : أنكر عليهم طول الأظفار وترك قصها[٢٥][٢٦][٢٧] .

رابعا
التزين بتقليم الأظفار والنظرة الإسلامية الجمالية

التعرف على (سنة تقليم الأظفار) من خلال التزين والنظرة الجمالية الإسلامية أمر لابد منه . والإسلام دين شامل ومتكامل ومتجانس لهذا نجد أن : اللباس ، والزينة والجمال الحسن ، وستر العورة ، والطهارة ، والمغايرة بين الرجولة والأنوثة ، والمحافظة على الصحة ، وعدم الإسراف ، كلها مطالب إسلامية ، يرتبط بعضها ببعض في منهج إسلامي واقعي وعملي ، يستمد أصوله من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ، وذلك في إطار الشريعة الإسلامية .

(وجمال الأظفار) بتقليمها ، يأخذ موقعه بين هذه المطالب الإسلامية ولا يخرجه عنها : اتباع الهوى ، ودوافع النفس ، ونزغات الشيطان ، وغواية بني الإنسان ، ومادام الإسلام قد جاء بنظرة شمولية متكاملة لمطالب الإنسان في دنياه وآخرته ، ومادام التزين والجمال والحسن كمطالب إنسانية تدخل ضمن هذه النظرة الشمولية ، فمن الواجب أن تكون بظرة المسلمين إلى هذه المطالب على ضوء الشريعة الإسلامية .

(وتقليم الأظفار) في شريعة الإسلام تتمشى مع نظرة الإسلام الشمولية للزينة والجمال وهذا نجد (سنة تقليم الأظفار) جاءت في كتب الحديث في مواضع عدة : في الزينة ، والطهارة واللباس والأدب ، وخصال الفطرة .

ونبين أوجه الزينة والجمال في تقليم الأظفار بالنظرة الإسلامية الشمولية فيما يلي :

١ ــ خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم ، وجعل له في شكل جمالي أصابع يستعملها في أغراض شتى ، ويحافظ على نهايتها غلاف قرني هو (الظفر) وبهذا التكوين الخلقي الجمالي يتحدد الغرض من (الظفر) وهو حماية

رأس الإصبع ويتحدد حجم الظفر بألا يزيد عن رأس الإصبع ليكون على قدر الغرض الذي من أجله وجد ولكي يتحقق التناسق بين الإصبع والظفر من واقع المصلحة .

٢ ــ جاء (تقليم الأظفار) ضمن سنن الفطرة ، وبهذا تتحدد الزينة والشكل الجمالي للأظفار . وجاءت كلمة (التقليم) تعبيرا عن قص الأظفار وبذلك ظهرت الحكمة الجمالية ، وهي إزالة الزائد من الظفر ليظل محافظا على حيويته وسلامته ومؤديا لمهمته .

٣ ــ التخلص من الأوساخ وعوامل تجمعها ـ كشعر العانة والزائد من الأظفار ـ من أركان الزينة والجمال ، وكل فعل جمالي لا يحقق ذلك فهو مردود على فاعله ، ونظرة الإسلام الشمولية للزينة والجمال تحرص على إزالة الأوساخ وعوامل تجمعها بالجسم ، وبهذه النظرة الشمولية فإن (تقليم الأظفار) يحقق إزالة الأجزاء الزائدة منها فلا توجد جيوب بين الأنامل والأظفار قد تتجمع فيها الأوساخ . وبهذا العمل الجمالي (بتقليم الأظفار) تتحقق أغراض ثلاثة : التخلص من الجزء الزائد من الظفر ، استبعاد وجود جيوب بين الأنامل والأظفار قد تكون مكمنا للأوساخ ، سهولة تنظيف رأس الإصبع وإزالة ما قد يوجد من أوساخ . ولا يخفى أن النظافة ترتبط ارتباطا وثيقا بالزينة في شريعة الإسلام ، بل إن النظافة شعبة من شعب الإيمان .

٤ ــ من شروط الزينة والجمال في شريعة الإسلام ستر العورات[٢٨] لدى الرجال والنساء كل بقدرها الشرعي ، فلا تتزين المرأة بملابس تكشف عن عوراتها أو تشف عما تحتها أو تبرز مكوناتها ، والرجل مأمور بذلك أيضا في حدود عوراته .

كما أن زينة المرأة حتى ما خفى منها[٢٩] كأصوات الخلاخيل ، ورائحة العطور يجب أن لا تبديها لغير محارمها ، وسنة تقليم الأظفار تحقق هذه النظرة الجمالية ، فهي تصرف المسلمات عن تقليد غير المسلمات في إطالة الأظفار ، وتزيينها وتلوينها بالأصباغ ، مما يجعل منها زينة تظهر بها المرأة أمام غير المحارم لتعذر إخفائها حيث إنها توجد في أطراف اليد التي غالبا ما تكون عارية غير محجوبة .

٥ ـ الاعتدال في الزينة وعدم الإسراف والتهافت على وسائل التجميل أمر ضروري في شريعة الإسلام (وتقليم الأظافر) يضع الإنسان أمام أسلوب للزينة والجمال لا يحتاج إلى نفقات أو تكاليف ولا يتطلب جهدا وعكس ذلك إطالة الأظفار ، والتأنق في تجميلها وما يحتاجه ذلك من مال وجهد .

٦ ــ لقد كرم الله الإنسان وجمله وجعل بينه وبين الحيوان فوارق كثيرة وكل فعل أو تشبه بالحيوان مرفوض في شريعة الإسلام ، والجمال في الإسلام يرتبط بالالتزام بسنن الفطرة ، وإطالة الأظفار فيه تشبه بالحيوان ، وفيه تعارض مع سنة تقليم الأظفار ، لهذا فإن الأظفار الطويلة ، مرفوضة بمقاييس الجمال والزينة في الإسلام .

الباب الثاني
تقليم الأظفار على ضوء العلوم الطبية

يشتمل هذا الباب بصفة أساسية على دراسة للأضرار الناتجة عن (إطالة الأظفار) التي تخالف سنة تقليم الأظفار التي تناولها البحث في الباب الأول . وستكون الدراسة بمشيئة الله ـ على النحو التالي :

أولا : مبحث عام

ثانيا : الأضرار التي تسببها زوائد الأظفار (الزوائد الظفرية) .

ثالثا : الأضرار التي تصيب الأظفار بسبب إطالتها .

رابعا : الأضرار الناتجة عن تجميل الأظفار (والزوائد الظفرية) .

أولا
مبحث عام

١ ــ **تعريف** : (الظفر) : جزء أضافي قرني يغطي ظهر الجزء الخلفي من السلامى الأخيرة لإصبع يد الإنسان أو إصبع قدمه .

Nail, (Unguis- Onyx):

A horny appendage to the Fingers and toes which covers the Covers the back of the end portaion of the terminal phalaux.

الشكل الظاهري :

يتكون (الظفر) من رحم الظفر (أو منبت الظفر (Nail Matrix) ومن الدثار الظفري (Nail pad) الذي يتكون من الصفيحة الظفرية (Nail Plate) ويغطي جزء السلامى الأخيرة (الأنملة) والذي يسمى (مرقد الظفر) (Nail Bed) وهذا هوالظفر العادي الفعال : (Normal Function Nail)

وكل ما يزيد من الصفيحة الظفرية (Nail Plate) عن الجزء الملامس لنهاية الأنملة (السلامى الأخيرة) فهو جزء زائد عن الظفر ويسمى (Distal Plate)

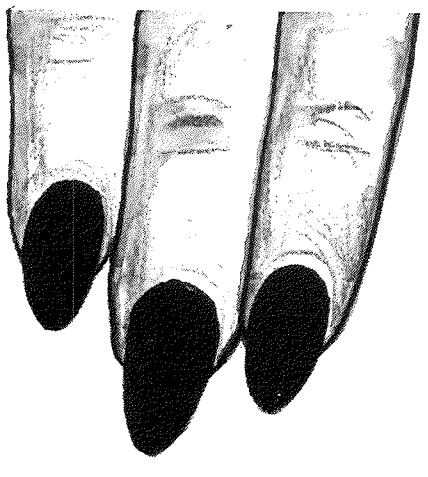

شكل (١)

٣ ــ وظيفة الظفر[٣٠] (الظفر العادي الفعال) : (Normal Functioning nail)

حماية أطراف الأصابع ، وزيادة صلابتها وكفاءتها وحسن الأداء عند الاحتكاك أو الملامسة ، ولهذا فإن الجزء الزائد عن الظفر والخارج عن طرف الأنملة لا قيمة له ووجوده ضار ، كما يقلل من كفاءة السلامى الأخيرة للأصابع .

٤ ــ الزوائد الظفرية وإطالة الأظفار :

الزوائد الظفرية هي أجزاء الصفائح الظفرية (Nail Plate) التي تزيد عن (الظفر الطبيعي الوظيفي) (Normal Functioning Nail) الذي ينتهي قبل حافة الأنملة بقليل . وتنشأ هذه الزوائد الظفرية عن طول الأظفار أو إطالتها مخالفة لسنة تقليم الأظفار التي تحدثنا عنها في الباب الأول ويهمنا التركيز على (إطالة الأظفار عمدا) باعتبارها الأمر المستهدف من وراء البدعة السيئة المستوردة من البلاد غير الإسلامية باسم (موضة إطالة الأظفار) .

وبالمقاييس الجمالية المصطنعة لهذه البدعة السيئة ، يتفاوت طول الزوائد الظفرية من أقل من ١ سم إلى ما يزيد عن ١ سم . وتأخذ هذه الزوائد ـ حسب المقاييس الجمالية التي يتحكم فيها خبراء هذه البدعة السيئة ـ أشكالا متعددة تعتمد أساسا على الشكل المسحوب ، حيث تضيق الزيادة الظفرية بالتدريج نحو الحافة الخارجية (Outer Edge) وقد يكون السحب كبيرا بحيث تنتهي الزيادة الظفرية بطرف رفيع واحد لتصبح الأظافر أشبه بمخالب الحيوانات كشكل جمالي يختاره المصممون والخبراء (لموضة إطالة الأظفار) .

وينتج عن هذه (الزوائد الظفرية)جيوب[٣١]أو (كهوف) بين نهاية الأنملة الخارجي وطرف (الزوائد الظفرية) الداخلي : (Basial end) وفي هذه الحالة تتجمع الأوساخ بكل أنواعها ، ويحتاج التخلص منها وتنظيف تلك الأماكن إلى جهد ووقت وتدخل من جانب محترفي مهنة تجميل الأظفار ولهذا تكون النتيجة الواقعية تواجد الأوساخ في معظم الأوقات بهذه الجيوب .

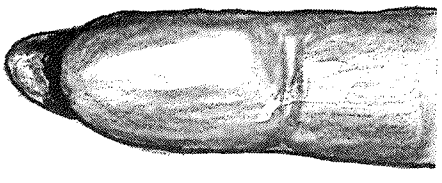

٢ ــ شكل يبين الزائدة الظفرية

ثانيا
الأضرار التي تسببها زوائد الأظفار (الزوائد الظفرية)

ونقصد بتلك الأضرار التي تسببها الزوائد الظفرية ، بعيدا عن الأظفار والزوائد الظفرية ، ومنطقة الظفر ، وهذه الأضرار ترجع إلى عاملين أساسيين :

أ ــ الجيوب الظفرية : التي تنشأ بين الزائدة الظفرية ونهاية الأنملة ـ وبها تتجمع الأوساخ والميكروبات وغيرها من مسببات العدوى[٣٢] .

ب ــ الزوائد الظفرية وما تحدثه بسبب طولها وأطرافها الحادة من إصابات : (Injuries) تلحق بجسم الشخص نفسه أو تلحق بالآخرين . كما أنها تكون سببا في إعاقة الحركة الطبيعية اخرة : (Normal Free Movement) لأصابع اليد وأطراف الأنامل .

أ ــ الأضرار الناتجة عن الجيوب الظفرية

١ ــ تتجمع الميكروبات وغيرها من مسببات العدوى مع الأوساخ في الجيوب الظفرية (انظر الشكل رقم ٢) حيث يصعب تنظيف هذه الأماكن، كما يتعذر شطفها بالماء (Difficulty of Rinsing With Water) الأمر الذي يجعل أطراف الأصابع مصدرا للعدوى خاصة في حالة الأمراض التي تنتقل عن طريق الفم، وعلى العكس فإن الأظافر التي تقلم دائما لا تكون بها تلك الزوائد الظفرية والجيوب الظفرية، ويسهل تنظيفها وغسلها بالماء خاصة عند الوضوء للصلاة، ولهذا لا تتجمع بأطراف الأصابع الأوساخ أو ناقلات العدوى .

ونجد أن المراجع العلمية للطب العلاجي ، عندما تتحدث عن بعض الأمراض التي تنتقل عن طريق الفم ، تذكر أحيانا في العلاج (قص الأظافر وتنظيفها بصفة مستمرة) ومن الحالات المرضية التي تؤكد فيها كتب الطب العلاجي على هذا الإجراء[٣٣]« داء الديدان الدقيقة الذيل (Entrobiasis) والذي يسببه في الإنسان ، طفيلي » الدودة الدقيقة الذيل (Pin Warm) والتي تسمى (أكسيورس Oxyuris) (انظر الشكل رقم ٣)

والاقتصار على (تقليم الأظفار) كإجراء علاجي ـ يلتزم به المرضى دون غيرهم وفي بعض الأمراض ـ يعتبر عملا محدودا ، ونظرة ضيقة ، ولهذا يجب التنبيه على أن يكون (تقليم الأظفار) عملا مستمرا يحرص عليه الإنسان كسنة من سنن الفطرة وسلوك وإجراء وقائي من الأمراض ، وذلك يتمشى مع مباديء الطب الوقائي التي تسبق في أهميتها تعليمات الطب العلاجي في المحافظة على سلامة الأبدان وصحة الإنسان ، وعندئذ يلتزم المسلمون وغيرهم بسنة تقليم الأظفار .

٢ ــ تتجمع بالجيوب الظفرية أوساخ من المواد التي تتناولها الأيدي كالأطعمة ، أو تلمسها كفضلات التغوط ، أو التي تنفصل من سطح الجلد عند الهرش بالأظافر ، ويصعب إزالة هذه الأوساخ إزالة كاملة بالغسل العادي للأيدي ، ولهذا فقد يبقى جزء من هذه الأوساخ بداخل الجيوب الظفرية التي تصبح مصدرا للروائح الكريهة .

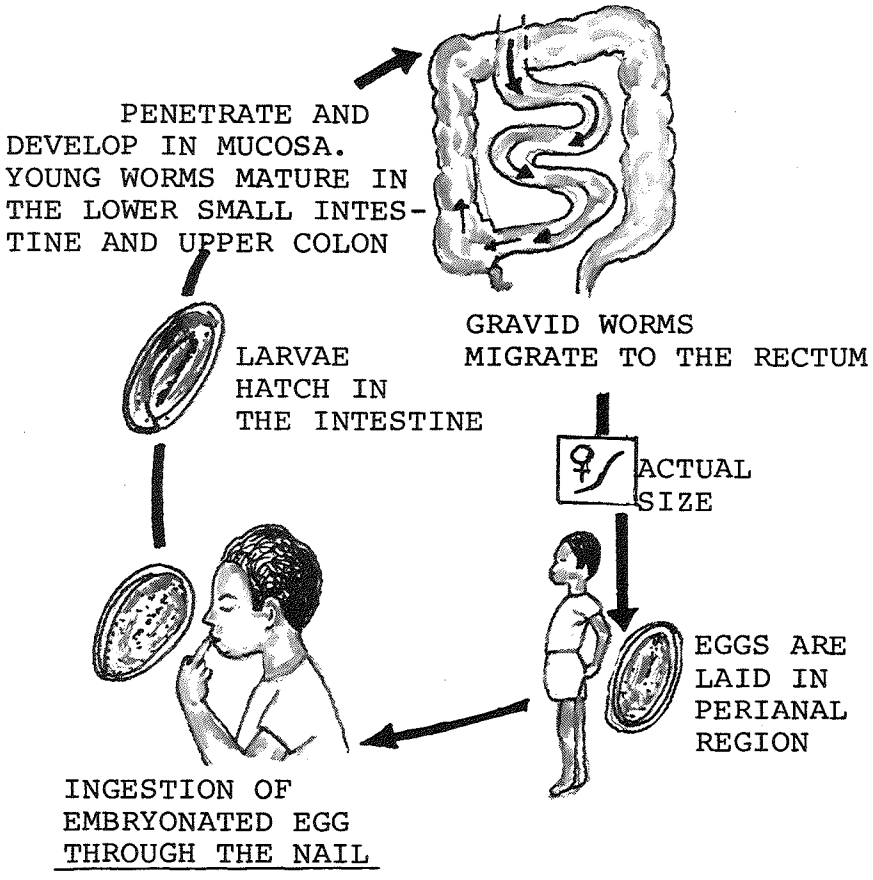

LIFE CYCLE OF ENTEROBIUS VERMICULARIS

٣ ــ في الأعمال التي تتطلب إمساك المواد السامة أو ملامستها فإن جزءاً من هذه المواد قد يتجمع بالجيوب الظفرية ، ويصعب إزالتها بالغسل العادي للأيدي وقد تنتقل هذه المواد السامة إلى داخل الجسم عن طريق الأصابع والفم مما يلحق أضرارا بصحة الإنسان .

الأضرار الناتجة عن الزوائد الظفرية

١ ــ قد يصيب الشخص نفسه بالزوائد الظفرية ، وقد يصيب غيره ، ومن الأضرار الشائعة إصابات العين التي قد تصل إلى إحداث قرحة بها بسبب الخدش بالزوائد الظفرية ، وكذلك الإصابات التي تتراوح ما بين خدش الجلد والجروح السطحية إلى الجروح الغائرة خاصة في حالة الحركة العنيفة للأيدي كما في حالة الشجار ، وعندما تكون الزوائد الظفرية ذات نهاية حادة .

٢ ــ تكون الزوائد الظفرية سببا في إعاقة الحركة الطبيعية الحرة للأصابع وبملاحظة حركات الأصابع (انظر الشكل رقم ٤) والأنامل وأطرافها الأمامية في حالات القبض أو الإمساك أو الملامسة يتبين أن الزوائد الظفرية تعيق هذه الحركات . وكلما زادت الزوائد الظفرية في الطول ، كلما كان التأثير على كفاءة أصابع اليد وأطراف الأنامل أشد .

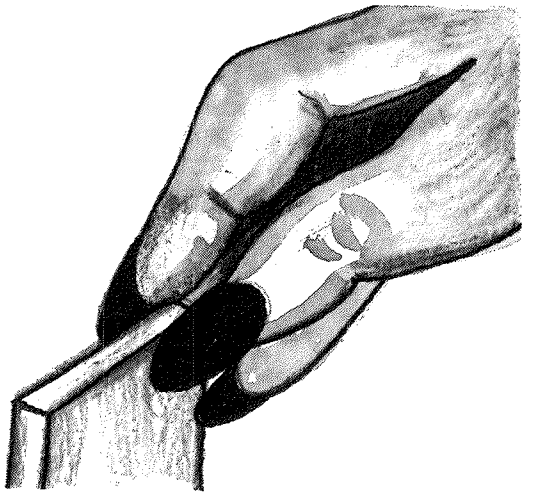

ويمكن ملاحظة الآتي :

١ ــ إعاقة الملامسة بواسطة أطراف الأنامل .

٢ ــ إعاقة حركة الانقباض للأصابع بالوضع الطبيعي بسبب الزوائد الظفرية التي تلامس الكف قبل إتمام حركة انقباض الأصابع .

٣ ــ التغيير الذي يطرأ على الحركات الطبيعية للإمساك والقبض وباقي حركات الأصابع بسبب إعاقة الزوائد الظفرية .

ولا يخفى أن هذا التأثير على حركات الأصابع وأطراف الأنامل واستمراريته ينعكس على الأداء الوظيفي للأصابع وعلى انثنائها مما قد يلحق الأضرار بمفاصل الأصابع .

ثالثا
الأضرار التي تصيب الأظفار بسبب إطالتها

من هذه الأضرار ما يلحق بالزوائد الظفرية ، ومنها ما يلحق بالأظفار وما حولها من أجزاء الأنملة وباقي الإصبع . وتنقسم الأضرار إلى ما يلي :

أ ــ الأضرار المباشرة التي تلحق بالزوائد الظفرية :

١ ــ تقصيف الزوائد الظفرية : وهي أضرار شائعة ومتكررة . وتحدث نتيجة اصطدام هذه الزوائد الظفرية بالأجسام الصلبة .

٢ ــ احتراق أطراف الزوائد الظفرية ، فبسبب طولها خاصة الطول المبالغ فيه فإنه يكون من الصعب التقدير والتحكم في البعد بين هذه الزوائد ومصادر النار أو الأجسام الساخنة في حالة حركات اليد والأصابع التي تعتمد على رد الفعل الحركي .

ب ــ الأضرار غير المباشرة التي تلحق بالأظفار والمنطقة الظفرية والإصبع :

وهي أضرار كثيرة ومتنوعة ، وتتفاوت في شدتها وخطورتها ، ونذكر منها :

١ ــ إصابات ناتجة عن الصدمات (Trauma) التي يزيد تعرض الأظفار لها في حالة وجود الزوائد الظفرية ، ومن هذه الإصابات :

١ ـ ١ ـ لخلخة الظفر : الجزئي والكامل ، كمرض رضى .

٢ ـ ٢ ـ مرض (Onchogrophosis)

تتضخم الأظافر لتصبح مشابهة للمخالب ، وقد يكون نتيجة للصدمة أو بسبب الاضطراب الدوري للأطراف ، ومن الأسباب المألوفة إطالة الأظفار المتعمدة أو بإهمال قصها لفترة طويلة .

٣ ـ ١ ـ مرض (Onychauxis) .

يزداد سمك الأظفار دون تشويه (التضخم البسيط) وقد يرجع ذلك إلى تعرض الظفر للصدمات .

٤ ـ ١ ـ مرض (Bean's Lines) (انظر الشكل رقم ٥)

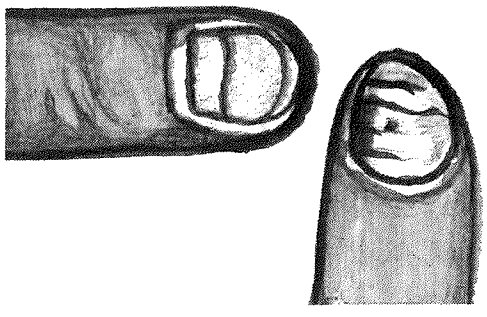

تحدث أخاديد مستعرضة تبدأ في منبت الظفر وتمتد في اتجاه نمو الظفر بسبب عوامل عامة ، أو بسبب الصدمات الموضعية .

٥ ـ١ ـ مرض الأظفار البيضاء (Leukonychia or White nails)

وترجع أسباب المرض إلى الصدمات ، والإصابة بالفطريات .

1-1 Induced elongation of the nails make them Liable to trauma. Trauma predispone to the following diseases:

1-1 Lossing of the nails, as a traumatic disease caused by physical agent.

1-2 Onychogryphosis)[1]

Hypertorphy may produce nails resembling claws. This type may be caused by trauma or peripheral vascular disorders. The commonest cause is probably neglected (failure to cut the nails for very long periods).

1-3 Onychauxis:[1]

Nails are much thickened but without deformity (simple hypertrophy). Simple thichening of the nails may be due to trauma.

1-4 Beaus' Lines:[1]

these are transverse furrows that begin in the matrix and porgress distally as the nail grows. Various systemic and local traumatic factors may cause this --- Trauma may cause them.

1-5 Leukonychia of Whit Anails:[2]

The suspicion, often voiced, that it may be caused by trauma, fingers infections ----

رابعا
الأضرار الناتجة عن تجميل الأظفار (والزوائد الظفرية)

وترجع معظم الأضرار إلى التجميل الموجه إلى الزوائد الظفرية ، والذي يجري بأساليب متنوعة ومنها :

أ ــ المنكير (Manicure) وهو يشتمل على العديد من العمليات ومنها :

١ ــ التمخلب(Calwing) أي جعل الأظفار ذات زوائد طويلة كمخالب الحيوانات . (انظر الشكل رقم ٦)

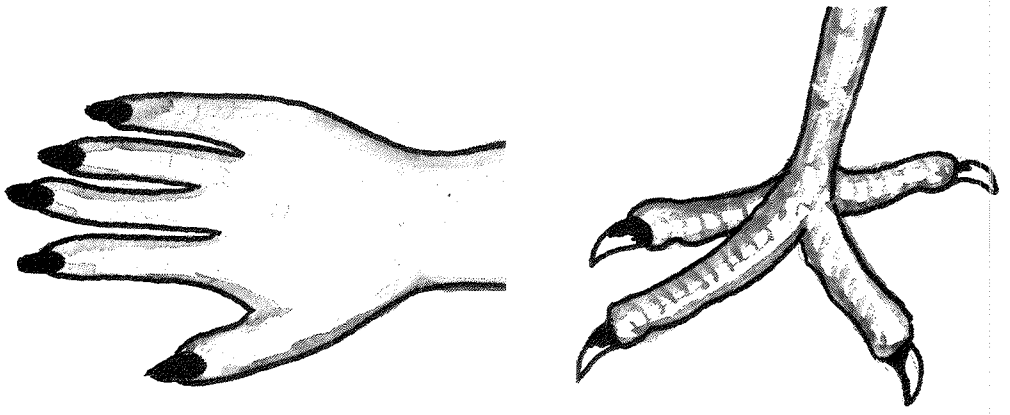

٢ ــ الضغط والتشكيل (Pinching) وذلك بالقرص على الزوائد الظفرية والضغط عليها بقصد تشكيلها بالأشكال المطلوبة .

٣ ــ التغيير في الشكل بالقص (Stabbing)

٤ ــ تصليد الأظفار (Hardening) وذلك باستخدام مصلدات الأظفار (Nail Hardners)

٥ ــ طلاء الأظفار : بقصد تلوينها وتجميلها وذلك بالمستحضرات الخاصة بذلك . (انظر الشكل رقم ٧)

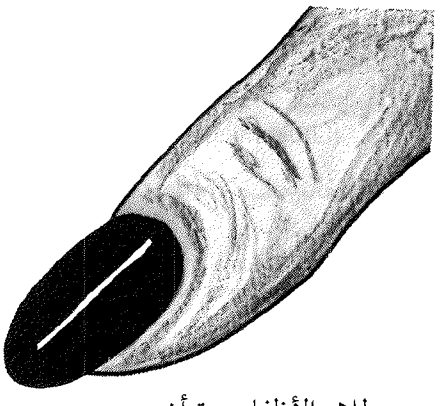

٦ ــ إزالة الطلاء : وذلك لإعادة تلوين وطلاء الأظفار مرة أخرى .

ب ــ زرع الأجسام (Body Implantation) وذلك بتثبيت أجسام للزينة على الأظفار وعلى الزوائد الظفرية بصفة خاصة .

جـ ــ تثبيت الأظفار الصناعية : وهي أجسام من المواد البتروكيماوية (إكريليك) تحاكي الزوائد الظفرية بأشكال وأطوال وألوان مختلفة ، وتثبت في الأظفار الطبيعية ، لتعطيها الأشكال المخلبية المطلوبة . (انظر الشكل رقم ٨)

وتتنوع الأضرار لتأخذ أشكالا مرضية مختلفة ، تنقسم إلى مجموعتين :

أولا : أمراض الأظفار (Nail Diseases)

ثانيا : التهاب الجلد التجميلي (Cosmetic Dermatitis)

أولا : أمراض الأظفار :

١ ــ الأظفار الهشة : (Brittle Nails)

تكون هشة وسريعة التقصف ، ومن أسباب المرض استعمال مزيلات طلاء الأظفار .

٢ ـ مرض (Onychoschizia)

ومن أعراضه تشقق الزوائد الظفرية إلى طبقات من ناحية الطرف الخارجي وهو مشكلة تعاني منها النساء ، وغالبا ما يعود السبب إلى جفاف الأظفار ويجب التوقف عن استعمال طلاء الأظفار .

٣ ــ مرض خلخلة الظفر (Onycholysis)

ومن أعراضه الانفصال التلقائي للصفيحة الظفرية ، ويبدأ في المعتاد من الطرف الخارجي ويمتد نحو الداخل . (انظر الشكل رقم ٩)

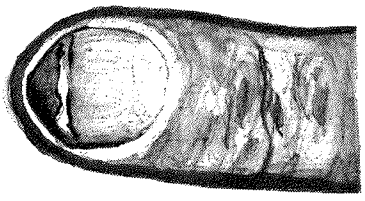

I. Nail Diseases:[1]

1. Onychorrhexis (Brittle Nails):

Brittleness With breakage of the nails may result from excessive strong soap and water exposure, from nail polish remover etc.

2. Onychoschizia:[1]
Splitting of the distal nail into layers at the free edge is a very common problem among women and represents a dysadhesion of the Layers of keratin possibly due to dehydration. Longitudinal splits may also occur. Nail polish should be discontinued---.

3. Onycholysis:[2]
Onycholysis is a spontaneous separation of the nail plate, usually beginning at the free margin and progressing proximally .... Systemic causes have been enumerated e.g. hyper and hypothrodism, pregnancy and syphilis--- In situ causes may be trauma induced by clawing, pinching, stabbing (manicuring) and foreign body implantation... Chemical causes may be use of solvents, nail base coat, nail hardners containing formalin derivatives, artificial nails, or immersion in alkaline hot water.... Treatment consists of topical application of various medications... Trauma should be completely avoided.

وقد تكون الأسباب جسمانية عامة ، وقد يرجع السبب إلى الرضوض التي تتعرض لها الصفيحة الظفرية في عمليات تجميل الزوائد الظفرية (التمخلب الضغط والتشكيل ـ التشكيل بالقص) أو إلى زرع قطع التجميل على الصفيحة الظفرية وقد تكون الأسباب كيميائية كاستعمال بعض المذيبات وقواعد تغليف الأظفار في عمليات التجميل ، وكذلك مواد التصلد والأظفار الصناعية .

ثانيا : التهاب الجلد التجميلي :

وينشأ التهاب الجلد التجميلي نتيجة استعمال المستحضرات المستخدمة في تجميل الأظفار ، ونذكر بعض هذه المستحضرات وما تسببه من الأمراض فيما يلي :

١ ــ طلاء الأظفار :

وقد تحتوي على مركبات السلفونامید ، والراتنجات ، وتعتبر أكثر مسببات الالتهابات الجلدية لجفون العيون والرقبة .

٢ ــ مزيلات طلاء الأظفار :

وهي عبارة عن مذيبات مثل (الاستون) الذي يسبب هشاشة الأظفار .

٣ ــ الأظفار الصناعية :

قد تسبب مادة الاكريلك الإصابة بالتحسس ، وكذلك تفعل (مادة الغراء) التي تستخدم لتثبيت الأظفار غير الطبيعية .

٤ ــ مصلدات الأظفار :

وتتكون أساسا من مادة الفورماهيد ، التي تسبب التحسس وقد تسبب مصلدات الأظفار أمراضا أخرى منها : الداحس (خراج الإصبع) تخلخل الأظفار ، فقدان الأظفار ، النزف تحت الظفر . (انظر الشكل رقم ١٠)

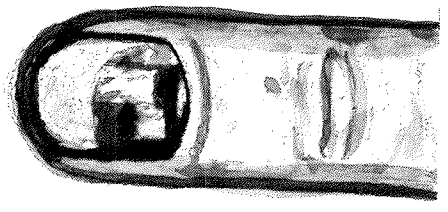

II.Cosmetic Dermatitis: (1)

1.Nail Lacquers: These contain sulfonamides and formaldehyde resins and are the most frequent cuases of eyelid and neck dermatitis.

2. Nail polish Removers:
These are solvents such as acetone, which can cause nail brittleness.

3. Artificial Nails: The acrylic monomers may produce allergic sensitivity as well ad glue required to attach the prosthetic nail.

4. Nail Hardners: Formuldehyde is the most common of nail hardners and produces allergic sensitization. paronychia, onychomadesis' and sabrngual hemorrhage may result from use of these hardners.

نتيجة البحـــث

تقليم الأظفار باعتبارها سنة نبوية ، هي أمر ضروري يأخذ به كل مسلم طاعة لله سبحانه وتعالى ، ولرسوله ﷺ ، وحفاظا على سلامة البدن من منطلق الطب الوقائي وحسب الدراسات الواردة في علم الأمراض الجلدية .

الخاتمـــة

وبعد فإن هذه الدراسة عن (تقليم الأظفار) تعتبر تطبيقا للأسلوب الذي يمكن اتباعه لمقاومة العادات والأفعال السيئة التي تتعارض مع تعاليم الإسلام وذلك بالمنطق العلمي القائم على البحوث والدراسات المتخصصة .

ونذكر في هذا المقام كيف كانت الدعوة إلى سنة تقليم الأظفار في الماضي حيث كانت أغلفة الكراسات المدرسية تحمل النصائح والإرشادات ومن بينها نصيحة خاصة (بتقليم الأظفار) كما كان يجري التفتيش الدقيق على أظفار طلبة المدارس من وقت لآخر في الطابور المدرسي الصباحي ، وهكذا تكون الدعوة إلى كل عمل وذلك بالقول والتطبيق .

هذا وبالله التوفيـــق ،،،

التوصيـــة

محاربة عادة إطالة الأظفار وغيرها من العادات السيئة المناهضة لتعاليم الإسلام وذلك بتقديم الدراسات والبحوث المتخصصة ، والإعلام التربوي المناسب .

ثـــبت المصـــادر

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ ابن الأثير ، المبارك بن محمد : جامع الأصول في أحاديث الرسول ، مطبعة الملاح مكتبة دار البيان ، طبعه سنة ١٣٩٠ هـ .

٣ ــ ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر : زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط ٢ سنة ١٤٠٥ هـ

٤ ــ شيبة الحمد ، عبد القادر : فقه الإسلام ، شرح بلوغ المرام ، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ، ط ١ .

٥ ــ عبد الجواد ، أحمد : الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب ، شركة مكة للطباعة والنشر .

٦ ــ عمر ، محمد عبد العزيز : اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ٢ سنة ١٤٠٦ هـ .

٧ ــ عويضة ، علي محمود ، المعجم الطبي الصيدلي الحديث ، دار الفكر العربي القاهرة سنة ١٩٧٠ م
٨ ــ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .
٩ ــ النووي ، يحيى بن شرف : رياض الصالحين ، دار المأمون للتراث ، دمشق ط ٢ .

10- Milton J. Chatton: Medical Treatment, XIV Ed. 1980
Jones Medical Publication, California, USA, Libr. rie de Liban, Beruit.
11- Andrews', Diseases of the Skin, Clinical Dermatology, 7th Ed.

الهوامش :

(١) المراد من التقليم إزالة ما يزيد على ما يلابس رأس الإصبع من الظفر .
(٢) أظفار اليدين والقدمين للإنسان ـ ظفر (ج . أظفار ـ أظافير ـ أظافر) ظفر .
(٣) نقصد بذلك الشطر العلمي التجريبي للعلوم والذي يطلق عليه (علوم الفطرة) وما يقابلها بالإصطلاح الأوروبي (Science) .
(٤) سورة الروم الآية (٣٠) .
(٥) « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ـ كتاب الله وسنتي » .
(٦) « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » سورة الحشر الآية ٧ .
(٧) لسان العرب جـ ١٢/م ص ٤٩٠/٤٩١ .
(٨) اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ص ٤٠٦/٤٠٧ .
(٩) رياض الصالحين ص ٤٧١ ـ رقم الحديث ١٢٠١ ـ باب فضل السواك وخصال الفطرة .
(١٠) رياض الصالحين ص ٤٧٢ ـ رقم الحديث ١٢٠٢ ـ باب فضل السواك وخصال الفطرة .
(١١) جامع الأصول في أحاديث الرسول ص ٧٧٤ الجزء الرابع رقم الحديث ٢٩٣٠ « أخرجه مسلم » والترمذي وأبو داود والنسائي » (رواه مسلم رقم ٢٦٠ في الطهارة باب خصال الفطرة وأبو داود رقم ٥٣ في الطهارة ، باب السواك من الفطرة ، والترمذي رقم ٢٧٥٨ في الأدب ، باب ما جاء في تقليم الأظفار والنسائي ١٢٦/٨ و ١٢٧ في الزينة باب من سنن الفطرة .
(١٢) جامع الأصول ص ٧٧٣ ـ الجزء الرابع ـ رقم الحديث ٢٩٢٨ (رواه البخاري ٢٨٢/١٠ ـ ٢٩٣ في اللباس ، باب قص الشارب وباب تقليم الأظافر ، وفي الاستئذان باب الختان بعد الكبر ، ونتف الإبط ، ومسلم رقم ٢٥٧ في الطهارة ، باب خصال الفطرة ، والموطأ ٩٢١/٢ في صفة النبي ﷺ ـ باب ما جاء في السنة في الفطرة والترمذي رقم ٢٧٥٧ في الأدب ، باب ما جاء في تقليم الأظافر ، وأبو داود رقم ٤١٩٨ في الترجل ، باب في الشارب ، والنسائي ١٤/١ و ١٥ في الطهارة ، باب تقليم الأظافر ، وباب نتف الإبط .
(١٣) جامع الأصول ص ٧٧٤ الجزء (٤) رقم الحديث ٢٩٢٩ (رواه البخاري . ٢٩٥/١٠ في اللباس في باب تقليم الأظافر وباب قص الشارب ، والنسائي ١٥/٨ في الزينة ، باب حنق العانة .
(٣) جامع الأصول ص ٧٧٥ ـ الجزء الرابع رقم الحديث ٢٩٣٢ (رواه مسلم رقم ٢٥٨ في الطهارة باب خصال الفطرة ، وأبو داود (٤٢٠٠) في الترجل ، باب أخذ الشارب ، والترمذي رقم ٢٧٥٩ في الأدب ، باب ما جاء في التوقيت في تقليم الأظافر والنسائي ١٥/١ و ١٦ في الطهارة باب التوقيت في قص الشارب .
(١٥) زاد المعاد ص ١٧٩ ج (١) (رواه مسلم ٢٥٨ في الطهارة ، باب خصال الفطرة ، والترمذي (٢٧٥٩) في الأدب ، باب ما جاء في التوقيت في تقليم الأظافر وقص الشارب ، والنسائي ١٦/١٥/١ في الطهارة : باب التوقيت في قص الشارب وأبو داود (٤٢٠٠) في الترجل : باب أخذ الشارب .
(١٦) الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب ص ٧١ .
(١٧) (وقص الأظفار سنة بالاتفاق ، ولا توقيت فيه فمتى استحق القص فعل ، والأفضل القص يوم الجمعة قبل الصلاة لقول أبي هريرة رضي الله عنه : « كان النبي ﷺ يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يروح إلى الصلاة » وسئل الإمام أحمد عن هذا فقال : يسن في يوم الجمعة قبل الزوال ، وعنه يوم الخميس ، وعنه يتخير ، وهذا هو المعتمد ، إنه يستحب كيف ما احتاج إليه قال النووي : ينبغي أن يختلف ذلك باختلاف الأحوال والأشخاص ، والضابط الحاجة في هذا وفي جميع خصال الفطرة المذكورة** .
وهذا لا يمنع من التنظف يوم الجمعة ، فإن المبالغة في التنظف فيه مشروع والله أعلم ـ إنتهى » اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ص ٤٠٧ » .
* انظر الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير/ السيوطي/ م الحلبي جـ ٢/ ٣٨٥ .
** فتح الباري جـ ١٠ ص ٣٤٦ .

(١٨) قال رسول الله ﷺ في حديث « اسبغ الوضوء . . . » (والإسباغ) الإتمام واستكمال الأعضاء (فقه الإسلام ـ ص ٤٤ الجزء الأول) .

(١٩) رأى النبي ﷺ رجلا وفي قدمه مثل الظفر لم يصله الماء فقال : « ارجع فأحسن وضوءك » أخرجه أبو داود والنسائي . .

ويفيد الحديث أنه يجب أن يعم الماء العضو كله (فقه الإسلام ص ٥٥ جـ ١) .

(٢٠) وأما ما يوضع على الظفر نفسه من الأصباغ والدهون « وهو ما يسمى بالمانيكير » التي تمنع وصول الماء إليه فهو مبطل للوضوء قطعا » (اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ص ٤٠٦ .

(٢١) والمراد من التقليم إزالة ما يزيد على ما يلابس رأس الإصبع من الظفر لأن الوسخ يجتمع فيه فيستقذر ، وقد ينتهي إلى حد يمنع من وصول الماء إلى ما يجب غسله من الطهارة وقد ذهب بعض الشافعية إلى عدم صحة الوضوء عندئذ » (المرجع السابق ص ٤٠٦) .

(١) في مبحث عن (التغريب بالترغيب بقيم الغرب وأخلاقه والانتصار لشخصياته) جاء تحت عنوان (مقاييس جمال المرأة) : « إن تحديد مقاييس جمال المرأة في الحدود التي وردت من الغرب وحض النساء على تبنيها وتدريبهن عليها في (تجريد موضوعي) عن الإسلام وتقاليده وآدابه ، اتجاه تغريبي » .

النمص والتنمص : تسمي الكاتبة عملية التنمص المنهي عنها في الحديث الشريف (لعن الله الواشمان والمستوشمات والنامصات والمتنمصات . . .) استئصالا أو إزالة أو تخلصا ، وتقدم تعليماته إلى المرأة المسلمة بهذه الأعمال التجميلية .

الشعر ومشروب الروم : تقول الكاتبة : « إذا لاحظت أن شعرك يميل إلى الجفاف فجربي استعمال الشامبو الذي يدخل الزيت أو البيض في تركيبه ، ويمكنك أن تضعي صفار البيض بالإضافة إلى ملعقة من (مشروب الروم) وهذا الشامبو يضعي اللمعان على شعرك » وإذا أحسنا الظن بالكاتبة قلنا إنها لا تعلم أن (مشروب الروم) أحد أنواع الخمور القوية . . . » .

(شراب الروم من الخمور القوية التي تحضر بالتقطير ، وذلك بتقطير الخمر المصنوع من دبس السكر (الولاس) وهو المادة اللزجة التي تنفصل عن قصب السكر عند صنع السكر) .

(٢٣)سورة الروم الآية رقم/ ٣٠ .

(٢٤)« وأما ما تفعله الفاسقات من النساء والمخنثون من شباب اليوم من إطالة الأظافر حتى تشبه أظافر الكلاب والوحوش فهو فعل منكر مذموم لأنه مخالف للفطرة التي فطر الله العباد عليها ولا تستسيغه الأذواق السليمة » .

(كتاب اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ص ٤٠٧ .

(٢٥) اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية « ص ٤٠٦» .

(٢٦) رجاله ثقات مع إرساله ، وقد وصله الطبراني من وجه آخر (والرفغ) بضم الراء وبفتحها وسكون الفاء بعدها غير معجمة ، ويجمع على أرفاغ : وهي مغابن الجسد كالإبط وما بين الانثيين والفخذين وكل موضع يجتمع فيه الوسخ ، فهو من تسمية الشيء باسم ما جاوره ، والتقدير وسخ رفغ أحدكم .

(٢٧) انظر فتح الباري جـ ٢٠ ص ٣٤٥ .

(٢٨) « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » الأعراف ٣١ ـ والقلوب بالزينة هنا على خصوصها هو ستر العورة .

(٢٩) « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » الآية ـ النور ٣١ .

(٣٠) تختلف مخالب الحيوانات (Claws) عن ظفر الإنسان ، فهي طويلة وحادة ويستخدمها الحيوان في النبش والنهش وفي القتال والافتراس .

(٣١)ونطلق عليها (الجيوب الظفرية) أو (الكهوف الظفرية) أو (المخابيء الظفرية) .

(٣٢) انظر الأحاديث النبوية التي وردت بالباب الأول في بيان جامع ورائع والتي تشير إلى ما تحمله الجيوب الظفرية من الأوساخ (ورفغ أحدكم بين ظفره وأنملته . . الحديث) ومنها ما يشير إلى الجانب الوقائي المترتب على تقليم الأظفار (من قلم أظفاره يوم الجمعة وقى من السوء إلى مثلها . . الحديث) وتأمل الإعجاز العلمي في هذه الأحاديث وفي غيرها من الأحاديث النبوية الشريفة مما يؤكد صدق الدعوة وصدق الداعي عليه أفضل الصلاة والسلام . وانظر عظمة الإسلام في تعاليمه وفي هدي رسوله ﷺ .

(٣٣) يذكر أحد مراجع الطب العلاجي في علاج (داء الديدان الدقيقة الذيل) ما ترجمته : يحدث هذا المرض بانتقال البيض من الشرج الى الفم، وهو يتميز بأنه مرض عائلي، أو جماعي .

العلاج :

أ ـ إجراءات عامة : يعطى العلاج للمصابين من أفراد العائلة ولغيرهم من المخالطين وينصح بغسل الأيدي بالماء والصابون عقب التبرز ، وقبل تناول الطعام . .

ويجب أن تظل أظافر أصابع اليدين مقلمة ونظيفة، وينصح المصابون بأن لا يحكوا بأظفارهم منطقة ما حول الشرج ـ وأن لا يضعوا الأصابع في الفم . . والنص الإنجليزي كالآتي :

ENTEROBIASIS:

Infection With Enterobiasis Vermicularis is Caused by Analoral Trasmisson of Eggs Directly of on Fomities and is Characteristically a Family, Group, or Institutional Infection:

Treatment:

a(General Measures: All infected members of a family and other close contacts may be treated, since reinfection from untreated contacts is frequent. Advised Washing of hands wit soap and Water after defecation and again before meals.

Fingernails should be kept trimmed close and clean, and patients should be told not to scratch perianal area and not to put fingers in the mouth---'. after' Handtools of medical treatment,

MiltonJ. Chatton., XIV Ed., pg. 540

(34) Andrews' Diseases of the Skin, pg. 975.

(35) ---------- pg 978.

(36) Andrews, Diseases of the Skin, pg. 976.

(37) ---------- pg. 981.

(38) Andrews' Skin Diseases, pg. 120-121.

* Onychomadesis: complete shedding of the nails.

رئيس الجلسة : الدكتور عبد العزيز كامل

شكرا للسيد الدكتور / يحيى ناصر خواجي وأعتقد أن التجاوب بينكم وبينه قد تم فلا حاجة لي إلى المزيد من التعليق. تأتي بعد هذه الأسئلة .

المناقشات

المنـاقشـات

ولو سمحتم قبل ذلك بتنبيه جاءني من إدارة المؤتمر السادة أعضاء اللجـان مدعـوون للقاء مـع رؤساء ومقـرري الجلسات في القاعة المجاورة لوضع خطة مع كل لجنة على حدة وذلك في نهاية هذه الجلسة فلما سألت نحن متأخرون في الوقت قالوا لن يطيلوا، معنا عمل لمدة دقائق معدودة ثم يذهبون بعدها فلا تـظنون دخـولكم في القاعـة معنـا إضاعـة طويلة لوقتكم وإنما تنظيم فقط بعد ذلك جاءت الأسئلة.

السؤال الأول موجه للدكتور حسان حتحوت إذا كان مرض الإيدز من أسبابه الشذوذ الجنسي فلماذا لم يكن هذا المرض موجـودا في الأيام السـابقة علما بـأن الشذوذ معـروف من القدم وهـذا هو السؤال الـوحيد الـذي جاء لـلأستاذ الدكتور / حسان حتحوت فأرجو أن يتفضل بالإجابة عليه .

د. حسان حتحوت

المعتقد أن جرثومة الإيدز فيروس الإيدز موجود من قديم الزمان ولابد أن في الكون الآن ميكروبات الطاعون وغيرها من الأوبئة ولكن الظروف التي تحكم انتشار الفيروس وانتقاله من الحيوان إلى الإنسان وانتشاره بين الناس التوازن الطبيعي وطريقة الحياة وطريقة تعايش الناس ومنهاج الحياة الذي يحبونه قد يكون مثبطا وحاصرا ومانعا ومحاصرا لميكروب بعينه حتى تتوفر الظروف التي تأذن أو تسمح لهذا الفيروس لابد أنه موجود منذ القدم ولكن لم تتهيأ له الظروف بعد التي تجعله ينتشر هل مر على الإنسان دور من الزمان خاصة في المجتمعات التي انتشر بينها هذا الداء وداء اللوطية هل كان المرض معروفاً في أيامهم أم لم يكن الإجابة لا تعلم ولكن كأي ميكروب تتوفر له الأسباب الكوليرا مثلا إذا توفرت أسبابها تنتشر إذا امتنعت الأسباب تعهد النظافة مثلا وتنظيف الطعام والشراب . . . الخ .

تنحصر وتقل مرة أخرى ظروف الحياة التي انتشرت في الغرب وانتشار اللوطية أدت إلى أن يخرج هذا الميكروب فيجد طريقه بين الناس ومر الوقت الكافي على انتشار اللوطية التي سمحت بنقله من مكان إلى مكان ومن أفريقيا إلى أمريكا وأوروبا ومن القرد إلى الإنسان . . الخ وأعتقد أن الوسيلة الوحيدة المعروفة الآن لمكافحة هذا الداء هي بقلع الناس عن الظروف التي أدت إلى انتشاره فلا يأخذ المرض دورته ولا يزداد انتشاره ويموت حامل هذا المرض . .

د. عبد العزيز كامل

ليس أمامي إلا عشر دقائق فالوقت المتاح لكل أخ لا يزيد عن دقيقتين وأرجوكم نلتزم حتى نستطيع أن نضبط الجلسة المقبلة الأستاذ الدكتور / عبدالله بداح يسأل عن الأوبئة والوقاية للدكتور / حسان حتحوت فيأتي يطرح موضوعه ثم تجيب سيادتك وتنتهي بعد هذه الأسئلة المطروحة .

د . عبد الله بداح

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد ذهلت وبهرت محاضرة الدكتور / حسان وكيف كان دور اللغة العربية واضحا في سير محاضرته وهذا ما أستغربه في معظم أطباء وعلماء المسلمين في هذا الوقت غياب اللغة العربية الصحيحة في محاضراتهم فملاحظة أشكر الدكتور / حسان عليها وأدعو علماء وأطباء المسلمين إلى الرجوع الصحيح إلى اللغة العربية الصحيحة وملاحظة صغيرة أقدمها إلى المؤتمرين : إلى الآن لم يتفق على كلمة ممن يشارك في المؤتمر نحن نطبق ما ورد من الغرب من ناحية كلمة دكتور ولكن كلنا نعرف أن هي حق كل من يحمل شهادة دكتوراه ولكن من يمارس هذا العمل أطباء أو مشايخ أو

علماء فأطرح الاقتراح لإطلاق على من يمارس الطب إما طبيب أو حكيم أو ما شابه ذلك وأرجو من المؤتمرين أن يخرجوا بتوصية بهذا الخصوص خاصة أننا الآن في المؤتمر الرابع ولم يتبق إلا كلمة الأستاذ الدكتور / للجميع .

السؤال الآخر للدكتور / حسان عندما ذكر الأوبئة والخمر والإباحة والأمراض الجنسية عبر عن نقطة اعتبرها شخصيا أعظم وباء في العالم الإسلامي والعالم أجمع وهي وباء التدخين ولا يغفل عن الجميع مدى خطر هذا المرض وانتشاره خاصة بين مجموع الأطباء وللأسف الشديد أرجو أن يضيفها الدكتور / حسان إلى قائمته إذا سمح وشكرا .

شكرا سيدي هل هناك أي تعقيب يا دكتور حسان تستطيع أن تستريح تفضل سيادتك .

الأستاذ الدكتور / ابراهيم الصياد جاء إليه سؤال غير محدد من وجهة إذا كان من المنطقي النظر إلى الطب الوقائي كمدخل إلى الطب العلاجي فلماذا ختمت هذا الجانب إلى ثلاث مجموعات متميزة.

د. ابراهيم الصياد

في الحقيقة الاتجاه المعروف هو عملية تقسيم بنود أي مادة إلى فروع معينة أستطيع أن أقول إذا كانوا قد توصلوا في القرن العشرين إلى ما يسمى الصحة العالمية بمفهوم الصحة الإيجابية فإن الإسلام قد أدرك هذا الأمر من قديم .

الجانب الآخر في هذا التقسيم هو أن هناك فرقا في نظرة الإسلام إلى الوقاية ونظرته إلى العلاج وكما قال الأخ الدكتور / أحمد شوقي ابراهيم صباح اليوم إن كلمة الطب النبوي ينبع من الهداية ليس هناك شيء يسمى الطب الإسلامي المستقل وإنما شيء يسمى الإسلام وتعاليم الإسلام فيها دفعة للطب ودفعة للاجتماع ودفعة للسياسة ودفعة إلى كل أنشطة الحياة الإسلامية بتعاليم بالضرورة تستلزم منك ألا تكون مصدر ضرر للأمة وأن تزيل عنها ماقد يوجد من ضرر وأن تحمي نفسك من الأمراض لكي تؤهل نفسك للمهمة التي خلقت من أجلها في الأرض وهي أن تكون خليفة لله في الأرض يدخل في هذا كل الأنشطة كما قال الأخ التدخين إن الله يكره القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال التدخين فيه ضرر (لا ضرر ولا ضرار) المسلم الذي يلتزم بتعاليم ربه ورسوله يعتبر التدخين بندا خارجا من حياته ليس لأن التدخين مضر ولكن التزاما بأمرالله .المحافظة على البيئة ليست من أجل تحسين ظروف البيئة حتى تكون اقتصادية ولكن التزاما بأمر الله والالتزام بالتالي سينعكس على صحتنا وظروفنا المعيشية وشكرا . . .

رئيس الجلسة :

شكرا سيدي سؤال الأستاذ الدكتور / سالم نجم تعليق على حديث المعدة وأظن أنه وجه للأخ الدكتور / محمد كامل تفضل :

د. سالم نجم

بسم الله الرحمن الرحيم حديث المعدة فيما يقول ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه أنا آخذه من جانبين

الجانب الأول هو الفقاعة الهوائية الموجودة داخل المعدة المضيفة نحن حاولنا أن نعمل دراسة إكلينيكية أو تطبيقية عن وظيفة هذه الفقاعة داخل المعدة ووجدنا كثيراً من الصعوبات في تحديد وظيفة هذه الفقاعة وحجمها وتأثيرها على عمليات الهضم والامتصاص ومن هنا أبدأ بالاقتراح بالتوصية حتى لا تكرر أنفسنا وكل المواضيع هي التي قيلت السنة الماضية والتي قبلها يتكرر مرة أخرى لماذا لا يوضع برنامج للمؤتمر القادم بعد سنتين وتوضع الأدوار موزعة بين علماء المسلمين حتى يأتوا العام القادم وهناك دراسات جدية إيجابية حتى نخرج بثمرة حقيقية من هذه المؤتمرات وشكرا . .

رئيس الجلسة :

هل يوجد تعقيب أو حاجة إذا كان لايوجد أمامنا متحدثان . ؟

بسم الله الرحمن الرحيم نحن عندما تعرضنا للحديث تعرضنا على أن نوعا من الوقاية فقط إذا كان عندنا مستند للذي قيل المرة الماضية هذه قطعا خطوة أولى على الطريق لا أحد يغضب منها أبدا وبعدها نوزع فيما بيننا ليس فقط الحديث هذا قال اللقيمات عبارة عن لو تأتي بالسعرات الحرارية تجد أننا فعلا طول النهار لا نحتاج إلا للقيمات لو حسبنا أن جرام الكربوهيدرات يعطي كذا أو البروتين يعطي كذا أو الدهون يعطي كذا سنطلع في الآخر به إنما نوحد البحوث هذه جيدة جدا ونوافق عليها .

رئيس الجلسة :

شكرا سيدنا بعد ذلك هناك تعقيب وتعليق على محاضرة الدكتور / يحيى وأظن من الدكتور / الحفناوي تفضل وأظن حول الجلد والأظافر . .

د. الحفناوي :

لقد أعجبتني جدا محاضرة الدكتور / يحيى ناصر خواجي حيث وصلت عقولنا وقلوبنا في نفس الوقت بطريقة متفردة في الإلقاء قطعا الأظافر لها دور خطير جدا في عملية نقل العدوى وكلما تمر الأوقات والدراسات تتعمق تثبت أكثر أنها ناقلة لأكثر من نوعية من الميكروب فهي ناقلة للفيروس والبكتريا وناقلة للفطريات وناقلة للحشرات الصغيرة التي من خلالها تصبح وسيلة لنقل أحد الأمراض القاتلة في أطفالنا في دولنا وهو مرض الحصبة الذي يأتي عن طريق الأظافر لأنه عدوى بكتيرية يأخذها الطفل في أظفره ثم يبدأ في نقلها ثم يحدث تسمم من امتصاص هذه المادة من الجلد فالمحاضرة شيقة جدا أسلوبها علمي بل وقد يظهر بعض الأورام القاتلة تحت الأظفر ولا تظهر مثل البلونوما والمادة القاتلة .

التعليق الأخير عن موضوع الإيدز عبارة عن فيروس وإضافة بسيطة جدا لما قاله أستاذنا الدكتور / حسان ميكروب خطير ومداهم جدا في عملية النمو الكبسولة الخاصة به تتغير في ثوان وكلما بدأوا في ايجاد مصل جديد يكون هو غير تلك الكبسولة شكل منفرد أيضا وبشكل قاتل ويخضع جميع جهاز المناعة داخل الجسم إلى انهيار مباشر وأنه

لايوجد جهاز دفاعي لمثل هذا الفيروس هو ينتج عن التدخل البشري في الدورة البكتيرية العادية تـدخلنا الآن في دورة المضاد الحيوي الآن في تايلند توصلنا إلى دورة هذا المخلوق المتوسط والمخادع إلى أن يصل إلى نواة الخلية وداخلهـا فهو مرض خطير قطعا وشرس وهو طاعون جديد في الجسم .

رئيس الجلسة :

شكرا للدكتور / الحفناوي الدكتور / عبدالحافظ حلمي له أيضا تعقيب على الدكتور يحيى

د. عبد الحافظ حلمي

أولا جد جديد قصير جدا على ملاحظة الدكتور / نجم علي بحثه عن الفقاعة التي تصحب الـطعام فـإن نتذكـر الحديث الشريف ثلث لنفسه فأتصور أن المعنى البسيط هو عدم الضغط على التجويف الصدري بالـطعام الكثـير وعلى كل حال هذا متروك للبحث .

التعليق الثاني على الدكتور / يحيى الذي أمتعنا بمحـاضرته أنـه يوجـد في وسائـل نقل الأمـراض طريقـة تسمى الحقن بالأظافر يعنى مثلا الحشرة تضع الجرثومة مع برازها أثناء اغتـذائها عـلى المريض وبمـا أن المريض أحيـانا يخـدش جلده بإظفره يتسرب المرض إلى الجسم فلو كانت أظـافره مقلمـة لما انتقـل المرض لا أدري إن كـان هناك وقت دقيقـة للإمتاع أم لا؟ في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي أنه سمع ولا يشترط حتى كثير من أهل الحـديث ترتيباً لتقليم الأظافـر أنا دائماً أنادي بالجوهر لكن أعلق بالشكل صحيح في هذه الرواية أن الـرسول ﷺ روى أنـه كان يبـدأ بإصبـع الشهادة السبـابة ثم يمينهـا ثم ينتقل إلى اليـد اليسرى الخنصر إلى أن يتم الخمس ثم يختم بالإبهـام اليمنى فالإمـام الغزالي أخـذ يتأمل في هذا وانتهى إلى نتيجة أن هذا لا يصدر إلا من نبي قـال لا يصدر اعتبـاطا يقـول إنه بـدأ بالشهـادة لكرامتهـا أشهد أن لا إله إلا الله ثم أنزل إلى حسب القاعدة الإسلامية (التيامن) وبعد أن انتهي باليمين أخذ الناحية الأخـرى هنا ذكاء الغزالي الوضع الطبيعي أن تتفرغ يدلك على بعضها البعض هكذا فاللغة الـطبيعية المنـطقية أنـك تبدأ هكـذا وتنتهي إلى اليـد الأخرى إلى أن تنتهي بـالإبهام أيقـول إنـه ليس من الـطبيعي أن تضـع يـديـك هكـذا وليس من الـطبيعي أن تضع يـديك هكـذا إنما الـطبيعي أن تضعها هكـذا أو هكذا يقـول في الدلائـل العقل الـذي وراء السنة الشريفة وآسف لأنني أخذت من وقتكم .

رئيس الجلسة :

بالعكس تفضل الدكتور / كامل له توضيح .

د. كامل

بسم الله الرحمن الرحيم :

هو أيضا تعليق على بحث الدكتور / يحيى وهذا موجه لغير الأطباء الموجودين معنا من أهل العلم وأهل الفقه الذين نحن نستنير بآرائهم في الأشياء غير الطبية هو قطعا الصورة التي رأيناها هنا أن الإنسان لما تكون أظافره طويلة يأخذ من فتحة الشرج البراز أو الجزء الملوث وبعد ذلك يدخل إلى فمه وتدور الدورة نفسها من جديد كلام علمي سليم جدا ولكن أريد توضيح نقطة أنه إذا كان الطفل أظافره قصيرة أو طويلة لو عمل مثل هذه العملة ستحدث عدوى لكن يبقى الأمر واضحاً من حيث أسباب العدوى فالشخص الذي أظافره طويلة يأخذ ميكروباً أكثر إنما حدوث العدوى قد تحدث حتى مع تقليم الأظافر وتبدو من ذلك حكمة تعلمنا كيفية غسل اليدين قبل الأكل وبعده . .

فنظافة اليدين هي المقصودة بها في هذا الحديث وشكرا .

رئيس الجلسة :

نكتفي بهذه الإجابة ونختم رجاء الآن الساعة الثالثة والربع . . .

وهل معروف من قبل هو في الإعجاز النبوي أنها تظهر فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم اكتملت المقومات التي تحقق النبوة الشريفة لأن الفاحشة تمارس ويعمل بها علانية دون حياء هنا توفرت المستلزمات لكي يظهر فينا مالم يكن يظهر في أسلافنا لا أحد يعرف من أين جاء الإيدز هل هو من حيوانات هل من بشر؟ هل تطورت الميكروبات بحيث صارت ميكروبات شرسة تصيب الإنسان لكن هو تحقيق للنبوءة الشريفة .

رئيس الجلسة :

شكرا سيدي الكلمة الأخيرة لسيادتك وسأختم وبعد ذلك ممكن تخصص جلسة لبقية الأسئلة وفي آخر الجلسات كلها المناقشة العامة .

يحيى ناصر خواجي

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذي الفاضل ردا على تعقيب سيادة الدكتور / نفرق بين العدوى المنقولة بأظافر طويلة والعدوى المنقولة بأظافر مقصوصة، الأظافر المقصوصة يمكن غسلها وإزالة الميكروب أما الأظافر الطويلة فلا يمكن مع التحفظ على الغسل جيداً هذا هو الفرق .

رئيس الجلسة :

شكرا يا سيدي جزاك الله كل خير وإذا كنا قد تعدينا الوقت لخمس دقائق فشكرا لكم جميعا من محاضرين ومتحدثين ومنصتين وسائلين فالعلم خزائن مفاتيحه السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والسامع والمحب له .

شكرا لكم جميعا الجلسة القادمة تبدأ الساعة الخامسة إن شاء الله .

المجموعة السادسة
(من القسم الأول)

الوقاية في الإسلام

المحاضرة الرئيسية

«نظرية الوقاية عن ابن سينا وآفاقها الجديدة»

الدكتور/ أحمد عروة

رئيس الجلسة أ . د . ممدوح جبر

بسم الله الرحمن الرحيم

فليتفضل الأستاذ الدكتور / توفيق التميمي والذي كان معنا الآن ونحن بانتظاره الدكتور / أحمد عروة والدكتور / أحمد شوقي ابراهيم / ماهر حتحوت الدكتور / عدنان أحمد البار والدكتور / واسطي :

رئيس الجلسة : الأستاذ الدكتور ممدوح جبر

بسم الله الرحمن الرحيم :

تبدأ الجلسة الثالثة اليوم في المؤتمر محدثنا الأول الأستاذ الدكتور / أحمد عروة وسيحدثنا عن نظرية الوقاية عند ابن سينا قبل أن يبدأ الدكتور أحمد عروة الحديث أود أن أذكر السادة أعضاء اللجان ورؤساءها بالاجتماع في القاعة المجاورة عقب انتهاء هذه الجلسة مباشرة .

نظرية الوقاية عند ابن سينا وافاقها الجديدة

للأستاذ الدكتور أحمد عروة

أستاذ في الطب الاجتماعي

بجامعة الجزائر

لقد توصل ابن سينا في تحليلاته لعوامل الصحة وفي نظرياته المنهجية لحفظ الصحة والوقاية من الآفات والأمراض إلى مستوى من العلمية لم تصل إليه العلوم الطبية في تعرضها لمشاكل الصحة إلا في عهدها الحديث وبصفة نسبية ومتفاوته .

ولا نعني بذلك أن ابن سينا قد تفوق على غيره بتحديد لأسباب واستقصاء الوسائل الوقائية وإنما نعني به أنه وضع الأسس المنهجية العامة لتحليل العوامل واستكشاف الأفعال وتدبير الإجراءات العملية لحفظ الصحة .

وإذا كان من مزايا العلم الحديث أنه اكتشف بدقة مدهشة كثيرا من الجزئيات والمركبات المعدنية والكميائية والبيولوجية التي تؤثر في صحة الإنسان كما أنه حقق تقدما هائلا في تدبير وصنع الوسائل الوقائية كالتطعيم والتعقيم والانعاش فإن السياسة العامة لحفظ الصحة لم تحقق أهدافها المنشودة . والدليل على هذا القصور المستمر . أن التغلب الذي أحرزه الطب على كثير من الأمراض التعفنية وتقدمه الحاسم في تقنيات الجراحة والإنعاش والتشخيص والعلاج لم يمنع من انتشار الأمراض الخلطية والعضوية والانتكاسية والنفسية التي لها علاقة مباشرة بتطورات البيئة الحضارية المعاصرة .

وقد يرجع ذلك الفشل إلى عوامل مختلفة منها عوامل طبيعية خلقية لا تتصرف فيها حذاقة العلم ومهارة الفن ومنها عوامل خارجية معاكسة ترجع في كثير من الأحوال إلى عدم التحكم في الأسباب العارضة من داخل الجسم أو من خارجه ونذكر منها :

١ ــ القصور المنهجي في تدبير سياسة صحية شاملة تحدد أهدافها وتخطط أعمالها انطلاقا من المعطيات الوبائية والعوامل المسببة والمؤثرة في كيفياتها وتفاعلاتها وتطوراتها ومعاكساتها .

٢ ــ القصور العلمي الذي لازال رغم الاكتشافات الهائلة في الميادين البيولوجية والفرمكلوجية والتكنولوجية يخيم بنسبة كبيرة على معرفة الأسباب الأولى كطبائع الكائنات الدقيقة وأفعال التلوث الصناعي وآثار التغيرات والتطورات الحضارية .

٣ ــ القصور العقائدي الذي يبتز مفهوم الإنسان ومفهوم الصحة باقتصاره على البعدين العضوي والعقلي وبتجاهله للأبعاد النفسانية والأخلاقية والروحية .

٤ ــ القصور العملي الذي يظهر في ميدان التنفيذ للتعليمات والتقارير الصحية كما نجده في أمثلة كثيرة تتباعد فيها المعطيات العلمية عن الإجراءات العملية ، مثال ذلك أن العلم يقرر ويثبت أخطار الكحول والتدخين والعقاقير العصبية والعلاقات الجنسية الإباحية ولكن التقرير النظري لا يتحول إلى الالتزام العملي المسؤول سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى السلطات المشرعة والمنفذة ومثال ذلك أن الآفات التي تنتج عن التلوث الصناعي والتضخم السكني والتشرد الاجتماعي تفلت عن رأي الهيئات الصحية بحجة الحتميات التنموية والاستراتيجية والسياسية .

٥ ــ القصور الخُلُقي الذي يتمثل في الانحرافات النفسية والأخلاقية التي تنتج عن ضياع الوازع الديني والضمير الخُلُقي وعن استفحال الدوافع الشهوانية الإباحية التي تجر إلى مخاطر ومهالك لا تمس الجانحين والآثمين خاصة ولكنها تهدد الأمة كلها في كيانها وصحتها الاجتماعية ورسالتها الروحية .

تلك هي العوامل المعاكسة التي تتعرض لها سياسة الوقاية العامة والتي تدعو إلى البحث عن منهجية حكيمة عملية مطابقة للمقاصد الأساسية وهي صحة الإنسان وسعادته .

وأين نجد تلك الحكمة إذا لم تكن عند الحكماء الذين قدروا الإنسان تقدير الكرامة وسعوا لتحقيق سعادته ليس كحيوان « جسد له خوار » ولكن كإنسان مفضل ومكرم عند الخالق والمخلوق .

من أجل ذلك وبحثا عن آفاق جديدة لسياسة الوقاية وحفظ الصحة توجهنا إلى منبع غزير من الحكمة التي زخرت بها حضارة الإسلام في عهودها المضيئة السالفة وخصصنا بالذكر الحسين بن علي بن سينا وما كتبه في القانون في الطب بشأن الوقاية وحفظ الصحة وسيحتوي هذا البحث على قسمين :

١ ــ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا .
٢ ــ آفاق جديدة لسياسة الوقاية وحفظ الصحة .

١ ــ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا :

١ ــ التعريف بعلم الطب وأهدافه الأساسية :

يقول ابن سينا « الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من حيث يصح أو يزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة » .

هذا التعريف كما هو واضح يعطي للطب الوقائي أسبقية أساسية فقدها في تطوراته الحديثة حيث إن الاعتناء بالطب العلاجي طغى على مهن الطب وسياسة الصحة وبرامج التعليم الطبي .

انطلاقا من ذلك المفهوم الجامع والتكامل لعلم الطب يخص ابن سينا لفن حفظ الصحة كتبا وفصولا وشروحا واسعة نستخلص منها أهم ما رأيناه من تحليل وتدابير عامة لحفظ الصحة .

٢ ــ العوامل العامة المؤثرة في صحة الإنسان :

يقول ابن سينا : « قد اجتمع لنا أن الطب ينظر في الأركان والمزاجات والاخلاط والأعضاء البسيطة والمركبة ، والأرواح وقواها الطبيعية والحيوانية والنفسانية ، وحالات بدن الإنسان من الصحة والمرض والتوسط ـ وأسبابها من المآكل والمشارب والأهوية والمياه والبلدان والمساكن ـ والاستفراغ والاحتقان ـ والصناعات ـ والحركات البدنية والنفسانية والسكونات والإسنان والأجناس والواردات على البدن من الأمور الغريبة ـ والتدبير بالمطاعم والمشارب واختيار الهواء واختيار الحركات والسكونات ـ والعلاج بالأدوية وأعمال اليد لحفظ الصحة » .

يمكن لنا أن نرتب ونشكل هذه المعطيات الكثيفة الشاملة على ضوء المنهجية العلمية المعاصرة حيث إنها تنحصر في العوامل التالية :

٢ . ١) العوامل الذاتية هي :

ــ الأركان والمزاجات والأخلاط والأعضاء .
ــ الأرواح وقواها الطبيعية والحيوانية والنفسية .
ــ حالات البدن من الصحة والمرض والتوسط .
ــ الإسنان والأجناس .

٢ . ٢) العوامل البيئية وهي :

ــ المآكل والمشارب والأهوية والمياه .
ــ البلدان والمساكن .
ــ الواردات على البدن من الأمور الغريبة

٢ . ٣) العوامل السلوكية ومنها :

ــ الحركات البدنية والنفسانية والسكونات .
ــ الصناعات
ــ التدبير بالمطاعم والمشارب واختيار الهواء

٢ . ٤) العوامل الطبية :

- المعالجة بالأدوية وأعمال اليد

نلخص هذه العوامل في الشكل التالي :

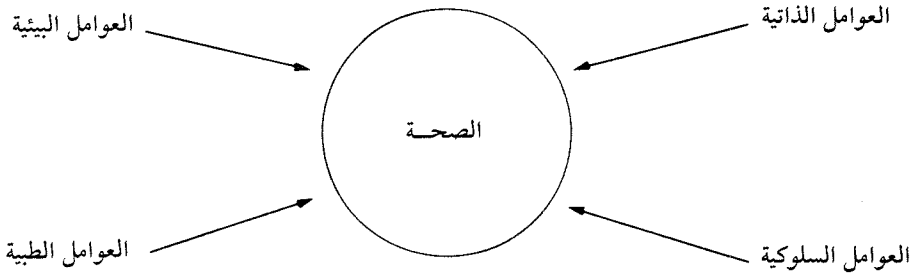

٣ـ الأسباب والكيفيات المرضية :

يذهب ابن سينا إلى تحليل الأسباب والكيفيات التي تؤدي إلى الانفعالات والتغيرات المرضية التي تصيب الإنسان على مستوى العوامل الذاتية والخارجية فيقول :

«لما كان المبدأ الأول لتكوين أبداننا شيئين أحدهما المني من الرجل ـ والأصح من أمره أنه قائم مقام الفاعل ـ والثاني منى المرأة ودم الطمث ـ والأصح من أمره أنه قائم مقام المادة ـ وهذان الجوهران مشتركان .

لذلك فإن أبداننا معرضة لنوعين من الآفات وكل واحد منهما له سبب من داخل وسبب من خارج . .

ـ أحد نوعي الآفة هو تحليل الرطوبة التي منها خلقنا وهذا واقع بالتدريج .
ـ والثاني تعفن الرطوبة وفسادها وتغيرها عن الصلوح لإمداد الحياة .

وهاتان الآفتان خارجتان عن الآفات اللاحقة عن أسباب أخرى كالبرد والسموم وأنواع تفرق الاتصال المهلك وسائر الأمراض .

وكل واحد منهما يقع عن أسباب خارجية وعن أسباب باطنية أما الأسباب الخارجية فمثل الهواء المحلل والمعفن وأما الأسباب الباطنية فمثل :

ـ الحرارة الغريزية التي فينا المحللة لرطوباتنا .
ـ والحرارة الغريزية المتولدة فينا من أغذيتنا وغيرها المتعلقة » .

نلخص هذه المعطيات ونوضحها في الشكل التالي :

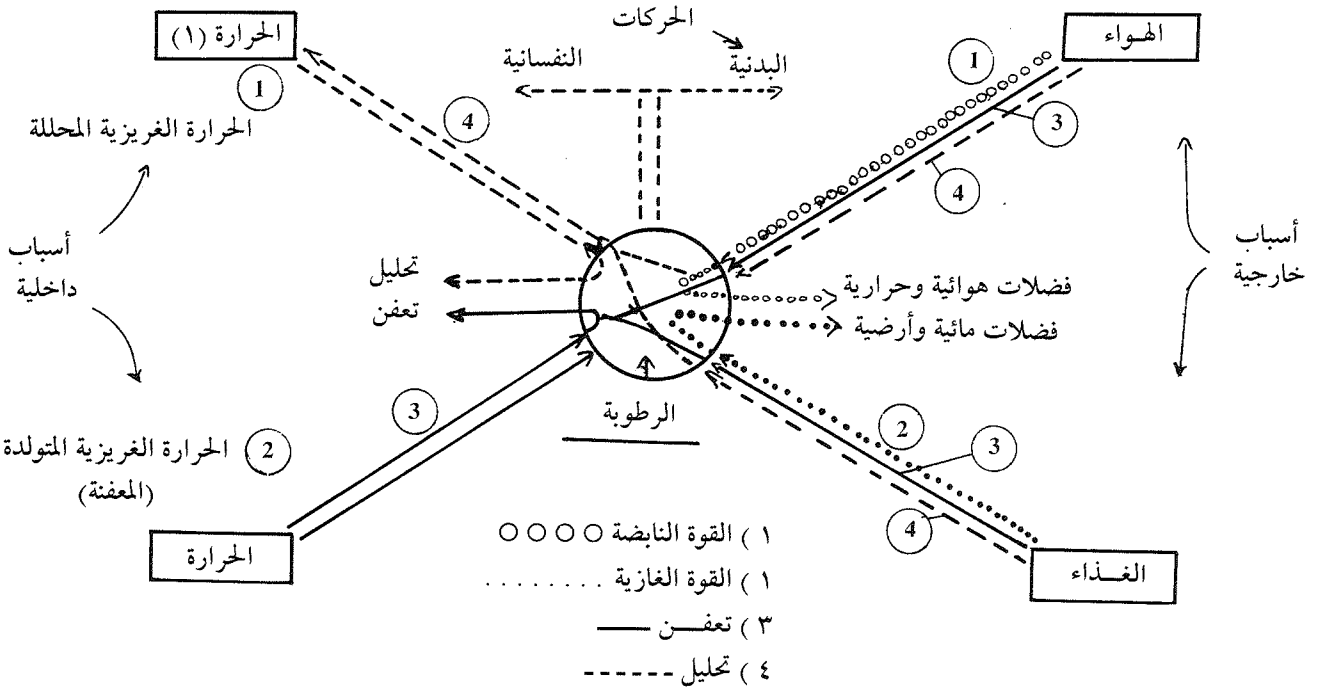

٤ ــ تدبير الوقاية وحفظ الصحة :

١ ــ تحديد الأهداف العامة لصناعة حفظ الصحة :

ينبه ابن سينا إلى الحكمة التي تقتضيها صناعة حفظ الصحة نظرا لما في العوامل من حتميات أو عـرضيات : « **صناعة حفظ الصحة ليست صناعة تضمن الأمان من الموت ولا تخلص البدن من الآفات الخارجية ولا أن نبلغ بكل بدن غاية طول العمر الذي يحب الإنسان مطلقا** » . وانطلاقا من تلك الحدود نعتبر أن « **صناعة حفظ الصحة هي المبلغة بدن الإنسان هذا السن الذي يسمى أجلا طبيعيا (بخلاف الآجال العرضية) على حفظ للملائمات** » .

ويقول ابن سينا توضيحا للعوامل التي يستخدمها الطبيب لتدبير حفظ الصحة « **قد وكل بهذا الحفظ قوتان يخدمهما الطبيب .**

أحدهما طبيعية وهي الغاذية فتخلف بدل ما يتخلف من البدن الذي جوهره إلى الأرضية والمائية .

والثانية حيوانية وهي القوة النابضة لتخلف بدل ما يتحلل من الروح الذي جوهره هواء ناري » .

ذلك ما نمثله في الشكل التالي اعتمادا على نصوص القانون . انظر الرسم

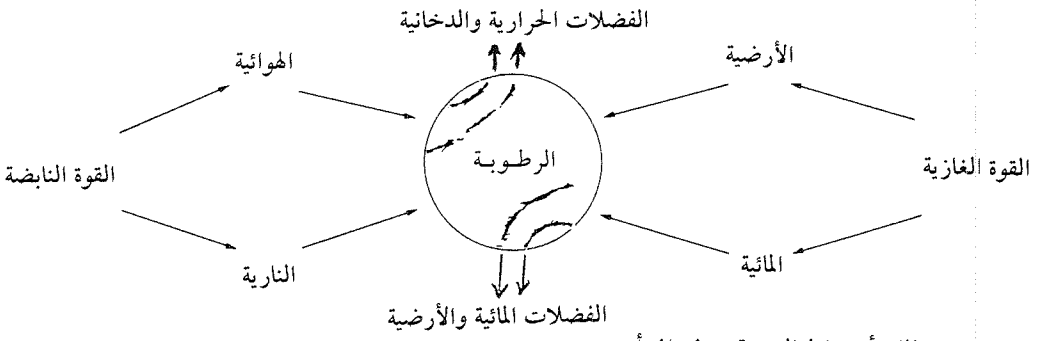

يتميز من ذلك أن حفظ الصحة يهدف الى أمرين

- منع العفونة اصلا
- وحماية الرطوبة كي لايسرع اليها التعفن

ويكون ذلك بتدبر أمور ثلاثة :

- التدبير الصواب في استبدال البدن بدل ما يتحلل مقدار الممكن .
- التدبير المانع من استيلاء أسباب معجلة من التجفيف (دون الأسباب الواجبة للتجفيف) .
- التدبير المحرز عن توليد العفونة لحماية البدن وحراسته عن استيلاء حرارة غريبة خارجا أو داخلا » .

« **ملاك الأمر في صناعة حفظ الصحة هو تعديل الأسباب العامة اللازمة المذكورة وأكثر العناية بها هو في تعديل أمور سبعة :**

- **تعديل المزاج**
- **واختيار ما يتناول .**
- **تنقية الفضول**
- **حفظ التركيب**
- **إصلاح المستنشق**
- **اصلاح الملبس (؟)**
- **وتعديل الحركات البدنية والنفسانية (ويدخل فيها بوجه ما النوم واليقظة)**

بعد تعديل شكلي وباعتبار ما جاء في ذكر العوامل والأسباب السابقة يمكن أن نلخص الميادين التي تهتم بها صناعة حفظ الصحة كما يلي :

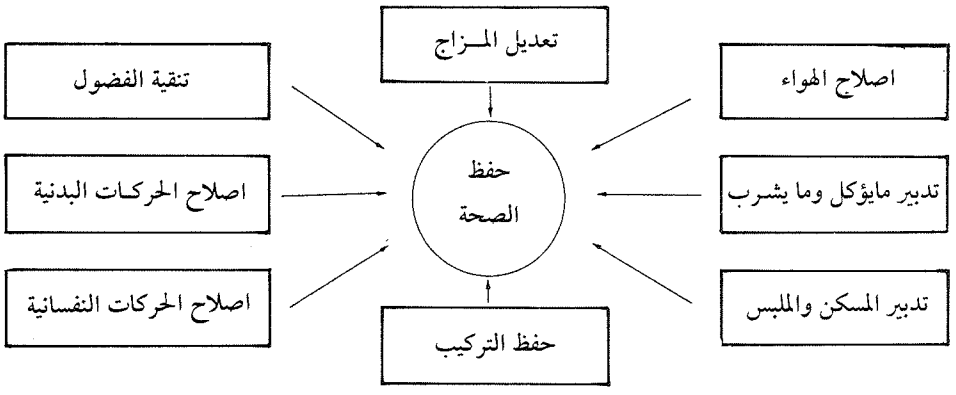

٤ ــ التدبيرات العملية لحفظ الصحة :

يتعرض ابن سينا إلى الإجراءات العملية في تدبير حفظ الصحة في أبواب عديدة وشروح موسعة حول تعديل المزاج وتدبير الحمل والوضع والتغذية والتربية والوقاية من الأمراض وتدبير المياه والأغذية والأهوية والسكن والرياضة البدنية والحركات النفسانية وحفظ الأعضاء والوقاية من الأمراض التعفنية والتركيبية والمزاجية .

كل ذلك قد شرحناه في كتاب (الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا) ولا حاجة إلى تفصيله لأن الذي يهمنا هو إبراز تلك النظرة الواسعة المتكاملة لعلم وصناعة حفظ الصحة والمنهجية العقلانية والتحليلية التي يرتكز عليها ابن سينا والتي رأينا أن نعتمد عليها في البحث عن آفاق جديدة لسياسة الصحة والوقاية باعتبار الاكتشافات العلمية والإنجازات التكنولوجية والمناهج العلمية التي توصلت إليها الحضارة المعاصرة في كل الميادين التي تعني صحة الإنسان من قريب أومن بعيد .

٢ ــ آفاق جديدة للوقاية وحفظ الصحة :

إذا كانت العلوم الطبية والتكنولوجيا العلاجية والوقائية قد تقدمت تقدما لم تتخيله عقول الأجيال السابقة فإن النظرة العامة للإنسان وللحياة وللمعرفة عامة ولعلوم الطب خاصة لم تحرز على نفس التقدم . بل في كثير من الميادين والأحوال قد تقلصت تلك النظرة في معنوياتها وأخلاقياتها وتاهت في الجزئيات والعـوارض والتبست فيها الـوسائـل والأهداف .

كيف نصل بين حكمة القديم وتقنية الجديد ؟ هذا ما سنحاول التوصل إليه في هذا الجزء من البحث.

العوامل العامة المؤثرة في صحة الإنسان :

العوامل الصحية التي يمكن أن نحللها اليوم لا تختلف كثيرا في مفهومها العام عما ذكره ابن سينا . منها العوامل الذاتية والعوامل البيئة والعوامل السلوكية.

١) العوامل الذاتية :

هي ما يختص به البدن في تراكيبه العضوية ومزاجاته البيولوجية واستعداداته المرضية وميوله النفسية وهي الخصائص التي يمتلكها في أطواره النشئية انظر الرسم .

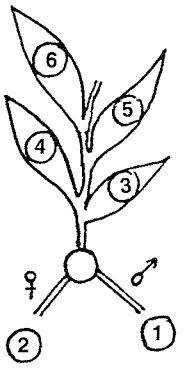

ـ من نطفة الأب (١) .
ـ من نطفة الأم (٢) .
ـ من تبادلات وكيفيات الحمل (٣) .
ـ من أحوال الوضع (٤) .
ـ من مدة الحضانة الأولى (٥) .
ـ من التطورات الطبيعية في مراحل العمر (٦) .

١ . ٢) عوامل البيئة :

تتمثل في العلاقات والتبادلات التي تربط الإنسان مع الأوساط المختلفة التي يعيش من بينها وهي (رسم) .

الأوساط الطبيعية (الفيزيائية) وهي الأرض (أ ، ١) والماء (أ ، ٢) والهواء (أ ، ٣) والحرارة (أ ، ٤) وتتكون منها الطقوس حسب تفاعلها .

الأوساط الحياتية البيولوجية : ومنها الحيوانات (ح . ١) والنباتات (ح . ٢) والكائنات (ح . ٣) الدقيقة والمواد العضوية (ح ، ٤) (في حالتي التركيب كالأغذية أو في حالة التحليل كالفضلات) .

الأوساط البشرية : ومنها البيولوجية البشرية (ب١) والاقتصادية (ب٢) والثقافية (ب٣) والأخلاقية (ب٤) .

١ . ٣) العوامل السلوكية :

وهي الأعمال والتصرفات التي يقوم بها الإنسان بمقتضى غريزته الطبيعية وميوله النفسية وملكته العقلية وضميره الأخلاقي وذلك بالنسبة للعوامل الذاتية والبيئية حيث إن مجموع العوامل يتنسق كما نمثله في الشكل الزهري التالي :

أنظر الرسم

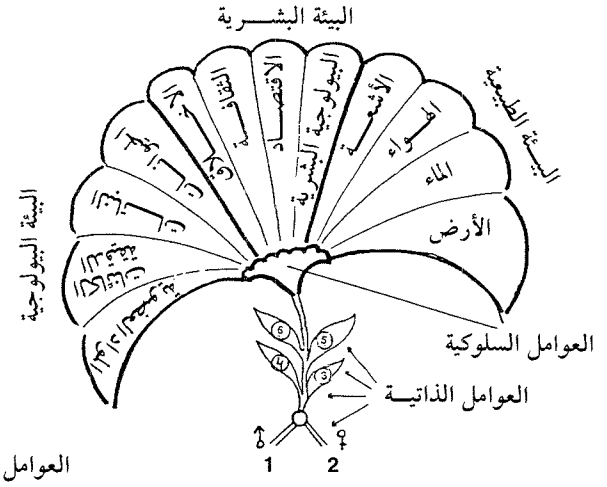

عوامل البيـــئة

العوامل المؤثرة في الصحة

٢ ــ الأسباب والكيفيات المرضية :

تحدث الأسباب المرضية على مستوى العوامل المذكورة وتختلف في نوعياتها وكيفياتها وأفعالها .

٢ . ١) على مستوى العوامل الذاتية :

ــ قد تحدث عيوب خلقية في النطفة النسلية أو أثناء التلقيح أو بعده فتتسبب في آفات تظهر في التركيب والمزاج والنشاط العضوي والحسي والعقلي كما هو الحال في الأمراض النسلية والوراثية .

ــ وقد يحدث قصور بيولوجي يرجع إلى استعداد خَلْقِي يجعل البدن قابلا للتأثيرات المرضية الخارجية لفقدان أو لنقصٍ أو لخللٍ في أجهزة التعديل الخَلَطي أو في الوظائف الدفاعية .

ــ وقد تحدث آفات مكتسبة بسبب مرض خارجي من النوع الطبيعي (فيزي) أو الكيميائي أو البيولوجي أو النفساني فيتسبب في أمراض تركيبية (مثل الكساح وسوء التغذية) أو التعفنية (كالأمراض السارية) أو تَنَكُّسِية (مثل السرطانات) .

٢ . ٢) على مستوى عوامل البيئة تختلف الأفعال حسب :

أ ــ نوعية الفاعل وخصائصه المرضية وقد يكون :

- ــ فيزيائيا مثل الحرارة والبرودة والأشعة والدوي
- ــ كيميائيا مثل المعادن والملوح والمركبات الأخرى .
- ــ بيولوجيا مثل الجراثيم والطفيليات والأعشاب السامة والحشرات المؤذية .
- ــ نفسيا كالصدمات والانفعالات العقلية .

ب ــ ثم استعدادية الجسم للانفعال والتأثر حيث تتعرض الأعضاء والأنسجة إلى أنواع الآفات والإصابات .

٢ . ٣) على مستوى العوامل السلوكية :

كل الآفات المذكورة قد تحدث نتيجة للتصرفات الإنسانية في المأكل والمشرب والعادات والنشاطات المهنية والرياضية والإجراءات الصحية والوقائية .

٣ ــ التدابير العملية للوقاية وحفظ الصحة :

إذا اتضحت العوامل المسببة في نوعياتها وكيفياتها وتأثيراتها تتبين الأهداف والإجراءات العملية .

٣ . ١) على مستوى العوامل الذاتية :

تكون الإجراءات الوقائية في جميع مراحل النشوء والنمو والتطور الذاتي ومنها (الرسم السابق)

١ و ٢ ــ تدبير الزواج ورعاية الزوجين الصحية والنفسية .

٣ ــ تدبير الحمل لصحة الأم والطفل

٤ ــ تدبير الولادة .

٥ ــ تدبير الحضانة الأولى (غذائيا ووقائيا ونفسيا)

٦ ــ تدبير صحة المزاج والتركيب حسب مراحل العمر .

٣ . ٢) على مستوى العوامل البيئية :

تختلف الإجراءات الصحية حسب العوامل المسببة وطبائعها وتولدها وتنقلها ونفوذها إلى البدن وأفعالها وإنفعالات الجسم المتعرض لها كما تبينها السلسلة الوبائية في الرسم التالي :

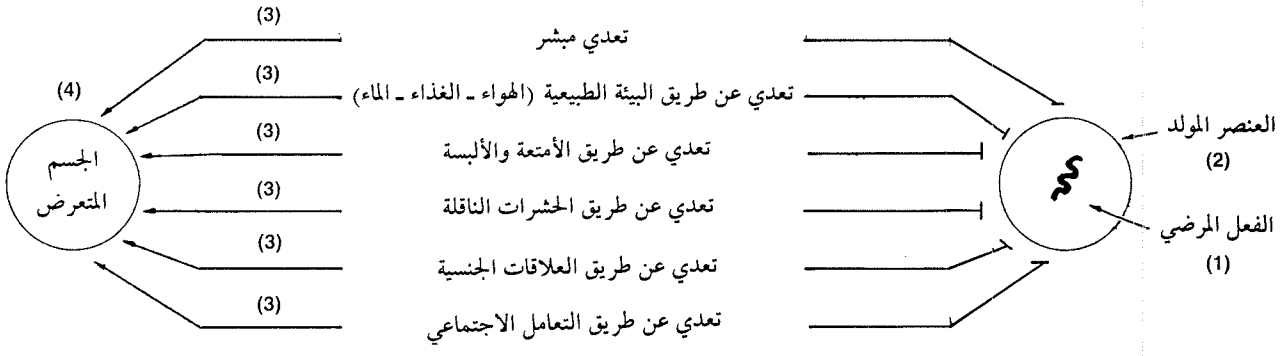

وتقع الإجراءات العملية حسب اختلاف نوعيات الأخطار في المستويات التالية :

١ ــ الفاعل المرضي ويكون التدبير في كيفيات تدميره أو إبطاله أو تحويله .

٢ ــ العنصر المولد (الذي تخلق فيه أو تتوالد العوامل المرضية) ويكون التدبير في تدميره أو تطهيره أو تعقيمه .

٣ ــ الوسط الناقل ويكون التدبير في إصحاحه أو تعقيمه أو إصلاحه .

٤ ــ الجسم المتعرض ويكون التدبير في حفظه وتقوية مناعته .

٣ . ٣) على مستوى العوامل السلوكية :

يكون الهدف تربية السلوك بالتوعية الصحية الخاصة والعامة وحسن استعمال الوسائل الصحية والوقائية والعلاجية .

٤ ــ سياسة الوقاية وحفظ الصحة :

يتبين لنا بعد تحليل العوامل المرضية وتحديد الأهداف العملية أن سياسة الصحة والوقاية تتعرض لمعاكسات داخلية وخارجية لايمكن التغلب عليها إلا باستراتيجية شاملة ومنسقة تحيط بها وتخطط لها المناهج والوسائل .

ما هي تلك المعاكسات وما هي العناصر التي ترتكز عليها استراتيجية الوقاية ؟

٤ . ١) العوامل المؤثرة والمعاكسات :

٤ . ١ . ١ ــ عوامل خَلْقِية طبيعية يخضع لها الإنسان من حيث خصائصه الوراثية وجنسه وأطوار نُموه وحتمية مآله إلى الهرم والموت .

٤ . ١ . ٢ ــ عوامل تابعة للمناطق في طقوسها وخصائصها الطبيعية وبيئاتها النباتية والحيوانية .

٤ . ١ . ٣ ــ عوامل تاريخية تتمثل في ظاهرة التخلف الحضاري والتبعية التكنولوجية والثقافية والإيديولوجية لسياسة الصحة في البلدان الغربية .

٤ . ١ . ٤ ــ عوامل عقائدية متعلقة بمفهوم الحياة والإنسان والصحة والتي تؤثر في سلوك الإنسان وفي سياسة الصحة .

٤ . ١ . ٥ ــ معاكسات علمية تكنولوجية تكمن في الجهل المستمر لكثير من الأسباب الفاعلة في طبائعها وفي تأثيراتها وفي الانفعالات العضوية والنفسية التي توقعها .

٤ . ١ . ٦ ــ معاكسات مادية ومالية تتمثل في التكاليف الباهظة التي تفرضها الإجراءات الوقائية والخدمات الصحية والبحوث العلمية .

٤ . ١ . ٧ ــ معاكسات سياسية تظهر في ضعف الاستراتيجية العامة للخدمات الصحية والوقائية .

٤ . ١ . ٨ ــ معاكسات تثقيفية تابعة لضعف الوعي العام في ميادين الوقاية والنظافة وحفظ الصحة .

٤ . ١ . ٩ ــ معاكسات تنظيمية تظهر في بعثرة الجهود وتناقضها واختلافها داخل البلدان الإسلامية وفيما بينها .

٤ . ٢) عناصر استراتيجية لسياسة الوقاية :

تهدف العناصر الاستراتيجية إلى إصلاح العوامل وتدابيرها وإجراءاتها العملية . ونعرض تلك العناصر بالمقابل للعوامل والمعاكسات السابقة :

٤ . ٢ . ١ ــ المعاكسات الخَلْقية الطبيعية من شأنها أن تُعطي لسياسة الصحة والوقاية مقاييسها الأخلاقية والعملية حتى لا تنحرف وظيفتها وحدودها الإنسانية أنها تدفع إلى معرفة تلك الطبيعة لتحفظها وتعد لها وتضمن لها شروطها الصحية الملائمة .

٤ . ٢ . ٢ ــ تدبير العوامل البيئية يجمع بين أمرين :

ــ إصحاح البيئة الطبيعية باعتبار ما يصيبها من تلوث أو فساد أو تعفن ومن حيث انتشار الحشرات والحيوانات

المولدة أو الناقلة للأمراض والآفات .

- إصلاح البيئة الطبيعية وترقيتها في مكوناتها وتوازنها وتلاؤمها مع الصحة الجسمية والنفسية .

٤ . ٢ . ٣ ـ العوامل التاريخية مرتبطة بواقع الأمة الإسلامية في مخلفاتها وتناقضاتها وطموحاتها بما يفرضه ذلك الواقع من تقارب وتعاضد وتنسيق للجهود وتبادل في الخبرات العلمية .

٤ . ٢ . ٤ ـ العوامل العقائدية تستوجب الرجوع إلى الأصالة الإسلامية من حيث مفهوم الإنسان ووظيفته في الأرض وأبعاده الخلقية والخلقية مما يعطي للصحة والوقاية أبعادا متكاملة ومترابطة هي :

- صحة الجسم بمفهومه البيولوجي .
- صحة النفس لا باعتبار العضوية العصبية الضيقة ولكن باتصالها وتلاؤمها مع الكون والمجتمع .
- صحة الأخلاق باعتبار الوظيفة الكونية والمسؤولية الخلافية التي يتميز بها الإنسان .
- صحة العقيدة باعتبار علاقة الإنسان الروحية بخالقه .

٤ . ٢ . ٥ ـ المعاكسات على المستويين العلمي والتكنولوجي تستوجب تعبئة الإمكانيات العلمية وتنسيقها وتخطيطها طبقا للمصلحة العامة وليس للدوافع التجارية والاستثمارية التي تسود في النظم الصحية المعاصرة .

٤ . ٢ . ٦ ـ المعاكسات المادية والمالية تظهر في ثقل التكاليف المالية التي تفرضها سياسة الصحة والوقاية سواء في النظام اللبرالي حيث يقع العبء على ميزانية المواطن وفي النظام الاشتراكي حيث يقع العبء على خزينة الدولة ـ الحل الملائم لا يوجد في تقليد أحد النظامين ولا في المزج الاصطناعي بينهما ولكنما يبحث عنه في سياسة تعاضدية اجتماعية يتغلب عليها دافع الإحسان والخير وتشترك فيها بنسبٍ متلائمة ومتوازنة جهود الأفراد والمنظمات الخيرية والمرافق الاقتصادية والاعتمادات الدولية .

٤ . ٢ . ٧ ـ المعاكسات على مستوى السياسة الصحية في مشروعها وتخطيطها تفرض منهجية عملية وتسييرية تشترك فيها كل المرافق المعنية من قريب أو بعيد بشؤون الصحة العمومية . ومنها قطاعات التكوين والإسكان والري والتجارة والنظافة المدنية ومراقبة التلوث بالإضافة إلى القطاع الصحي الذي يحدد سياسة الصحة والمقاييس الصحية .

٤ . ٢ . ٨ ـ المعاكسات التثقيفية تحتاج إلى سياسة تربوية وإعلانية مندمجة في البرامج العامة للتعليم الأساسي والتوعية .

٤ . ٢ . ٩ ـ المعاكسات التنظيمية على المستوى الدولي لا تزول ما دامت الأمة الإسلامية تخضع لعامل التفرقة والتناقض القومي والمصلحي ولكنها ومادامت الأهداف الصحية والإنسانية لا تختلف توجب توحيد الاهتمامات وتنسيق الإمكانيات البشرية والمادية والعلمية والتنظيمية .

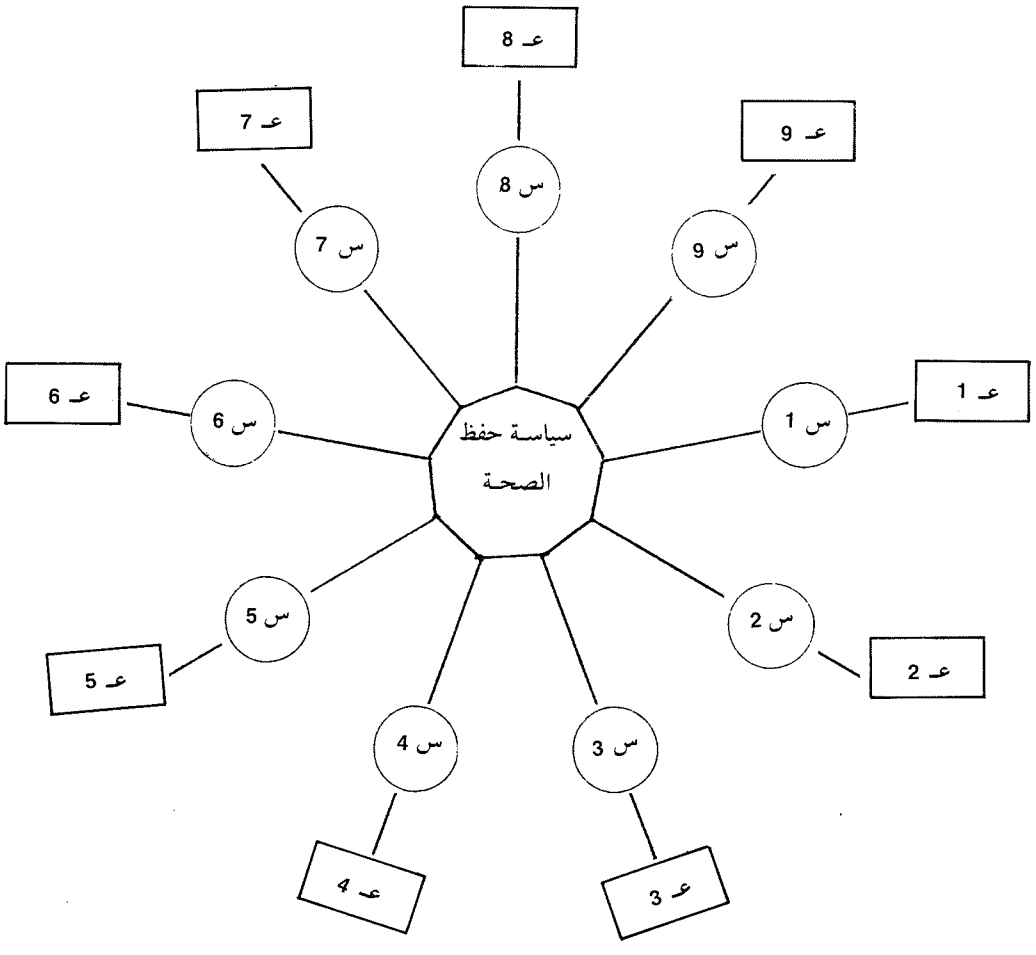

العوامل المعاكسة		عناصر استراتيجية
1) خلقية طبيعية	←	س 1 سياسة التناسل
2) مناخية	←	س 2 اصلاح البيئة الطبيعية
3) تاريخية حضارية	←	س 3 مشروع التقدم والتنمية
4) عقائديـــة	←	س 4 تحديد الأهداف الصحية
5) علمية تكنولوجية	←	س 5 البحث العلمي وتبادل الخبرات
6) مالية	←	س 6 توزيع التكاليف
7) سياسـة الصحة	←	س 7 التنسيق بين المرافق المعنية
8) تثقيفية	←	س 8 التربية الصحية
9) تنظيمية	←	س 9 توحيد وتنسيق السياسة الصحية

الخلاصة :

مبادىء عامة لسياسة الوقاية

كخلاصة لهذا البحث نذكر بعض المبادىء الأساسية التي استخلصناها من المفهوم الإسلامي للصحة وللوقاية ومن المعطيات الحضارية والمنهجية المعاصرة

من خصائص المفهوم الإسلامي لحفظ الصحة أن الهدف الإسلامي هو دفع الضرر وتحقيق الحياة الكريمة للإنسان في كل أبعادها المادية والمعنوية ، لذلك تعتبر الوقاية من الواجبات الإنسانية والدينية ترجع المسؤولية فيها على كل من الأفراد والمجتمع والدولة (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) .

٢ ــ امتدادا لذلك المبدأ الإحساني تختلف السياسة الصحية في محوريها العلاجي والوقائي سواء عن النظام اللبرالي حيث أنها تخضع فيه لدافع المتاجرة والاستثمار أو عن النظام الاشتراكي حيث إنها تعتمد فيه على الدولة وحدها سياسيا وماليا ونظاميا .

٣ ــ إن الوقاية وحفظ الصحة لا تستغني عن الاكتشافات العلمية والاكتشافات التكنولوجية الحديثة ولذلك تستوجب متابعة البحوث والاختبارات العلمية والمنهجية في كل ميادين الطب العلاجي والوقاية وصحة البيئة .

٤ ــ إن سياسة الوقاية وحفظ الصحة لا تستقل ولا تستغني عن المؤسسات الصحية والعلاجية بل ترتكز عليها وتتابع تطوراتها ونتائجها لأن العلاج هو نفسه نوع من الوقاية .

٥ ــ بما أن الصحة تخضع لكل عوامل البيئة الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فإن سياسة الوقاية لا تقتصر على الخدمات الصحية وإنما تشمل كل ميادين الحياة المدنية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

٦ ــ لما كان التقدم الصناعي والتكنولوجي والعمراني لا يخلو من تأثيرات وعواقب سلبية قد تخل بتوازن البيئة البشرية والنفسانية والطبيعية لما تحدثه من تلوثات واضطرابات وآفات فإن للوقاية دوراً متجدداً في متابعة تلك التغيرات ومراقبة تأثيراتها .

٧ ــ إن العلوم بما في ذلك علوم الصحة ليست من الامتيازات المحجورة لدولة أو حضارة وإنما هي تراث مشترك بين جميع الأمم ولصالح جميع الشعوب ولذلك تتطلب تفتحا وتبادلا وتعاونا مستمرا بينهم .

٨ ــ إلا أن سياسة التفتح العلمي والحضاري لا تعني تقليدا مطلقا للمفاهيم والمناهج والنماذج المستوردة ولكنها في أبعادها الإسلامية للمبادىء الأخلاقية والمقاييس الاستحسانية والمقاصد الخيرية في خدمة الإنسان وتزكيته الجسمية والنفسية والخلقية والروحية .

نظرية الوقاية عند ابن سينا وآفاقها الجديدة

١ ــ مقدمة :

قصور مناهج الوقاية الحديثة وسياسة الطب والحاجة إلى تجديدها والرجوع إلى حكمة القدماء .

٢ ــ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا

١ ــ التعريف بعلم الطب وأهدافه الأساسية .
٢ ــ العوامل المؤثرة في صحة الإنسان .
- العوامل الذاتية .
- العوامل البيئية .
- العوامل السلوكية .
- العوامل الطبية .

٣ ــ الأسباب والكيفيات المرضية .
٤ ــ تدبير الوقاية وحفظ الصحة .
- الأهداف العامة لصناعة حفظ الصحة .
- التدابير العلمية لحفظ الصحة .

٢ ــ آفاق جديدة للوقاية وحفظ الصحة .

- الأهداف العامة لحفظ الصحة

١ ــ العوامل المؤثرة في صحة الإنسان
١ . ١ ــ العوامل الذاتية .
١ . ٣ ــ العوامل السلوكية .
٢ ــ الأسباب والكيفيات
٢ . ١ ــ الفاعل المرضي
٢ . ٢ ــ العنصر المولد
١ . ٣ ــ طريق التعدي
٢ . ٤ ــ التعرض الجسمي .
٣ ــ تدبيرات الوقاية :
٣ . ١ ــ على مستوى العوامل الذاتية
٢ . ٤ ــ على مستوى العوامل البيئية

٣ . ٣ ــ على مستوى العوامل السلوكية .

٤ ــ إستراتيجية الوقاية وحفظ الصحة

٤ . ١ ــ العوامل المؤثرة والمعاكسات .

٤ . ٢ ــ عناصر استراتيجية لتحقيق المعاكسات .

٤ . ٣ ــ المبادىء العامة لسياسة الوقاية

مراجع

١ ــ القانون في الطب لابن سينا ـ الكتاب الأول
ــ الفن الأول في حد الطب وموضوعاته .
ــ الفن الثاني في ذكر الأمراض والأسباب والأعراض الكلية .
ــ الفن الثالث في حفظ الصحة .

٢ ــ أحمد عروة ـ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا ـ Hygiene et Privention chez Ibn Sina- SNED. ALGER
مجمع اللغة العربية ـ دمشق ١٩٨٦ .

٣ ــ أحمد عروة ـ آفاق إسلامية لفلسفة وسياسة الطب المؤتمر الثاني للطب الإسلامي ـ الكويت ١٩٧٢ .

٤ ــ أحمد عروة . الصحة الاجتماعية في آفاقها الإسلامية المؤتمر الثالث للطب الإسلامي استانبول ١٩٨٤ .

٥ ــ أحمد عروة . الخدمات الصحية في الحضارة العربية الإسلامية الأصالة ـ الجزائر ١٩٨٦ .

٦ ــ أحمد شوقي الفنجري ـ السلوك الإسلامي والصحة وأثر الإسلام وتعاليمه والحفاظ على صحة الفرد والمجتمع ـ المؤتمر الثالث للطب الإسلامي استانبول ١٩٨٤ .

٧ ــ أحمد شوكت الشطي ـ تاريخ الطب وآدابه وأعلامه مطبعة طربين سوريا .

٨ ــ احسان دوغروماجي ـ مستقبل الطب الإسلامي المؤتمر الثاني للطب الإسلامي . الكويت ١٩٨٢

٩ ــ غلام محمد كريم ـ الوضع الراهن والتوقعات المستقبلية للطب الاسلامي . المؤتمر الثاني للطب الإسلامي الكويت ١٩٨٢ .

10. J. Bainbridge et S. Sapirie. Gestion es projets sanitaires. OMS 1975.
11. Vers une anti-medecine LA NEF Paris
12. Philippe Mayer - abandonner les tutelles politiques. Le Monde. 31/8/1985.
13. Politique et planification de la sante Revue du Tiers Monde. Tome XIV. n^{0} 55.
14. Milton Terris. Les trois systemes mondiaux de prestation medicale: tendances et perspectives in Forum de la sante vol. 1
15. Maher Hathout. Islamic health system and integrated approach. II^{0} Islamic Conference of medicine Koweit. 1982
16. Hakin Mohammad Said. Thoughts on the futur of Islamic medicine II^{0} Islamic conference of medicine Koweit 1982
17. Programmation sanitaire pour le pays. (PSP) Ministere de la Sante - Alger 1975.

رئيس الجلسة : الأستاذ الدكتور ممدوح جبر

شكرا أستاذنا الفاضل الدكتور / أحمد عروة للعرض المختصر الواضح لفكر ابن سينا في مجال الوقاية وما تناوله في ذلك الوقت من عوامل ذاتية وعوامل بيئية وعوامل سلوكية وتأثيرها على الصحة شكرا والآن ننتقل إلى الأستاذ الدكتور / أحمد شوقي ابراهيم عن زواج الأقارب وأود أن أذكر الأستاذ الدكتور / شوقي أن الوقت المخصص للبحث ١٥ دقيقة مضى منها خمس حتى الآن وأملي كبير في تعويض الفائت .

المجموعة السابعة
(من القسم الأول)

الوقاية من الإسلام

أبحاث قبلت للإلقاء أثناء المؤتمر

١ ــ «زواج الأقارب»

الدكتور / أحمد شوقي ابراهيم

٢ ــ «متلازمة القولون اللواطي». (متوفر باللغة الإنجليزية ويوجد له ملخص بالعربية)

الدكتور / ماهر حتحوت

٣ ــ «استثمار التعاليم الإسلامية في تثبيت حقوق الطفل»

الدكتور / عدنان أحمد البار

٤ ــ «دراسة عن أهمية لبن الأم» (متوفر باللغة الانجليزية)

الدكتور / س.م.ك. واسطي

المناقشات

زواج الأقارب

للدكتور/ أحمد شوقي ابراهيم
مستشار الأمراض الباطنية
بمستشفى الصباح

كثر الحديث عن علاقة زواج الأقارب بالأمراض الوراثية في الذرية وذلك نتيجة للتقدم العلمي في علوم الوراثة في عصرنا الحاضر وما صاحب ذلك التقدم من اكتشاف كثير من الحقائق العلمية التي لم تكن مفهومة في العصور الماضية . .

وترجع أهمية هذا الموضوع إلى أن زواج الأقارب مفضل في بعض المجتمعات وخاصة الشرقية منها وذلك لأسباب كثيرة منها الرغبة في الاحتفاظ بالثروة داخل الأسرة . . وصغر السن عند الزواج وما يصاحبه من عدم النضج العاطفي وانفراد الآباء بالقرار . . . وتحتم التقاليد في بعض القبائل العربية ألا يتزوج البنت إلا ابن عمها .

ولقد تبين من دراسة ميدانية لحالات الزواج بالكويت سنة ١٩٨٣[١] أن زواج الأقارب يشكل ٥٤,٣٪ من حالات الزواج . . وأن نسبة زواج الأقارب سنة ١٩٦٨ م . كانت ٥٣,٩٪ مما يدل على نسبة زواج الأقارب عالية في المجتمعات العربية ومما يدل أيضا على أن الأسباب التي دعت إلى زواج الأقارب لم تقل بمرور السنين .

وفي دراسة ميدانية أخرى في هذا الموضوع في مصر سنة ١٩٨٣[٢] تبين أن زواج الأقارب يشكل ٢٨,٩٦٪ من حالات الزواج . وبعض المجتمعات الشرقية تسمح بزواج الرجل من بنت أخيه أو بنت أخته كما هو الحال في بعض مناطق الهند . . إلا أن بعض المجتمعات الغربية لها نظرة مختلفة في زواج الأقارب ففي بعض الولايات الأمريكية لا يسمح بزواج أولاد العم والعمة أو الخال والخالة . .

وحتى نفهم هذا الموضوع فهما علميا نحاول أن نفهم أولا الأسس العلمية التي على أساسها تنتقل الأمراض الوراثية من الآباء إلى الذرية . .

تتكون النطفة في الرحم من أمشاج الذكر والأنثى . . . وتحمل تلك الأمشاج العوامل الوراثية من كل من الأب والأم . . وهكذا تنتقل الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء والأحفاد وإلى ما شاء الله . . وكل ذلك في نظام متقن بديع يدل على قدرة الخالق البارىء المصور تبارك وتعالى .

ولايتغير النظام الوراثي في الإنسان . . ومهما حدثت من طفرات وراثية . . فإن ذلك إن كان يغير بعض الصفات الخلقية إلا أنه لا يغير مطلقا النظام الوراثي في الخلية البشرية .

والعوامل الوراثية في معظمها إما سائدة وإما متنحية . .

- **والعامل الوراثي السائد**: له القدرة على الظهور والتعبير عن نفسه .
- **والعامل الوراثي المتنحي** : ليس له القدرة على الظهور والتعبير عن نفسه إلا إذا اجتمع مع عامل وراثي متنحٍّ مماثل تماما . . حينئذ تظهر الصفة الوراثية التي يحملانها معا .

وبوجود العوامل الوراثية السائدة والمتنحية التي تحمل الصفات الوراثية ، تظهر تلك الصفات في الأبناء فمنهم من يشبه الأم ومنهم من يشبه الأب أو العم أو الخال وروى البخاري والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: «لم يكن أحد منهم أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي» .

وأننا إذا افترضنا وجود مرض وراثي في أحد الوالدين ـ ينقله عامل وراثي سائد فإنه يعبر عن نفسه ويظهر في نسبة معينة من الأبناء ولا يظهر في الآخرين أما في حالة العوامل الوراثية المتنحية فلابد أن تكون موجودة في كل من الأب والأم معا ، ليظهر المرض في نسبة معينة من الأبناء ولا يظهر في الآخرين ، يظهر فيمن يجتمع لديهم عاملان وراثيان متنحيان ولا يظهر فيمن ينتقل إليه عامل وراثي متنحٍ واحد . .[٣] وليست العوامل الوراثية السائدة أو المتنحية ، تحمل صفات غير مرغوب فيها أو أمراضا فحسب فقد تحمل صفات مرغوبا فيها أيضا . .

إن العوامل الوراثية المتنحية تجتمع في الأقارب في الجين الأول بنسبة ١ : ٨ وتقل هذه النسبة في غير الأقارب فإذا كان هذا الجين في المجتمع بنسبة : ١٠٠٠ فإن احتمال تواجد هذا الجين في أحد الزوجين ١ : ٥٠٠ وإذا كان في المجتمع بنسبة ١ : ١٠٠ فإن احتمال وجود هذا الجين في أحد الزوجين ١ : ٥٠وفي كلتا الحالتين نجد أن نسبة تواجد الجين المتنحي في الأقرباء (بنت العم أو العمة والخال والخالة) يكون ثابتا ١ : ٨ وهذا يبين خطورة زواج الأقارب في ظهور الأمراض الوراثية وخاصة النادرة منها فإذا استمر الزواج بالأقارب جيلا بعد جيل فإن العوامل الوراثية المتنحية تجتمع فيهم أكثر مما هي موجودة في المجتمع من حولهم فإن الرجل إذا تزوج بابنة عمه أو ابنة خاله وكان كل منهما يحمل نفس العامل الوراثي المتنحي لصفة صحية أو مرضية فإن ٢٥٪ من أولادهما ستظهر عليهم تلك الصفة و ٥٠٪ منهم يحملون العامل الوراثي المتنحي و ٢٥٪ منهم لا يحملونه .

أما إذا كانت درجة القرابة بعيدة فإن احتمال تواجد الجينات المماثلة أقل وبالتالي يكون احتمال حدوث المرض في الذرية أقل من هذه النسبة كأن يكون مثلا ١ : ١٦ والعكس صحيح إذا كانت درجة القرابة بين الزوجين أقرب كما في بعض المجتمعات الهندية التي تسمح بزواج الرجل من بنت أخيه أو أخته فإن احتمال تواجد الجينات المماثلة يكون أكثر من ١ ـ أي ١ : ٤ وهذا النوع من الزواج ممنوع في الإسلام .

ولا ينصح كثير من علماء الوراثة بالزواج من الأقارب على اعتقاد أن زواج الأقارب ينقل الأمراض الوراثية من

الآباء إلى الذرية أكثر مما هو في زواج الأباعد ولقد تحمس كثير من العلماء لهذا الرأي وجاء بأحاديث أسندوها إلى النبي محمد ﷺ تنصح بزواج الأباعد .

مثل الحديث القائل : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » .
والحديث القائل : « اغتربوا لا تضووا » أي تزوجوا الأغراب حتى لا تضعف الذرية » .

فهل هذا الرأي صحيح علميا ؟ وهل هذه الأحاديث قالها النبي محمد : حقا ؟ .

إذا نظر أي عالم نظرية متأنية في أبعاد هذا الموضوع لوجد أن القول « بأن زواج الأقارب يعطي الفرصة لزيادة الأمراض الوراثية في الذرية » ليس قولا صحيحا في كل الأحوال . . قد يكون صحيحا في حالات معينة . . ولكنه ليس صحيحا في كل الحالات . . وبالتالي لا ينبغي أن يكون قانونا عاما أو قاعدةعامة . . وآن الأوان أن ننظر لها نظرة علمية أكثر دقة كذلك نقول إن الأحاديث التي ساقها البعض ليدلل على النصح بعدم زواج الأقارب . . هذه الأحاديث لم تثبت صحة إسنادها إلى النبي محمد ﷺ . .

وهناك بعض الحقائق الأساسية في هذا الموضوع : ـ

١ ــ زيادة نسبة ظهور الأمراض الوراثية في الذرية الناتجة من العوامل الوراثية المتنحية من كلا الأبوين . . ليست معتمدة على زواج الأقارب في كل الأحوال ولكنها تعتمد أساسا على مدى انتشار العامل الوراثي المرضي المتنحي بين أفراد المجتمع ككل .

فإذا كان منتشرا بنسبة أكثر من ١ : ٨ في المجتمع فإن زواج الأباعد لايكون ضمانا لإنجاب أصحاء وراثيا .

نفهم من ذلك أن ظهور بعض الأمراض الوراثية في الذرية في المجتمعات التي تنتشر بين أفرادها العوامل الوراثية المرضية المتنحية انتشارا نحو ١ : ٨ تتساوى نسبة ظهورها في الذرية في زواج الأقارب وزواج الأباعد على سواء .

وهناك فرض آخر إذا كانت نسبة انتشار العامل الوراثي المرضي المتنحي في المجتمع أكثر من ١٢٪ وكانت أسرة في هذا المجتمع نقية وراثيا في هذه الحالة فإن الزواج بين الأقارب في هذه الأسرة أفضل كثيرا وأكثر ضماناً من زواج الأباعد .

ومن أمثلة تلك الأمراض ـ مرض الأنيميا المنجلية : ـ
إذا كان العامل الوراثي المتنحي منحصرا في أفراد أسرة معينة أكثر مما هو في أفراد المجتمع من حولهم فإن زواج الأباعد يكون أفضل من زواج الأقارب . . أما إذا كان العكس هو الصحيح وكان أفراد الأسرة أنقياء وراثيا وأفراد المجتمع من حولهم ينتشر فيهم العامل الوراثي المرضي المتنحي ففي هذه الحالة يكون زواج الأقارب أكثر ضمانا وأمنا من زواج الأباعد فمثلا في بعض مناطق إيطاليا وصقلية يوجد العامل الوراثي المتنحي لمرض الأنيميا المنجلية منتشرا في أفراد المجتمع بنسبة تصل ١٠٪ . . والنسبة أعلى في مجتمعات أخرى مثل بعض مناطق كينيا حيث تصل النسبة إلى ٤٠٪ في أفراد المجتمع[٤] . فإذا افترضنا أن أسرة هاجرت إلى هناك وكان أفرادها أنقياء وراثيا من هذا

العامل الوراثي . . أفلا يكون زواج الأقارب أفضل من زواج الأباعد ؟ .

مثل آخر مرضى الفاقة البحرية . . ويوجد هذا المرض في منطقة كبيرة من العالم تمتد من جنوب شرق آسيا وغربا حتى جنوب أوروبا وتشمل كل جنوب شرق أسيا والهند والباكستان وإيران وأفغانستان وشمال الجزيرة العربية وكل حوض البحر الأبيض المتوسط .

وفي بعض مناطق إيطاليا قد تصل نسبة انتشار هذا العامل الوراثي المرضي المتنحي إلى ٢٠٪ فلو عاشت أسرة نقية وراثياً في هذا المجتمع فإن زواج الأقارب يكون أفضل من زواج الأباعد[٥] .

٢ ــ هناك من الأمراض الوراثية الناتجة من عاملين وراثيين متنحيين أيضا ويندر وجودهما في أي مجتمع . . في هذه الحالة فإن زواج الأقارب قد يسبب ذرية بها تلك الأمراض أكثر من زواج الأباعد فكلما كانت نسبة انتشار العامل الوراثي المرضى المتنحي قليلة في المجتمع كلما كان زواج الأقارب يسبب نسبة أعلى في تلك الأمراض الوراثية المحدودة والمعينة من زواج الأباعد .

٣ ــ إن ظهور الأمراض الوراثية المتسببة من جينات متنحية في زواج الأقارب ليست بالكثرة التي يظنها البعض . . فقد أظهرت الدراسات التي أجريت بالكويت أن ظهور تلك الأمراض الوراثية ذات الجينات المتنحية كان أقل مما كان متوقعا[١] وفي القبائل العربية التي يتحتم فيها أن يتزوج الرجل من ابنة عمه . . لم تظهر في تلك القبائل نسبة غير عادية من المعوقين أو المرضي[٦] .

٤ ــ كثير من الأمراض الوراثية تنتقل بعامل وراثي سائد واحد من الأب أو الأم . . فهي تحدث في زواج الأقارب والأباعد على سواء ومن أمثلة هذه الأمراض .

نقص التعظيم الغضروفي	Achondroplasia
مرض الحويصلات المتعددة بالكلية	Polycystic disease of the kidney
مرض زيادة الحديد بالدم	Idiopathic haemochromatosis
مرض عدم اكتمال التكون العظمي	Osteogenesis imperfecta
التليف ذو الحدبات	Tuberous sclerorsis
تناذر ديوبين جونسون	Dubin-Johnson syndrome
مرض ضمور عضلات الوجه والكتفين	Facioscapulo-humeral muscular dystrophy
مرض جيلبرت	Gilbert's disease
أمراض الدم الوراثية	Haemoglobinopathies
كوريا هند نجكتون أو داء الرقص	Huntington's chorea
تناذر مارفان	Marfan's syndrome

مرض التوتر العضلي الخلقي	Myotonia congenita
داء الأورام العصبية الليفية	Neurofibromatosis
مرض تعدد الأورام البوليبية بالقولون	Polyposis coli
داء الغرفيرين الحاد المتقطع	Acute intermittent porphyria

٥ ــ وهناك أمراض وراثية ليس لها علاقة بزواج الأقارب مثلاً الأمراض الناتجة من اختلاف عامل روسوس بين الزوجين والطفل المغولي . . ومرض تيرنر . ومرض كلاينفلتر وأمراض أخرى .

٦ ــ وهناك أمراض وراثية مثل مرض النزف الدموي (الهيموفيليا) ومرض عمى الألوان هي أمراض وراثية تحدث في الذرية ومرتبطة بالجنس بمعنى أن الأم سواء كانت قريبة للزوج أو غير قريبة ـ لا فرق ـ تحمل المرض ولكنها لا تعاني منه وتنقله إلى أولادها الذكور فيظهر عليهم المرض أما بناتها فيحملن المرض ولا يظهر عليهن . وهذه الأمراض أيضا ممكن الوقاية منها بالتخير الوراثي ونعني به الاستشارة الوراثية قبل الزواج . وتوجد مجموعة من الأمراض التي تظهر نتيجة تجمع مجموعة من العوامل الوراثية ويطلق على هذه المجموعة اسم الأمراض المتعددة الأسباب مثل مرض السكر وارتفاع ضغط الدم وقرحة المعدة وتصلب الشرايين . . الخ .

وترتفع نسبة ظهور هذه الأمراض في الذرية الناتجة من زواج الأقارب المرضى بهذه الأمراض على نسبتها في زواج الأباعد غير المرضى بها فإذا كان بالأسرة مرض وراثي ما ناتج من جينات متنحية فلا يفضل زواج الأقارب على زواج الأباعد لأن زواج الأباعد في هذه الحالات أكثر أمنا(٧) .

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالتخير بأي طريقة متاحة كما قال ﷺ « تخيروا لنطفكم » ومعلوم أن أحاديث الرسول ﷺ رسالة لبني البشر في كل زمان ومكان فقوله ﷺ لنا الآن « تخيروا لنطفكم » نفهم منه التخير في الشكل وفي الدين وفي الحسب والاستشارة الوراثية أيضا . . قول رسول الله ﷺ « تخيروا لنطفكم » إشارة نفهم منها أن الاستشارة الوراثية في عصرنا الحاضر واجبة شرعا فكما أن الاستشارة الوراثية تقي الذرية من الأمراض الوراثيةالتي تنتقل في زواج الأقارب فهي تقي الذرية من الأمراض الوراثية التي تنتقل في زواج الأباعد أيضا .

وهكذا ففي وجود الاستشارة الوراثية لا نخشى على الذرية سواء في زواج الأقارب أو زواج الأباعد .

٧ ــ لا يجوز أن ننسى أن زواج الأقارب له جوانب إيجابية : ـ

أ ــ إذا كان بالأسرة عوامل وراثية مرغوبة ليست في غيرها من الأسر مثل صفات الجمال والذكاء والقوة . . أو طول العمر وغيرها . حينئذ يكون زواج الأقارب أفضل من زواج الأباعد شريطة ألا يستمر الزواج بين الأقارب جيلا بعد جيل حتى لا تتحول الأسر إلى مجتمعات صغيرة مغلقة . . وهو ما ثبت وراثيا أنه مضر .

وهكذا تتساوى الاحتمالات في زواج الأقارب والأباعد في هذه الحالات . وسواء كان هذا أو ذاك فالرسول ﷺ أمرنا بالتخير إذ قال « تخيروا لنطفكم » .. والتخير في عصرنا الحاضر أساسه الاستشارة الوراثية

بالإضافة إلى التخير في الصفات والأمور الأخرى . . لقد ساق الكثير من العلماء أحاديث نسبوها إلى النبي محمد ﷺ تحذر من زواج الأقارب وتشجع على زواج الأباعد .

ومن هذه الأحاديث القول (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) . ولم نجد هذا الحديث في كل كتب الحديث ولا في كتب الغريب ولا في الأحاديث الغريبة والتي تجري مجرى الأمثال ولا في كتاب المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي المتوفى سنة ٩٠٥ هـ ـ ولا في كتاب كشف الخفاء للعجلوني . .[٨]

ونستطيع أن نقول إن الحديث (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) لم نجده موصول السند أو مرويا عن النبي ﷺ . وكذلك الحديث (اغتربو لا تضووا) لم نجده أيضا في كتب الحديث جميعها وقد يكون من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو لأحد الصحابة[٩] . مما يكون قد تعلموه من رسول الله ﷺ .

فمن الممكن الاحتفاظ بالجينات الصحية الممتازة بين أفراد العائلة لجيل أو اثنين أما إذا استمر زواج الأقارب لأجيال متعاقبة فإنه لايمكن تجنب الأمراض التي قد تحدث نتيجة العوامل المتعددة كما لا يمكن تجنب تواجد الجينات المتنحية المميتة مما يؤدي إلى وفاة بعض الأبناء .

ب ــ الجانب الإيجابي الآخر في زواج الأقارب هو عدم التضحية بجيل من أجل جيل آخر . ولشرح هذه النقطة نفترض أن في مجتمع ما صار الزواج بين أقرباء فقط . . في هذه الحالة نجد أن نسبة تواجد الجينات المرضية في هذا المجتمع ستزداد في ذرية هذا الجيل نتيجة عدم التخلص من هذه الجينات المرضية إذ أن التقاءها في حالة مزدوجة أمر نادر الحدوث . . والنتيجة أنه بمرور الأجيال سترتفع نسبة تواجد هذه الجينات المرضية في المجتمع . . وهذا يؤدي إلى زيادة مطردة في ظهور الأمراض الوراثية المحكومة بهذه الجينات في الأجيال القادمة مثل مرض تليف البنكرياس mucoviscidosis نخرج من هذا بنتيجة هامة وهي أن زواج الأقارب قد يضحي بالجيل الحاضر من أجل الأجيال القادمة . وأن زواج الأباعد قد يضحي بالأجيال القادمة من أجل الجيل الحاضر وهكذا نجد في النهاية ـ حتى في الأمراض المحكومة بجينات متنحية ـ لا تفضيل لزواج الأقارب على زواج الأباعد . . ولا لزواج الأباعد على زواج الأقارب .

أما الأحاديث النبوية التي وجدناها في كتب الحديث في موضوع الزواج فلم نجد فيها أي حديث نبوي شريف يحذر من زواج الأقارب ولكن الحديث أمر بالاحتياط وذلك باختيار الصفات الخلقية ـ والخلقية قبل الزواج . . وهذا يتحقق في عصرنا الحاضر بفحص المرشحين للزواج في عيادات الاستشارات الوراثية ضمانا لحسن الاختيار .

وهذا يوافق ماجاء في الحديث النبوي الذي رواه البخاري وصححه الحاكم في المستدرك ورواه البيهقي عن السيدة عائشة رضي الله عنها مرفوعا : « تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم »[١٠] .

نلاحظ أن الحديث النبوي لم يذكر لا زواج الأقارب أو الأباعد . . ولكن على الرجل أو المرأة أن تتخير شريك حياتها في الصفات الخُلُقية والخَلْقية قبل الزواج . .

وروى الترمذي عن أبي حاتم المزني رضي الله عنه قال النبي ﷺ « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه »[١٠] .

وفضلا عن كل ذلك فهناك دليل أقوى . . فلو كان زواج الأقارب غير مرغوب فيه ما تزوج النبي ﷺ من ابنة عمته أم المؤمنين السيدة زينت بنت جحش بن رئاب وهي من بني أسد بن خديمة المضري وأمها عمة الرسول ﷺ أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم . . فهي عمة شقيقة للرسول ﷺ كما جاء في كتاب « الإصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر العسقلاني[١١] . وأهم من كل هذه الأدلة على أن زواج الأقارب كقانون عام لاشيء عليه هو ماجاء في القرآن الكريم في قوله تعالى :- ﴿ **يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللائي أتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك** ﴾ . (الأحزاب / ٥٠) .

ولو كان في زواج الأقارب ضرر أكيد ما أحله الله تعالى لرسوله وأشار إليه صراحة في الزواج من بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته .

ولقد ذكرنا من قبل أن الاحتمال العلمي لنقل القلة من الأمراض الوراثية الناتجة من جينات متنحية عن طريق زواج الأقارب يقع في حالة واحدة . وهي أن يكون أفراد المجتمع أنقياء وراثيا وأفراد الأسرة غير أنقياء وراثيا .

وحتى في مثل هذه الحالات فإن التخير الوراثي لدى عيادات الاستشارات الوراثية يمنع أي ضرر وراثي محتمل في زواج الأقارب كما قال رسول الله ﷺ « تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم » .

هذا ما أردنا أن نقوله في موضوع زواج الأقارب ونرجو أن نكون قد ساهمنا في تصحيح مفهوم علمي غير صحيح في هذا الموضوع وفي موضوع الأحاديث النبوية الصحيحة في هذا الموضوع أيضا .

المراجع

(1) Consanguinity among the Kuwaiti population S.A.Al Awadi et al Kuw. Med. Genetic Cemtre. J.Med. Genetic-1983 P. 482.

(2) Consanguineous matings in the Egyptian population M. Hafez et al J. Med. Genetic 1983 20 58-10.

(3) Genetics. John R.S. Fincham1st Edition 1983.

(4) Manson's Tropical Medicine 16-th Edition Page 24.

(5) Medicime in the Tropics Edited by A.W. Woodruff Haemoglobimopathies Page 487.

(٦) مجلة سلامتك العدد الأول . سنة ١٩٨٠ م .

(7) Elements of Medical Genetics Alan. E.H. Emery Page 112

(٨) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة (السخاوي) .

(٩) نشرة الطب الإسلامي العدد الأول طبعة ٢ سنة ١٩٨١ م .

(١٠) فتح الباري لشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ العسقلاني جزء ٩ باب النكاح ص ١٢٥ .

(١١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني وسنن الترمذي .

رئيس الجلسة : الأستاذ الدكتور ممدوح جبر

شكرا للدكتور / أحمد شوقي على هذا البحث الممتع ولالتزامه بالوقت المخصص له سيكلمنا الدكتور ماهر حتحوت عن متلازمة القولون اللواطي ولتسهيل الأمر على المتحدث سوف أدق الجرس قبل ثلاث دقائق من انتهاء الوقت المحدد حتى يكون لديكم فائض للتلخيص شكرا . . .

المتلازمة القولونية اللواطية

للدكتور/ ماهر حتحوت
الولايات المتحدة الأمريكية

الملخص

ينصب اهتمام الدوائر المعنية بالأمراض السارية الآن تماما على مرض الإيدز (زوال المناعة المكتسب) .وترصد لذلك ملايين الدولارات وتحشد انباحثين قصد العثور على لقاح أو دواء.

وقد أفضى ذلك إلى الإغضاء بعض الشيء على متلازمة مرضية أخرى تصيب المنحرفين جنسيا من الذكور وقد وصفت عام ١٩٤٨ وتعرف بالمتلازمة القولونية اللواطية.

وتهدف ورقتنا هذه إلى :-

١ ــ التعريف بهذا المرض ولفت الأنظار إليه.

٢ ــ التذكير والتدليل على الانحراف عن الهدي الإلهي يهدد الإنسانية بمخاطر ويلزمها الحجة بقوله تعالى ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوارة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾.

رئيس الجلسة : الأستاذ الدكتور ممدوح جبر

شكراً للدكتور / ماهر حتحوت على كلمته الشيقة ودراسته الطبية علما بأن هذا البحث متوفر باللغة الإنجليزية ونطلب من الدكتور / عدنان البار من جامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية أن يقدم بحثه عن استثمار التعاليم الإسلامية في تثبيت حقوق الطفل . .

استثمار التعاليم الإسلامية في تثبيت حقوق الطفل

للدكتور عدنان أحمد البار

قسم طب الأسرة والمجتمع

كلية الطب والعلوم الطبية ـ جامعة الملك فيصل

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد ، فاستشعارا بأهمية صحة الطفل وتأثرا بالاهتمام العالمي بمسألة حقوق الطفل وصدور العديد من المواثيق التي تشرح حقوق الطفل وتطالب بتطبيقها دون جدوى عملية ، انطلقت باحثا في نصوص الكتاب والسنة عن رأي الإسلام في هذه المسألة وموقفه منها ، وذلك لإيماني العميق أن تقديم هذه الحقوق للناس في قالب إسلامي شرعي يزيد اهتمامهم بها ويكون مدعاة لتطبيقها بدافع إيماني تحركه الرغبة في الامتثال لأمر الله عز وجل ونهج مسلك نبيه ﷺ ونظرت فيما ألف من كتب وتعرض فيه لبعض جوانب هذا الموضوع[١-١٠] ، ثم عرضت هذه الحقوق في قالبها الشرعي الإسلامي وأتبعت ذلك بالمناقشة والتوصيات .

خطة البحث :

١ ــ دراسة لأشهر المواثيق الصادرة عن حقوق الطفل وهي : ـ

ــ « ما يحتاجه كل طفل » منظمة الصحة العقلية .

ــ وثيقة الأمم المتحدة عن حقوق الطفل .

ــ توصيات مؤتمر البيت الأبيض عن الطفل عام ١٩٧٠ .

ــ الهيئة المتحدة للصحة العقلية للطفل .

ــ « ميثاق حقوق الطفل العربي » جامعة الدول العربية .

٢ ــ وضع ملحق للحقوق الواردة في المواثيق المذكورة .

٣ ــ البحث في نصوص الكتاب والسنة عن بعض ما ورد ذكره عن حقوق الطفل وعرض ذلك بشيء من التفصيل .

٤ ــ المناقشة والتوصيات .

النتائـــج

أ ــ جدول لعرض أشهر المواثيق الصادرة عن الهيئات العالمية بشأن حقوق الطفل (١١، ١٢)

ما يحتاجه كل طفل منظمة الصحة العقلية	مؤتمر البيت الأبيض الأطفـال عـام ١٩٧٠	تصـريـح الأمم الطفل	الهيئـة المتحـدة للصحـة العقليـة للطفل	جامعة الدول العربية ميثاق حقوق الطفل العربي
الحب	حق النشوء في بيئة تحترم كرامة حياتـه وتقضي عـلى الفقر والتفرقة وغيرذلك .	حق العناية والحب والفهم .	حق أن يولد مرغوبا فيه	شمل هذا الميثاق خلاصة الحقوق الـواردة في المواثيق الأخرى مـع زيـادة حق عدم التفريق بـين الـذكـر والأنثى (انـظر الملحق)
الأمن	حـق أن يـولـد صحيحا	حق الحصـول على عناية وتغذية كاملة	حق الحياة في بيئة صحية	
القبول	حق النشوء في ظل رعايـة أبـويـن عطوفين	حق التعليم المجاني	حق الحصـول على الاحتياجات الأساسية .	
التوجيه	حق التمتع بطفولته	حـق الـلعـب والتسلية	حق تبني مهـارات عاطفية وذكائية .	
الحرية	حق التعليـم قـدر طاقته	حق الحصـول على اسم وجنسية	حق الحصـول على العنـايـة والعـلاج المناسبين لاحتياجاتهم بالقرب من أمـاكن معيشتهم .	
الحماية	حق وجود نـظام اجتماعي يكفل له هذه الحقوق	حق العناية الخاصة للمعاقين	حق العناية والحب المستمر	
الإيمان		حق الأسبقيـة في الإنقاذ عند حدوث الكوارث .	حـق أن يـولـد صحيحا	
الإشراف		حق أن يكون عضواً فعالا في مجتمعه وأن يكـون مهـارات فردية مناسبة له حق التنشئـة عـلى روح الـسـلام والأخوة العالمية * حق التمتع بهذه الحقوق بغض النظر عن الأصل واللون والجنس والـديـن والوطن والمنشأ .		

ب ــ خلاصة الحقوق المذكورة في المواثيق الخاصة بحقوق الطفل :

١ ــ أن يولد مرغوبا فيه .

٢ ــ أن يولد صحيحا .

٣ ــ الحياة في بيئة صحية .

٤ ــ الحصول على الاحتياجات الأساسية ومنها النفقة والعناية والعلاج والتعليم .

٥ ــ الحب والحنان والرعاية المستمرة .

٦ ــ اكتساب سمات خلقية وعاطفية وذكائية .

٧ ــ اللعب والتسلية والاستمتاع بالطفولة .

٨ ــ التسمية والنسب .

٩ ــ العناية الخاصة بأصحاب الحاجة كالأيتام والفقراء والمساكين والمعوقين وغيرهم .

١٠ ــ التوجيه (ويشمل ذلك الإيمان) .

١١ ــ التنشئة على روح السلام والأخوة .

١٢ ــ التمتع بهذه الحقوق بغض النظر عن اللون والجنس والأصل والدين .

١٣ ــ عدم التفريق بين الذكر والأنثى .

جـ ــ عرض تفصيلي لحقوق الطفل كما جاءت مثبتة بنصوص الكتاب والسنة :

١ ــ أن يولد مرغوباً فيه :

يعتبر التكاثر في الإسلام مطلبا شرعيا انطلاقاً من قوله ﷺ : « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » رواه أحمد ، والنسل عطية من الله للعبد كما قال سبحانه : ﴿ **يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور** . . ﴾ الشورى ٤٩ وهم زينة الحياة الدنيا قال تعالى : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** . . ﴾ الكهف ٤٦ وعلى ذلك فالفرح بالنسل أمر غريزي يفرح له المسلم ويبشر به وقد جاءت بذلك العديد من الآيات كقوله تعالى على لسان زكريا : ﴿ **هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى** . . ﴾ آل عمران ٣٨ ـ ٣٩ والإسلام يدعو إلى الفرحة بالمولود ذكرا كان أم أنثى ويحذر من التشاؤم والسخط من ولادة الأنثى وفي ذلك يقول تعالى معيبا على الجاهلين : ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾ النحل ٥٨ ـ ٥٩ ، ويقول ﷺ : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا ، وضم إصبيعه » رواه مسلم . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « جاءتني امرأة ومعها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال : « من بلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار » رواه مسلم . . وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم

يؤثر ولده الذكور عليها أدخله الله الجنة » رواه أبو داود .

٢ ــ أن يولد صحيحا سليما :

يسعى الإسلام لتثبيت هذا الحق للطفل من مرحلة مبكرة فهو يحث على اختيار الزوجة الصالحة ذات الأصل الطيب فقد أثر « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » ومن ذلك أيضا توجيه الآباء لاتخاذ كافة الوسائل والتدابير لحماية الطفل وصيانته من نزغات الشيطان وذلك عند وضعه في الرحم فقد قال ﷺ : « أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر أن يكون بينهما في ذلك وقضى ولد لم يضره شيطان أبدا » رواه البخاري .

ولضمان سلامة الجنين في بطن أمه رخص الله للمرأة الحامل الفطر في رمضان . . ومن الجدير بالذكر أن الإسلام حرم الإجهاض إلا لسبب طبي قوي تتعرض بسببه حياة الأم للخطر[٩] يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه الحلال والحرام في الإسلام : « واتفق الفقهاء على أن إسقاطه بعد نفخ الروح فيه حرام وجريمة لايحل للمسلم أن يفعله لأنه جناية على حي متكامل الخلق ظاهر الحياة . وقالوا : « ولذلك وجبت في إسقاطه الدية إن نزل حيا ثم مات ، وعقوبة مالية أقل منها إن نزل ميتا » وفي قوله ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . . » شاهد يدفع المسلم إلى اتخاذ كافة الأسباب اللازمة لضمان قوة المؤمنين ومنها الحرص على أن يولد الطفل المسلم صحيحا سليما .

٣ ــ الحياة في بيئة صحية :

إن المسلم مطالب بأن يكون صحيحا قويا « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ومن صحة البيئة نظافة المسكن والمأكل والمشرب والطرق والمسجد وغير ذلك . ولضمان ذلك وردت أحاديث كثيرة بعضها عام ، كقوله ﷺ : « إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم » وبعضها خاص كقوله ﷺ : « البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » رواه البخاري ومسلم وقوله ﷺ : « . . وتميط الأذى عن الطريق صدقة . . » متفق عليه وقوله : « بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له » متفق عليه والآيات والأحاديث الداعية إلى الصحة والحث عليها كثيرة بل حفظ الصحة مدعاة لحفظ النفس وهو واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

٤ ــ الحصول على الاحتياجات الأساسية :

ومن ذلك النفقة والعناية والعلاج والتعليم ، وفي هذا الباب نصوص كثيرة فعن وجوب نفقة الوالد على ولده يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** ﴾ البقرة ٢٣٣ ، وقوله تعالى : ﴿ **وآت ذا القربى حقه** . . ﴾ الإسراء ٢٦ .

فالنفقة حق للولد على والده لعموم خبر هند زوجة أبي سفيان حيث قال لها رسول الله ﷺ : « خذي ما يكفيك

وولدك بالمعروف » بل جعلها الله سبحانه وتعالى من خير أوجه الإنفاق والصدقة ، كما قال ﷺ : « أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله ، ودينار ينفقه على فرسه في سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله » وفي حديث آخر « إن أفضل هذه الدنانير هو ما أنفق على العيال . ومن أعظم حقوق الولد على أمه تغذيته بإرضاعه من ثديها لأن الله تعالى لما وهب الولد للوالدين جعل غذاءه من لبن أمه وأعده لذلك إعدادا فطريا قال تعالى : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ البقرة : ٢٣٣ وقال تعالى : ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** ﴾ الأحقاف : ١٥ .

ويكفي لضمان الاحتياجات الأساسية للطفل من قبل أبيه أو وليه أو الحاكم قوله ﷺ : « كلكم راع ومسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته » متفق عليه .

والتعليم حاجة أساسية يحث عليها ديننا الحنيف فأول التنزيل قوله تعالى : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ العلق ١ والله يطالبنا بدعائه ﴿ **وقل رب زدني علما** ﴾ .

وقد أثر عنه ﷺ قوله : « قيدوا العلم بالكتابة » فكل هذا شواهد على حرص الإسلام على تعليم المسلم .

٥ ــ الحب والحنان والعناية المستمرة :

جعل الله حب الآباء لأبنائهم غريزة فيهم وبالرغم من ذلك فنظراً لوجود بعض الآباء الذين قست قلوبهم وخلت من كل رحمة وشفقة اشتمل الكتاب والسنة على نصوص تؤكد حق الطفل في الحب والحنان والعناية المستمرة فالله عز وجل يقرر أن البنين زينة الحياة الدنيا ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾ الكهف ٤٦ ويوجب لهم النفقة ﴿ **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** ﴾ البقرة ٢٣٣ ويجعل الحنان عليهم والعناية بهم سببا لدخول الجنة والوقاية من النار فعن عائشة رضي الله عنها قالت جاءتني امرأة ومعها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرةواحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال : « من بلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار » رواه مسلم ، وعنه ﷺ قال « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده الذكور عليها أدخله الله الجنة » رواه أبو داود .

ورسول الله ﷺ كان يحب الأطفال ويداعبهم ويلاعبهم وفي ذلك أحاديث كثيرة سيأتي ذكرهاعند الحديث عن حق الاستمتاع بالطفولة .

٦ ــ حق اكتساب سمات خلقية وعاطفية وذكائية :

لابد للطفل من تنمية عقله وتغذية فكره ومساعدته على بناء شخصيته وتهذيب نفسه وتربيته على الأخلاق الفاضلة والإسلام أكد حقيقة مهمة وهي أن الوالدين هما الأساس الأول في تثبيت هذه المعايير في نفس الطفل وروحه وفكره ، فقد

قال ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه » رواه الطبراني والبيهقي وفي هذا تأكيد على أن اتجاه الولد الفكري والخلقي والاجتماعي متأثر أولا وقبل كل شيء من بيئة أبويه وأخلاقهما وسلوكهما ولذلك أرشد الإسلام الأبوين إلى وجوب تنشئة الطفل على الإيمان بالله ـ كما سيأتي بيانه بالتفصيل ـ والأخلاق الحسنة فقد قال تعالى حاكيا وصية لقمان لابنه ﴿ **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ لقمان ١٣ وقال : ﴿ **يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لايحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ لقمان ١٧/ ١٩ . وقال ﷺ : « ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن » رواه الترمذي والإسلام يدعو إلى الصدق وينهى عن الكذب حتى على الأطفال فعن عبدالله بن عامر رضي الله عنه قال : « جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي صغير ، فذهبت لألعب ، فقالت أمي : يا عبدالله تعال أعطيك ، فقال رسول الله ﷺ : وما أردت أن تعطيه ؟ قالت تمرا ، قال : « أما أنك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة » رواه أبو داود ، ومن حقوق الطفل احترام شخصيته وإعطاؤه الفرصة لإبداء رأيه فقد دلت النصوص على ذلك ففي قصة ابراهيم مع ابنه اسماعيل قال تعالى : ﴿ **فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى . .** ﴾ .

٧ ــ حق اللعب والتسلية والاستمتاع بالطفولة :

إن الشريعة الإسلامية تقرر أن الطفل غير مكلف فالحرج مرفوع عن الصبي حتى يبلغ ، وتثبت حق الطفل في الاستمتاع بطفولته حتى إننا نجد رسول الله ﷺ رئيس الدولة يداعب طفلا (أخا لأنس بن مالك) فيقول له (يا أبا عمير ما فعل النُغير) رواه البخاري . . وكان يأتيه طفل اسمه زاهر فيجهزه ﷺ ويقول له « إن زاهرا باديتنا ونحن حاضرته » أي زهرة تسمى البادية ونحن نجهزه بما يحتاج . مشكاة المصابيح صفحة ٤١٦ وقد كان عليه السلام يداعب أحفاده فعن علي : ان النبي ﷺ كان قاعدا في موضع الجنائز فطلع الحسن والحسين فاعتركا ، فقال رسول الله ﷺ ـ وعلي جالس ـ ويها حسين خذ حسنا فقلت تؤلب على حسن وهو أكبرهما يا رسول الله ؟ فقال : هذا جبريل قائم وهو يقول : ويها حسنا خذ حسينا وكان ﷺ يمشي على أربع وعلى ظهره الحسن و الحسين وهو يقول : نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما .

ودخل ﷺ مرة على عائشة ـ وكانت صغيرة ـ فوجدها تضع أمامها الدمى (العرائس واللعب) وتتفنن في تزيينها وترتيبها وقد وضعت لبعضها ما يشبه الأجنحة فسألها عما تصنع ؟فقالت إنها خيول سليمان بن داود فيبتسم ﷺ ويقول وما هذه الأجنحة ؟ فتقول : ألم تكن لسليمان خيول ذوات أجنحة يطرن بها ؟ فضحك رسول الله ﷺ .

٨ ــ حق التسمية والنسب :

لم يكتف الإسلام بإعطاء الطفل حق التسمية بل تعدى ذلك إلى جعل حسن الإسم حقًا للابن على أبيه فقد قال ﷺ « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء أبائكم فأحسنوا أسماءكم . . » رواه أبو داود بإسناد حسن ، وقد غير ﷺ أسماء البعض لسوء معانيها وحث على اختيار الأسماء ذات المعاني الجميلة فقال ﷺ « تسموا بأسماء الأنبياء

وأحب الأسماء إلى الله عبدالله عبدالرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة » وروى مسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحب أسمائكم الى الله عز وجل عبدالله وعبدالرحمن » ، وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على وجوب المبادرة بتسمية الطفل دون تأخير فقد ورد عنه ﷺ أنه سمى أطفالا في أول يوم لولادتهم وثالث يوم وسابع يوم على الأكثر . وكما أقر الإسلام حق الطفل في التسمية أقرّ له حق النسب فبعد أن كان العرب في الجاهلية ينسبون إليهم من يتبنون جاء الإسلام ليبطل هذا الأمر فعندما تبنى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة كان يدعى زيد ابن محمد فجاء القرآن ناهيا عن هذا وداعيا إلى نسبتهم إلى آبائهم الحقيقيين ان عرفوا وإلا فهم أخوة في الدين ، قال تعالى : ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم** ﴾ وفي إثبات النسب حفظ للأعراض وحماية لها من الضياع .

٩ ــ حق العناية الخاصة لأصحاب الحاجة كالفقراء والمساكين والأيتام والمعوقين وغيرهم :

إن المتدبر في النصوص الواردة في الكتاب والسنة يجد لأصحاب الحاجة اعتبارا خاصا وأسبقية فالفقر مثلا ركن من أركان الثالوث الخطير المدمر (الفقر ـ الجهل ـ المرض) والأطفال المنحدرون من أسر فقيرة هم أكثر الأطفال عرضة للأمراض وأقلهم تمتعا بحقوقهم ولذا نجد أن الإسلام قد وضع أنظمة دقيقة متعددة للقضاء على مشكلة الفقر منها[١٣] :

أ ــ الكد والعمل للحصول على الكسب ، فالأعرابي الذي جاء يسأل من رسول الله ﷺ صدقة أعطاه ﷺ درهمين وأمره أن يشتري بهما فأسا ويذهب فيحتطب ويبيع حطبه ويعيش على كسبه من ذلك .

ب ــ الزكاة : والفقراء من مستحقيها قال تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين . . . الآية** ﴾ التوبة : ٦٠

جـ ــ كفالة الموسرين من الأقارب قال تعالى : ﴿ **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل . .** ﴾ الاسراء : ٢٦ . وقال تعالى : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** ﴾ الإنسان ٨ . وقال : ﴿ **فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة** ﴾ البلد ١١ـ١٨ .

د ــ كفالة الخزانة الإسلامية بمختلف مواردها : قال تعالى : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾ الأنفال : ٤١ . وقال : ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لايكون دولة بين الأغنياء منكم** ﴾ الحشر٧ .

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية ما رواه المؤرخون عن عمر بن عبدالعزيز : أن زوجته فاطمة قالت : دخلت يوما عليه وهو جالس في مصلاه ، واضعا خده على يده ودموعه تسيل على خديه ، فقلت : مالك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة لقد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ففكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المجهود واليتيم المكسور والأرملة الوحيدة والمظلوم المقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذي العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد فعلمت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة فرحمت نفسي فبكيت .

هـ ــ الصدقات الاختيارية والإحسان الفردي وفي هذا الباب آيات وأحاديث كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :
قال تعالى : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة** . . ﴾ البقرة ٢٤٥ .

وقال سبحانه : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون** ﴾ البقرة ٢٧٤ .

وقال : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون** ﴾ البقرة ٢٦١/٢٦٢ . وقال ﷺ : « يقول العبد مالي مالي ، وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأقنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس » رواه مسلم .

وأصحاب العاهات (المعوقون) من أصحاب الحاجة بلغت عناية الإسلام بهم حد رفع الحرج عنهم فيما لايستطيعون القيام به فضلا عن أسبقيتهم في حق النفقة والرعاية . . فقد قال تعالى : ﴿ **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج** ﴾ النور ٦١ وللأيتام على وجه الخصوص رعاية خاصة دلت عليها الآيات السابقة وكثير من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ ومن ذلك قوله ﷺ « أنا وكافل اليتيم كهاتين يوم القيامة وجمع بين الوسطى والسبابة » .

١٠ ــ حق التوجيه وحق الإيمان :

يعتبر الإسلام هذا الحق من أهم حقوق الأطفال فالله عز وجل فطر النفوس السوية كما قال تعالى : ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ وكما قال : ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه » رواه الطبراني والبيهقي .

ولذا كان لزاما على الآباء أن يوجهوا أبناءهم ويرشدوهم إلى الخير والصلاح قال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** . . ﴾ التحريم : ٦ وذكر لنا في كتابه العزيز وصية لقمان لابنه كمثال على ما ينبغي للآباء أن يوجهوا أبناءهم إليه فقال تعالى : ﴿ **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتِ بها الله إن الله لطيف خبير يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحا إن الله لايحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ لقمان ١٣-١٩ .

وعن رافع قال : « رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته رضي الله عنها » وبذلك يكون اسم

الله ورسوله أول ما يقرع آذان هذا المولود وأول تثبيت له على الفطرة التي فطره الله عليها . وكان ﷺ يحث أصحابه على الاهتمام بأبنائهم وتوجيههم إلى طاعة الله وحسن الخلق فيقول : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه أبو داود ويقول مخاطبا ابن عباس (وكان غلاما وقتئذ) « يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذي وقال معلما ومؤدبا لعمر بن أبي سلمة وكانت يده تطيش في الصحفة « يا بني سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » رواه البخاري ومسلم وجعل أعظم عطية الاب لابنه الخلق الحسن فقال ﷺ : « ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن » رواه الترمذي والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا حصر لها وفيما سبق إشارة كافية .

١١ ــ حق التنشئة على روح السلام والأخوة :

وفي ذلك أحاديث كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ الحجرات آية ١٠ وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ الحجرات : ١٣ .

وقوله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه البخاري وقوله ﷺ : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وقوله ﷺ « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله تعالى . . . المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولايحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه » رواه مسلم .

وحتى في حالات الحروب فإن الإسلام يكفل للطفل حق الحماية فقد كان ﷺ ينهى أصحابه عن قتل المرأة والطفل والشيخ الكبير فعن ابن عمر أن امرأة وجدت مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فأنكر رسول الله ﷺ ذلك ونهى عن قتل النساء والصبيان .

١٢ ــ حق التمتع بهذه الحقوق بغض النظر عن اللون والجنس والأصل :

إن الإسلام ينهى بشدة عن التفرقة المقيتة بين الناس القائمة على أساس الاختلاف في اللون والجنس والأصل ، فالله يقول ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ الحجرات : ١٣ .

ورسول الله ﷺ يؤكد أنه لافرق لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى وهي أمر لا يعلمه إلا الله كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** ﴾ النجم آية ٣٢

١٣ ــ عدم التفريق بين الذكر والأنثى :

جرت كل الجاهليات قديمها وحديثها على تفضيل الذكر على الأنثى والفرح بالذكر دون الأنثى وقد جاء الإسلام ليحرم هذه العادة السيئة وينهي عنها أشد النهي ويتوعد فاعلها ويسمه بالجهل ويكفينا من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾ النحل ٥٨ ـ ٥٩ . وقوله ﷺ « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده الذكور عليها أدخله الله الجنة » رواه أبو داود .

المناقشـــة والتوصـــيات :

نالت قضية حقوق الطفل نصيبا كبيرا من الدراسة والبحث في المحافل الطبية الدولية المعنية بهذا الأمر كاليونسيف وغيرها ورغم صدور العديد من التوصيات بهذا الشأن إلا أنه يمكننا القول بأن حقوق الطفل لم تزل كلاما نظريا لم يأخذ طريقه إلى التطبيق العملي بل إننا نرى هضما متزايدا لحقول الطفل في العالمين المسمين بالمتقدم والنامي ، ففي العالم المتقدم مدنيا كأمريكا وأوروبا والاتحاد السوفيتي مازال الإجهاض المحدث يقضي على ملايين الأجنة سنويا[٩] ومازال الطفل في هذه المجتمعات يعيش حالة من الضياع وفقدان العناية والتوجيه وفي المقابل يعاني أطفال الدول الفقيرة (النامية) من الجوع والمرض والجهل حيث يعاني ٧٠٪ من سوء التغذية (١٤) ويموت ملايين الأطفال بسبب نقص الغذاء وضعف المقاومة وبعض الأمراض التي يمكن الوقاية منها ، والسبب في عدم تطبيق مواثيق حقوق الطفل هو عدم الإيمان الجاد بها وانعدام الدافع المؤدي إلى تطبيقها ولهذا سعى البعض إلى صياغة هذه المواثيق في أطر أكثر قبولا وأحرى بالتطبيق ومن أهم هذه الأطر استثمار التعاليم الدينية كدافع للحكومات والأفراد للاهتمام بهذا الأمر وأخذه مأخذ الجد والممارسة وكتب في هذا المجال بعض الغربيين[١٥،١٦] واهتم كثير من المفكرين والمربين المسلمين بهذا الأمر كالاستانبولي[٢] وعلوان[١٠] والخطيب[١] وغيرهم وسبقهم إلى هذا ابن القيم[٧] رحمه الله تعالى ومع هذا فإن ما كتب لايعدو أن يكون نتفا متفرقة لا جهدا مركزاً على القضية ذاتها اللهم إلا ما ختم به الاستانبولي كتابه القيم نحو أسرة مسلمة بعنوان : « دستور حقوق الأطفال كما رسمه الإسلام »[٢] إلا أن الناظر في ملخص الحقوق التي اشتملتها المواثيق المختلفة إذا ما قارنها بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من حقوق للطفل يدرك دون عناء أن الإسلام بمنهجه العظيم سبق كل المنظمات الطبية والإنسانية والدولية إلى وضع منهج دقيق متكامل يكفل للطفل حقوقه كواجب شرعي يطالب المسلم بتطبيقه ويحاسب على التقصير فيه . واليوم رغم وجود هذا المنهج المتكامل لكفالة حقوق الطفل نجد تناقضا في ديار المسلمين فهي أغنى دول العالم وأفقرها معا والحالة الصحية للطفل المسلم متردية بشكل مزرٍ وليس أدل على ذلك من أن معدل وفيات الرضع ما بين عال وعال جدا في أكثر من ثلاثين دولة مسلمة[١٧] ونسبة الأميين مازالت عالية في ديار المسلمين[١٨] .

إننا أمام تناقض عجيب منهج متكامل يكفل للطفل حقوقه وواقع أليم يموت فيه الأطفال المسلمون من الجوع والمرض هذا عدا الحروب المدمرة المؤدية إلى قتل وتشرد الأطفال وضياعهم ، فما أحرانا أن نذكر الناس بهذا المنهج وندعو إلى الحفاظ على حقوق الطفل كواجب شرعي والله الموفق .

الملحق : الحقوق الأساسية : ميثاق حقوق الطفل العربي (جامعة الدول العربية)

١ ــ تأكيد وكفالة حق الطفل في الرعاية والتنشئة الأسرية القائمة على الاستمرار الأسري ، ومشاعر التعاطف والدفء والتقبل وإحلاله المركز اللائق به في الأسرة بما يمكنه من التفاعل الإيجابي في رحابها ، وأن يكون محور اهتمامها به مما يضمن تلبية وإشباع حاجاته البيلوجية ، والنفسية والروحية والاجتماعية ، وبما ييسر له بناء شخصية مستقلة ، وحرية في الفكر والرأي ، تتكافأ مع قدراته دون تمييز بين البنين والبنات .

٢ ــ تأكيد وكفالة حق الطفل في الأمن الاجتماعي ، والنشأة في صحة وعافية قائمة على العناية الصحية ، والوقائية والعلاجية له ولأمه من يوم حملها ، وبإصحاح البيئة التي ينمو فيها ، وحقه في المسكن الملائم الذي يظله وتغذيته تغذية كافية ومتوازنة وملائمة لأطوار نموه .

٣ ــ تأكيد وكفالة حق الطفل في أن يعرف باسم وجنسية معينة منذ مولده .

٤ ــ تأكيد وكفالة حقه في التعليم المجاني والتربية في مرحلتي ما قبل المدرسة والتعليم الأساسي ـ كحد أدنى ـ بحسبان أن التعليم هو حجر الزاوية في التغيير الدائم وفي اكتساب الاتجاهات والمهارات والقدرات التي يوجه بها كل المواقف الجديدة بالمعرفة المتجددة ، ويتخلص بها من القيم اللاوظيفية والتقاليد البالية السلبية ، وينشأ بها على التفكير العلمي والموضوعي وحسن التقدير ، وحب العمل وحسن أدائه ، كما يمده بالقدرة على رفع مستوى معيشته وثقافته العامة ، وعلى الإسهام الإيجابي في حياة مجتمعه وأمته وضمان حقه في الثقافة المستمرة وفي حسن استثمار أوقات الفراغ ، وفي الترفيه عن نفسه باللعب والرياضة والقراءة .

٥ ــ تأكيد وكفالة حقه في الخدمة الاجتماعية المجتمعية والمؤسسية المتكاملة والموازنة ، الموجهة لكل قطاعات الطفولة في البادية والريف والحضر ، وبخاصة لأبناء فقراء هذه البيئات كافة ، وللأقوياء والمعوقين والموهوبين كل فئة وفق حاجاتها وبما يضمن لها الفرصة في العيش الهنيء والنشأة السوية والانخراط في حياة المجتمع والإسهام في بنائه وتطوره .

٦ ــ تأكيد وكفالة حق الطفل في رعاية الدولة وحمايتها له من الاستغلال ومن اثلاهمال الجسماني والروحي ، حتى إذا كان ذلك من جانب أسرته ، وتنظيم عمالته بحيث لاتبدأ إلا في سن مناسبة وحتى لا يولى عملا أو حرفة تضر بصحته أو تعرضه للمخاطر أو تعرقل تعليمه ، أوتحجب فرص نموه من الناحية البدنية أو العضلية أو النفسية أو الخلقية أو الاجتماعية وأن يكون مقدما في الحصول على الوقاية والإغاثة عند الكوارث وخاصة الأطفال المعوقين .

٧ ــ حقه في أن يتفتح على العالم من حوله وأن ينشأ على حب خير الناس ، وأن يدرك أهمية السلام والصداقة بين الشعوب ، ومحبة إخوانه في الإنسانية .

٨ ــ صون هذه الحقوق وإحاطتها بالحماية التشريعية في كل دولة عربية التزاما بأحكام هذا الميثاق وأن تكون مصلحة

الطفل الاعتبار المقدم في كل الحالات .

٩ ــ الأخذ بالمناهج التنموية والوقائية ، ذلك أن التنمية الشاملة المتكاملة المتوازنة هي الحل الجذري لقضايا الطفولة وغيرها من القضايا ، وأن رعاية الطفولة من الإعاقة أفضل من علاجها منها بعد حدوثها .

١٠ ــ الأخذ بمبدأ التكامل في توفير الحاجات الأساسية للأطفال وتقديم الخدمات ، وشمول وعدالة توزيعها وتركيبها حيث الحاجة الأكبر والسعي المتصل من خلال العمل العربي المشترك لتقليص الفجوة الماثلة في مجال تنمية الطفولة ورعايتها بين الأقطار العربية .

ثبت بالمراجع :

١ ــ عبدالغني الخطيب : الطفل المثالي في الإسلام ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٢ ــ محمود مهدي الاستانبولي : نحو أسرة مسلمة السبيل إلى أسرة أفضل . المكتب الإسلامي . الطبعة الثالثة . ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٣ ــ عبدالغني أحمد ناجي : سلسلة المرأة المسلمة(٦) الأمومة والطفولة في الإسلام ـ دار الاعتصام .

٤ ــ خيرية حسين طه صادق : دور الأم في تربية الطفل المسلم . دار المجتمع للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م .

٥ ــ د. وجيه زين العابدين : الإسلام والطفولة . مكتبة المنارة الإسلامية الكويت .

٦ ــ دكتورة سعاد ابراهيم صالح : علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية تهامة (سلسلة الكتاب الجامعي رقم ٧) الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٧ ــ ابن قيم الجوزيه : تحفة المودود بأحكام المولود . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ .

٨ ــ محمد السيد الزعبلاوي : الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٩ ــ د. محمد علي البار : مشكلة الإجهاض (دراسة طبية فقهية) الدار السعودية للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ص ٣٧ـ٤٥ .

١٠ ــ عبدالله علوان : تربية الأولاد في الإسلام . دار السلام للطباعة والنشر . الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

١١ ــ Hilda H. Robbins/ Securing the Right of Children by Citizen Advocacy.

S.H. Fine, R. Krell, and Tsung-Yi Lin (Eds) 'Todays Priorities in Mental Health' 85-92. 1980 by D. Reidel Publishing Company.

١٢ ــ الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية . الطفولة العربية . ميثاق حقوق الطفل العربي . العدد الثالث نيسان ـ ابريل ١٩٨٥ ص ١٤ ـ ١٥ .

١٣ ــ يوسف القرضاوي : مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام . مؤسسة الرسالة . الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م . ص ٣٧ـ١٣٨ بتصرف .

١٤ ــ السيطرة على أمراض النقص الغذائي . دراسة أساسية رقم ٢٤ منشورات منظمة الصحة العالمية ١٩٧٠م ص ٥٦ .

١٥ ــ J. Ernest Runions/ Religion and Mental Health in Children S.H. Fine, R. Krell, and Tsung-yi Lin (Eds) 'Todays Priorities in Mental Health. (233—235) ———— 1980 by D. Reidel Publishing Company.

١٦ ــ J. Ernest Runions/ Mental Health, Transmission of Values and Religion S.H. Fine, R. Krell and Tsung-yi Lin (Eds) 'To-

days Priorities in Mental Health' (145-154) ——— 1980 by D. Reidel Publishing Company.

١٧ — UNICEF. The State of the World's Children 1986. Statistics Section/ Demoqraphic Indicators.

١٨ — د. نبيل صبحي الطويل . التخلف والحرمان في ديار المسلمين كتاب الأمة رقم ٧ . الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

رئيس الجلسة : الأستاذ الدكتور ممدوح جبر

نشكر الدكتور / عدنان البار لكلمته الطيبة الشيقة ونطلب من الدكتور / واسطي أن يتقدم إلى الميكروفون ليقدم لنا دراسة عن أهمية لبن الأم .

المناقشات

المناقشات

أ . د . ممدوح جبر

لدى اعلانان الأول أن على السادة المحاضرين الذين لم يسلموا أبحاثهم كاملة إلى سكرتارية المؤتمر أن يبادروا بتسليم هذه الأبحاث عقب الجلسة .

الإعلان الآخر أن أعضاء اللجان عليهم أن يجتمعوا فور انتهاء هذه الجلسة في الحجرة المجاورة .

والآن لدينا بضع دقائق نحن متأخرون ستين دقيقة في الواقع ولكن لدينا بضع دقائق للأسئلة هل هناك أوراق للأسئلة غير ما لدينا لدى الأستاذ الدكتور التميمي ولدى أربعة أسئلة فأرجو من السادة السائلين أن يختصروا السؤال أو التعقيب إلى دقيقة أو دقيقتين على الأكثر على السيد المحاضر المختص أن يجيب إذا رأى سيادته أن في ذلك فائدة للجميع وترتيبا لنظام الجلسة أظن ليس لدى أسئلة موجهة للأستاذ الدكتور / أحمد عروة ولكن على بحث الأستاذ الدكتور / أحمد شوقي ابراهيم لدينا تعليق من د. خشنود أحمد صديق وسيقدم الدكتور / خشنود أحمد صديق تعليقا مختصرا على البحث المقدم من د. أحمد شوقي ابراهيم :

أ . د . ممدوح جبر

شكرا للدكتور / خشنود على بحثه والآن لدى الدكتور / سالم نجم تعليق على بحث الدكتور / ماهر حتحوت

وشكرا ولدينا الآن سؤال من الدكتور / عدنان البار موجه إلى الدكتور / ماهر حتحوت .

د. عدنان البار

السلام عليكم شكرا سعادة الرئيس الدكتور / ماهر حتحوت تكلم عن موضوع متلازمة القولون اللواطي وبالنسبة للقولون اللواطي الحقيقة أن كل الأبحاث العلمية التي تشرف عليها جهات موثوقة في هذا الموضوع تؤكد ما قاله الدكتور / ماهر حتحوت في انتشارها هي والأمبيا بموضوع اتصال الشذوذ الجنسي ربما كانت وسيلته في البراز هؤلاء الأشخاص لهم طرق متعددة من الشذوذ بما فيها لعق يعني يدخل لسانه في شرج الآخر ثم يكون الآخر متبادلا بينهما لكن كنت أتوقع من الدكتور / ماهر أن يحدثنا عن نقطتين مهمتين الأولى . منهما سرطان الشرج والمستقيم والآن تدارت فيه الأورام التي تعمل لهذا الموضوع سرطان المستقيم وفتحة الشرج وما حولها لدى هؤلاء الشاذين جنسيا

السرطان الآخر الذي ينتشر لدى هؤلاء الشاذين بصرف النظر عن الإيدز ومجموعتها سرطان المشعر على اللسان هؤلاء الشاذون لهم ممارسات جنسية غريبة جدا .

لدي سؤال آخر سريع أيضا هل الشذوذ مرض ؟ النظرية الغربية كانت تقول إن الشذوذ مرض وعلماء النفس أرادوا أن يخرجوهم من هذا الآن وقالوا إنها مسألة طبيعية لكن النظرة الإسلامية لا أظنها تعامل الشاذ الجنسي على أساس أنه مرض ويقام له العلاج لكن النظرة الإسلامية تعتبره مجرما وتعاقبه عقوبة شديدة جدا هي الإعدام هاتان هما النقطتان الأساسيتان . حتى نختصر دور اليهود . . . في نشر الشذوذ الجنسي . والدكتور / ماهر حتحوت اختصر الحديث عنها لأنه قد سمع عنها قطعا وقد ذكر وأشار إلى نقاط طبية كثيرة وعند مقارنته بالضرب لشيء فات عليه أن يذكر ما يسمي ضرب الطفل ضربا مبرحا قد يقضي عليه ثاني بسبب اللوطيات في الأطفال من سن الولادة حتى سن خمس سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية هو ضرب الأطفال المبرح والاعتداء عليهم من ذويهم من الأم أو من الأب ثاني أهم سبب لوفيات الأطفال هناك حسب التقديرات الحديثة من أربعة إلى خمسة مليون في الولايات المتحدة يعتدى عليهم سنويا بما فيه الاعتداء الجنسي من ذويهم وهناك جمعيات كاملة في الولايات المتحدة شعارها الرفق بالأطفال . . والسلام عليكم ورحمة الله :

رئيس الجلسة :

شكرا د. البار . د. ماهر هل تحب أن تجيب على بعض الأسئلة هذه ؟

د. ماهر حتحوت

باختصار شديد ذكرت في أول المقال أنني لم ألّم بكافة أنواع البلاء الناتجة عن الممارسة الشاذة وإنما حددت نفسي لهذه المتلازمة فقط أما أنواع السرطانات التي ذكرها بحق الأخ الدكتور لا تندرج تحت ما يسمى بالقولون اللواطي ولذلك لن أتحدث عنها .

وبالنسبة لمعاملة لإسلام للشاذ جنسيا فرقت كذلك فيما قلت بين من يمارس الشذوذ ومن يستشعر الشذوذ ولا أعتقد أن الإسلام سيعاقب إنسانا بما يستشعر وإنما أقصى ما يكون أنه سيكون قد هم بسيئة ولم يفعلها بخصوص عقوبة الإعدام أترك هذا للسادة الفقهاء والسلام عليكم ورحمة الله .

رئيس الجلسة :

شكرا الدكتور / ماهر

الدكتور / عدنان موجه لك أسئلة منب عض الإخوان فلو تنتظر الدكتور عبدالفتاح شوقي له سؤال أو تعقيب سريع إن شاء الله ثم يتبعه د . عدنان .

د. عبدالفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم :

أنا سوف آخذ نقطة في البحر المتلاطم الذي تكلم عنه الدكتور / عدنان في الطفولة حيث يكون الطفل غير مرغوب فيه نحن نمارس في كثير وفي أغلب الدول الإسلامية الدعاية بالتلفزيون وفي الإذاعة والصحافة عند تحديد النسل والانفجار السكاني فتتلازم هذه الحملات جميعا بأطفال غير مرغوب فيهم . دولة تقول اثنين ودولة تقول ثلاثة ، ما يزيد عن هذا العدد يعتبر في نظر الدولة ثم في نظر الأسرة غير مرغوب فيه . نحن نقاسي الآن ونعاني من الشباب والاتجاهات الانحرافية في الشباب والنظر في الشباب والطيش في الشباب وننسى أننا نحن مسئولين وأن الدول والإعلان في الدول يساعد ويربي هذه الأجيال لكي تكون أجيالاً منحرفة لأنها أجيال غير مرغوب فيها الطفل الذي يجلس لمشاهدة التلفزيون والإذاعة ويسمع أن طفلين يكفي كيف يمكن أن يقاسي مع المجتمع ومع أسرته بل أكثر من ذلك أن الأسرة عندما تعاني من ضغط اقتصادي أو غير ذلك أنها تتلفظ أمام الأطفال أو الأولاد أنهم أطفال غير مرغوب فيهم نحن نطالب المسؤولين من الناحية النفسية ومن الناحية الاجتماعية أن يواجهوا هذه المشكلة بصرف النظر عن رأينا في قضية تحديد النسل سلبا أو إيجابا أو طريقتها يجب أن يرى المسؤولون طريقة سليمة سوية لكي يوجهوا حملاتهم حتى لا يشعر الأطفال من الجيل الجديد الموجود اليوم والموجود غدا وبعد غد أنهم أطفال غير مرغوب فيهم وإنما أطفال يتقبلهم المجتمع وتتقبلهم الأسرة قبلهم مثل بقية الأطفال هذه قضية يجب أن نواجهها من الآن قبل أن تستفحل ويزداد عدد الذين يشعرون أنهم غرباء عن هذا المجتمع ومرفوضون من هذا المجتمع غير مطلوبين وغير مقبولين مما تتأثر به النفوس وهذه تتغطى بفقرة القضايا النفسية التي يجب أن يعالجها الطبيب المسلم أو الاجتماعي المسلم أو النفساني المسلم هذه قضية ليست بالقليلة ولعل بعض إخواننا الاجتماعيين والنفسانيين لو حاولوا أن يعملوا عدة بحوث في الدول الإسلامية التي تقوم بحملات تنظيم الأسرة أو حملات الحد من النسل أو الحملات المختلفة يحاولون أن يعملوا منها قضية للدراسة والبحث حتى يمكنهم أن يعرفوا تأثير هذه الحملات المشكوك في هدفها لعلها متعمدة ليس فقط لإتلاف النفوس ولكن إتلاف الأطفال كذلك . . .

وشكرا جزيلا . . .

رئيس الجلسة :

شكر للدكتور / عبدالفتاح شوقي يوجد سؤال الحقيقية لكن لا أدري من كتبه وأجد صعوبة في قراءته وهو موجه للدكتور / عدنان أيضا ، يوجد خبر سار وهو أن الجلسة غدا تبدأ الساعة التاسعة والنصف صباحاً بدلا من التاسعة .

بإذن الله نجتمع غداً الساعة التاسعة والنصف صباحا شكرا والسلام عليكم ورحمة الله

المجموعة الثامنة
(من القسم الأول)

أبحاث قبلت للنشر

١ ــ «الطب الوقائي النبوي»
الدكتور / محمود الحاج قاسم

٢ ــ «الطب الوقائي في المفهوم الإسلامي»
الدكتور / عادل البكري

٣ ــ «الاسلام ينظم تناول الطعام»
الدكتور / عبد المنعم عبد القادر الميلادي

٤ ــ «بعض النتائج العلمية فيما حض عليه الإسلام في مجال الممارسات الطبية».
الدكتور / محمد سويسي

٥ ــ «علم الطب التجريبي في الإسلام»
الدكتور / عمر شرودر

٦ ــ «قبس من القرآن الكريم والتراث الطبي النبوي»
الأستاذ الدكتور / محمود درويش

٧ ــ «استرداد وتوثيق للوصفة الطبية في الطب النبوي من خلال مقومات الكمبيوتر المجهزة».
الدكتور / سليم مصطفى

٨ ــ «الطب النبوي» (متوفر باللغة الانجليزية)
الدكتور / محمد كوفاديا

٩ ــ «الطفولة في الإسلام» (متوفر باللغة الانجليزية)
الدكتور / علي موسى

١٠ ــ «أسس الطب النبوي» (متوفر باللغة الانجليزية)
الدكتور / غلام محمد كريم

الطب الوقائي النبوي

للدكتور محمود الحاج قاسم محمد
مستشفى الأطفال ـ الموصل ـ العراق

اهتم الإسلام بالطب بنوعيه الطب الوقائي الذي أولاه اهتماما خاصا ، والطب العلاجي الذي رسم له بعض الحدود والمعالم ولكنه ترك الجزء الأكبر فيه للإنسان حاثا إياه على البحث وعدم اليأس ، مهما كان المرض عضالاً ، جاء ذلك في قوله ﷺ (تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داء إلاّ وضع له دواء ، غير داء واحد هو الهرم) وفي لفظ السام « يعني الموت » رواه أحمد .

والطب الوقائي الذي يسعى الطب اليوم جاهدا إليه وتجند دول العالم والمنظمات الصحية جموع الأطباء والمؤسسات الصحية لتحصين الأفراد ضد الأمراض واتخاذ التدابير لوقاية بني البشر من شرورها ، هذا الطب نجد الإسلام وقبل أربعة عشر قرنا قد أعطاه مكانا متميزا حيث شمل حيزا واسعا في الطب النبوي ، وقبل أن نخوض في تفاصيل الموضوع لابد من إعطاء فكرة عن مفهوم العدوى في الطب النبوي .

مفهوم العدوى في الطب النبوي

للأمراض المعدية طرق مختلفة ومعروفة تنتقل بواسطتها مسبباتها من المكروبات والفيروسات على سبيل المثال لا الحصر .

انتقال أمراض الجهاز التنفسي (التهاب الرئة ، السل ، الخناق ، السعال الديكي ، الانفلونزا ، الحصبة . . الخ) يكون عن طريق التنفس فيما يلفظه المريض من رذاذ أثناء السعال والكلام والتنفس .

أما انتقال أمراض الجهاز الهضمي (كالتيفوئيد ، الديزينتاريا = الزحار الأميبي والباسلي ، الكوليرا ، شلل الأطفال والديدان . . الخ) فيكون عن طريق المواد الغذائية والمشروبات الملوثة .

وعن طريق الجروح تحدث الإصابة بالكزاز ، والغانغرينا الغازية .

وبالملامسة المباشرة وعن طريق الجلد أو الأغشية المخاطية تنتقل الأمراض التناسلية ، والجدري والجذام .

والتهاب الكبد الفيروسي ينتقل بواسطة الحقن أو نقل الدم .

وأخيرا وليس آخرا بواسطة الحيوانات (وخز الحشرات) كالبعوضة التي تنقل الملاريا وداء الفيل ، والحمى الصفراء أو الذبابة من نوع (كلوسينا) التي تنقل مرض النوم أو الحشرة التي تنقل مرض الكلازار وحبة بغداد و القمل الذي ينقل مرض التيفوس أو البرغوث الذي ينقل مرض الطاعون .

والأمراض المعدية كما أن لها طرقاً عديدة لانتقال العدوى من مريض إلى آخر ولها أسباب عديدة ، لها أيضا درجات في شدة العدوى ودرجات في المناعة والمقاومة لدى المصابين بها .

إن ما ذكرناه سابقا لا يشكل قاعدة ثابتة وأساسية بالنسبة لمسألة العدوى وانتقال الأمراض لأن المكروبات والفيروسات أو الطفيليات أو الفطريات لا تشكل السبب الوحيد للمرض والعدوى وإنما هناك أسباب يجهلها بنو البشر تتحكم في طبيعة هذه المخلوقات المتناهية في الصغر هذه الأسباب المجهولة هي التي تغير الطبيعة العدوانية لمكروب ما إلى طبيعة مسالمة أو تحول الطبيعة المسالمة لذلك المكروب إلى معتد أثيم[1] على سبيل المثال فيروس شلل الأطفال . . فهو يدخل إلى الطفل بواسطة الأطعمة الملوثة فيذهب إلى الأمعاء وهناك تتلقفه الغدد اللمفاوية فتهجم عليه وتتعرف عليه معرفة دقيقة وتسجل ذلك في مجموعة من خلايا الغدد اللمفاوية ولا يبدو على الطفل أي مرض . . بل تتكون لديه مناعة وهي هذه المعلومات المختزنة في خلايا الغدد اللمفاوية والمواد التي تستطيع صد هذه الفيروسات إذا أعادت الهجوم ثانية في مستقبل الأيام . وتصيب هذه الفيروسات طفلا آخر تسبب له مرض الشلل ، والفيروسات واحدة وبال على هذا ونعمة على ذلك .

وهناك أسباب أخرى ليست بيد الإنسان ولا يعلمها تتحكم في المقاومة الموجودة لديه فتجعلها قوية عارمة تكتسح كل عدوان أو تجعلها ضعيفة تنهزم في كل ميدان على سبيل المثال أيضا .

مكروب الحمى الشوكية المعروف أنه شديد العدوان فيدخل الأنف والبلعوم ويمكث قليلا ليتكاثر ثم يغزو الدم والسحايا (الأغشية) ولكن هذا المكروب ذا الطبيعة العدوانية يتغير فجأة عند بعض الأشخاص . . . فيبقى هادئا ومسالما . . . ولكنه حيث ينتقل من ذلك الشخص إلى آخر يعود إلى سابق عهده من العتو والعدوان ، بل قد يبقى في فم ذلك الشخص أمدا طويلا دون أن يحرك ساكنا ولكنه فجأة ينقلب من السلام والوئام إلى الهجوم والعدوان .

وليست هناك قاعدة معروفة للإنسان يستطيع أن يتنبأ عن طبيعة هذا المكروب المخاتل وأنه سيتحول فجأة من السلام إلى الهجوم أ و سيتحول من الهجوم إلى المسالمة فليس الأمر بأيدينا وليس الأمر كذلك بيد تلك المكروبات فهي لا تعلم كما لا نعلم من أمرها شيئا . . ولكن الأمر لمن بيده الأمر كله يصرفها كيف يشاء جلت عظمته .

وليست مكروبات الحمى الشوكية هي الوحيدة بين المكروبات لها هذه الطبيعة المزدوجة التي تكون وبالا ودمارا على شخص وتكون سلاما ووئاما على شخص آخر . ولكن المكروبات جميعها تحمل هذه الصفة كالتيفوئيد والجذام والتهاب الكبد الفيروسي وأنواع أخرى لا يتسع المجال لسردها جميعا .

إن العلم وحده لا يتسع أن يعطي تفسيرات كاملة لما سبق فقد يتبادر إلى الذهن أن هناك اختلافا في المكروب ذاته ولكن الفحص الدقيق يثبت أن الميكروب واحد وأنه إذا انتقل إلى شخص آخر فإنه قد يفتك به .

فما هو السر يا ترى في هذه الخاصية العجيبة الموجودة لدى بعض الأشخاص فيحملون الميكروب دون أن تتأثر به أجسامهم فإذا انتقل الميكروب ذاته إلى شخص آخر فعل به الأفاعيل .

ربما يرجع ذلك إلى اختلاف المقدرة على المقاومة ضد المكروب لدى الأشخاص . . . ولكن المقدرة على المقاومة مبنية على أسباب مجهولة . . وليست مبنية على ما يبدو لنا من قوة هذا الشخص وضعف ذلك فقد تصرع شخصا قويا شديدا يبدو في أتم صحته وتبقى كامنة هادئة مسالمة موادعة لفترة ما ثم تغير طبيعتها فتهجم وتكون عليه وبالا . كل ذلك يؤكد بشكل جلي بأن هناك من المجاهيل مالا يعلمه إلا الله . هذه الحقائق العلمية توضح لنابجلاء معنى الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في العدوى وتزيل عنها ماقد يبدو لأول وهلة من تعارض بل تبدو الأحاديث النبوية على حقيقتها القدسية تتحدث عن الحقيقة في أبعادها بلفظ قريب إلى الأذهان والعقول . . وهي متصلة بالأزل .

وأهم الأحاديث الشريفة الواردة في هذا الباب هي عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ :

١ ــ « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » أخرجه البخاري .
٢ ــ عن أبي هريرة « لا يورد ممرض على مصح » أخرجه البخاري ومسلم
٣ ــ عن أبي هريرة « لا عدوى ولا صفر لا هامة » فقال أعرابي يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجرب به كلها . قال رسول الله ﷺ « فمن أعدى الأول » . أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم .
٤ ــ عن أسامة بن زيد عن عبدالرحمن بن عوف (ر ض) أن رسول الله ﷺ قال عندما سئل عن الطاعون « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » أخرجه البخاري ومسلم .
٥ ــ عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال « كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي ﷺ إنا قد بايعناك » وفي رواية « ارجع فقد بايعناك » أخرجه مسلم .
٦ ــ وثبت عن جابر أن النبي ﷺ أكل مع المجذوم في قصعة واحدة وقال له « كل ثقة بالله وتوكل عليه » أخرجه الترمذي .

ففي هذه الأحاديث الشريفة يبين الرسول ﷺ للعرب وللناس كافة . . أن العدوى وحدها أو المكروب وحده ليس هو السبب في حصول المرض وأن هناك أسبابا أخرى بيد الله سبحانه وتعالى إن شاء صرفها وإن شاء جمعها فكان المرض وكانت العدوى . . أما الاعتقاد بأن هذا المكروب هو سبب المرض الوحيد وأن العدوى هي سبب المرض الوحيد فهو أولا جهل بحقائق الأشياء . وثانيا جهل بقدرة الخالق عز وجل وثالثا تعظيم للأسباب الظاهرة فيتكل عليها المرء وبذلك يخرج من دائرة التوحيد إلى دائرة الشرك بالله تعالى .

ولابد إذا من الالتفات إلى المسبب الأول كما قال ﷺ لذلك الأعرابي : فمن أعدى الأول ؟ . . وبذلك ترد الأمور كلها إلى الله الواحد المتصرف في كونه وعباده كما شاء وكما يشاء . . . بالصحة والمرض والعدوى والمقاومة .

وبجانب ما سبق أمر ﷺ أيضا بالبعد عمن عرف أنه مصاب بمرض سار فأوصى المريض بداء سار أن لا يختلط بالأصحاء قدر الإمكان إذا علم أن في اختلاطه بهم احتمالاً للعدوى . وبذلك حدد الموقف من الأمراض المعدية ليسهل على المسلمين في عصورهم المختلفة أن يتلقوا الوصايا الصحية للوقاية من الأمراض السارية بقبول حسن .

إن الإحاطة بموضوع الطب النبوي الوقائي في محاضرة واحدة تجبر الباحث شاء أم أبى إلى الإيجاز ، لذا أجدني مضطرا هنا إلى تناول الموضوع بشكل موجز دون المساس بالجوهر ومن خلال ثلاثة جوانب أساسية .

الجانب الأول / سبيل الوقاية من الأمراض المعدية

أولا : الحجر الصحي :

لقد وضع الرسول ﷺ أساس الحجر الصحي وذلك بنهيه أهل مكان وقع فيه مرض وبائي من الخروج منه ومنع من هم خارجه من الدخول إليه .

فقال ﷺ « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع وأنتم فيها فلا تخرجوا منها » أخرجه البخاري ومسلم .

وعندما خرج عمر (ر ض) إلى الشام وكان بسرغ (قرية في طرف الشام) أخبر بأن الطاعون قد انتشر فيها . فتوقف عمر ولم يدخل إلى المدينة الموبوءة وبعد أن استشار المهاجرين والأنصار المتواجدين هناك نادى في الناس أني مصبح على ظهر فأصبحوا (أي إني مسافر غدا فاستعدوا للسفر) فقال أبو عبيدة بن الجراح:أفرارا من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله .

ثم جاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال إن عندي من هذا علما ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » .

ومفهوم الحجر الصحي مفهوم حديث لم تعرفه البشرية إلا في أواخر القرن التاسع عشر . ومنع السليم من الدخول إلى أرض موبوءة حفاظا عليه من الإصابة أمر منطقي ، إلّا أن منع الأشخاص السليمين من منطقة الوباء من الخروج والفرار من المرض أمر صعب الفهم بدون معرفة دقيقة بالطب حيث إن العقل والمنطق يشير إلى ضرورة الفرار من الوباء للخلاص من العدوى ولكن الطب الحديث يؤكد أن الشخص السليم والموجود في منطقة الوباء قد يكون حاملا للمكروب دون أن تظهر عليه علامات المرض أو يكون المكروب لازال في دور الحضانة وبذلك يمكن أن يكون سببا لنقل المرض إلى غيره من الأصحاء .

ولذا جاء منع الرسول ﷺ أهل البلدة المصابة بالوباء من أن ينتقلوا منها تشريعا رائعا . . . ومعجزة علمية ظهرت حقيقتها اليوم بعد مضي أربعة عشر قرنا من الزمان . وكما جاء المنع شديدا والوعيد مرعبا مخيفا في قوله ﷺ « والفار من الطاعون كالفار من الزحف . . . » جاء الوعيد مرعبا وحاثا أشد الحث على الإقامة والصبر في قولـه ﷺ « المقيم فيه كالشهيد » « والصابر فيه كالصابر في الزحف » « والمطعون شهيد »[٢] .

ثانيا : النظافة الشخصية

من بديهيات الطب الوقائي اليوم نظافة الجلد والأظافر وباعتبار ذلك من أهم مستلزمات الصحة الشخصية يوصي مسئولو الصحة الوقائية في منظمة الصحة العالمية بغسل اليدين عدة مرات في اليوم وخاصة قبل النوم وبعده وغسل اليدين قبل الطعام و بعده وبعد استعمال المرحاض لأن الدراسات أثبتت أن مجرد استعمال الماء النظيف في غسل اليدين مثلا يزيل حوالي ٩٠٪ من الميكروبات وهكذا نجد أن الإسلام قد حرص كل الحرص على ذلك وقبل ١٤ قرنا بفرضه الوضوء على المسلم قبل كل صلاة واعتبر ذلك سبيلا إلى النظافة وتطهيرا لأعضاء الإنسان الظاهرة التي تتعرض دائما لما يلوثها وتكراره خمس مرات في اليوم هو أتم طريق للوقاية وحفظ الصحة حتى في زمن الأوبئة

كما أن الإسلام أوجب على المسلمين الغسل في مناسبات مختلفة منها الجنابة والحيض والنفاس . كما استن الحمام أيام الجمع والأعياد وصح عنه ﷺ قوله « إن لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام » .

وأوصت الآداب الإسلامية بنظافة الثياب ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ المدثر ٤ حيث اشترط لصحة الصلاة طهارة ثياب المصلي ومكان صلاته التي تتكرر خمس مرات في اليوم .

وفي أحاديث الرسول ﷺ تأكيد على النظافة « النظافة من الإيمان والوسخ من الشيطان » « الطهور شطر الإيمان » .

كما حث ﷺ على العناية بنظافة الشعر وترجيله ودهانه وكان ﷺ يفعل ذلك وقال ﷺ « من كان له شعر فليكرمه » رواه أبو داود . وأوصى بإزالة ما يساعد على تراكم الأوساخ على الجسم ، فقال « خمس من الفطرة ، الاستحداد ـ أي حلق شعر العانة ـ والختان وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظافر » رواه الجماعة .

وأوصى بغسل اليدين قبل الأكل وبعده حيث قال ﷺ « بورك طعام غسل قبله وغسل بعده » . وكذلك أكد على غسل اليدين بعد القيام من النوم قائلا « فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده » .

وفي حالة الإصابة بالقمل أكد ﷺ على ضرورة حلق الرأس وهذا ما نوصي به اليوم لكي لا تجد الحشرات وبيوضها ما تلتصق به أو تختبىء تحته .

من الثابت علميا أن الفم لا يكاد يخلو من الميكروبات وأن بقايا الأطعمة وخاصة النشويات هي السبب الرئيسي بالإصابة بنخر (تسوس) الأسنان ولما كان عمل الأسنان هامّاً جدا بالنسبة لمضغ الطعام والمساعدة على هضمه ، وإصابتها أو إصابة اللثة قد يكون سببا لبعض الأمراض التي تصيب أعضاء كثيرة في جسم الإنسان لذا كان من الواجب

الاهتمام بنظافة الأسنان باستعمال الفرشاة التي هي شبيهة بالسواك الذي قال فيه ﷺ « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » .

وفي صحيح البخاري تعليق عنه ﷺ « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وفي صحيح مسلم أنه ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك .

وعن عامر بن ربيعة (رضي الله عنه) أنه قال « رأيت رسول الله ﷺ مالا أحصي يستاك وهو صائم » وقال البخاري قال ابن عمر « يستاك أول النهار وآخره » .

وهذه الأحاديث الكثيرة في أهمية السواك إن دلت على شيء فإنما تدل على العناية الخاصة التي أولاها الرسول ﷺ لمسألة نظافة الأسنان .

ثالثا : صحة البيئة ومنع التلوث

لصحةالبيئة مكانة خاصة في هديه ﷺ

ففي مسند البزار عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود . . . فنظفوا أفنيتكم (ساحاتكم) ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكباء (الزبالة) في دورهم »

ومعروف علميا ما للقمامة وتراكمها في البيوت من أضرار على الصحة لكونها بؤرة لتكاثر الحشرات والذباب والصراصير والبعوض والمكروبات والطفيليات والفطريات التي هي أسباب أغلب الأمراض .

وفي زمن لم يكن فيه وسائل لمجاري المياه القذرة نهى الرسول ﷺ أن تكون المراحيض داخل البيوت ، وقد روى عنه ﷺ أنه أوصى بعدم قضاء الحاجة في الماء أو في الظل أو على قارعة الطريق وهذا ما نسميه بصحةالبيئة[٣] التي تعتمد أساسا على نظافة البيت الذي نقضي فيه معظم أوقاتنا وخاصة أوقات الراحة والنوم وتناول الطعام ، وقد وضع العلماء مواصفات عدة للسكن الصحي ، وهي في جملتها لا تخرج عن الإطار الذي رسمته السنة النبوية الشريفة ، كل ذلك من أجل الوقاية من الأمراض والعلل المعدية .

ومن التأكيدات الأخرى التي اهتم بها الرسول ﷺ لمنع تلوث المياه قوله ﷺ « إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في القدح ولكن ليبين ـ أي يبعد ـ الإناء عن فيه » وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « غطوا الإناء وأوكوا السقاء » .

روى البخاري في حديثه عن ابن عباس « أن رسول الله « نهى عن الشرب من في السقاء » .

ومن ذلك أيضا تحذيره ﷺ « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه » رواه البخارى .

وعن جابر (رضي الله عنه) « أن النبي ﷺ نهى أن يبال في الماء الراكد » رواه أحمد والنسائي .

وعنه أيضاً « أن النبي ﷺ نهى أن يبال في الماء الجاري » ونهى ﷺ أن يستنجى المسلم بيمينه منعا من تلوثها فعن

حفصة (رضي الله عنه) « أن النبي ﷺ كان يجعل يمينه وأكله وشربه وثيابه وأخذه وعطاءه ، وشماله لما سوى ذلك » رواه أحمد وأبو داود وشدد ﷺ في تطهير ما تلوث بالكلاب وشدد في السماح باقتنائها وذلك قبل قرون من اكتشاف أنها السبب الغالب في إصابة الإنسان وحيواناته بداء الكيسة المائية . قال ﷺ « طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولا هن بالتراب » رواه مسلم والبيهقي .

ويقول ﷺ « كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين » .

إن تحديد المسافة بين الصحيح والمريض إلى أكثر من الرمح خشية العدوى هي نفس المسافة التي نشترطها اليوم بين أسرة المرضى في المستشفيات .

وأوص ﷺ بتجنب الغبار فقال « تنكبوا الغبار فإن منه تكون النسمة » وللنسمة معانٍ ذكرها اللغويين منها الشيء الحي صغر أم كبر . ومعنى الحديث تجنبوا الغبار فإن بسبب وجوده في الهواء به كائنات حية صغيرة لا يمكن للعين أن تستبينها تسبب أضرارا لكم فمعروف أن ذرات الغبار تحمل الجراثيم مسببات الأمراض .

أما إذا أخذنا بأحد معانيها اللغوية الأخرى وهو (الربو)[٤] كما فسرها البعض فإن هذا الحديث يبين لنا وجها آخر من أنواع الخطر يجب أن نتفاداه حيث أن الغبار الحاوي أتربة عضوية يكون مسببا لمرض الربو والحاوي على أتربةمعدنية يكون سببا لبعض أمراض الجهاز التنفسي وأنواع التسمم بتلك المعادن .

وبذلك يقدم لنا الرسول ﷺ نصيحة لم يلتفت إليها إلا قبل سنوات وبجهود مضنية من الباحثين والعلماء .

وللوقاية من الأمراض والطفيليات التي تنتقل عن طريق بعض الأغذية حرم الإسلام أكل الميتة والدم ولحم الخنزير قال تعالى ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** ﴾ . المائدة ٣ .

فالميتة لحوم ضارة من المعلوم اليوم لأن الحيوان قد يموت من مرض فتبقى جراثيم هذا المرض في دمه أو لحمه ويكون مصدر عدوى للإنسان . أما الدم فإنه ضار أيضا بالإنسان لأنه في تركيبه يعتبر أصلح وسط لنمو الجراثيم فبمجرد ذبح الحيوان يصبح عرضة لانتشار الجراثيم وتأثرها . وبالتالي يصبح مصدر عدوى له .

ولحم الخنزير هو الآخر مصدر بلاء شديد للإنسان حيث يكون سببا لإصابة الإنسان بنوعين مهلكين من الديدان ١ ـ الديدان الشريطية من نوع (تينياسوليوم) . ٢ ـ ديدان التريشينيا ، فعند تناول الخنزير الحاوي على أجنة هذه الديدان تنطلق وتتكاثر ويستقر النوع الأول منها في الأمعاء وتنتشر حويصلات النوع الثاني في جسم الإنسان وتصيبه بتشنجات وآلام فظيعة في العضلات وبالصرع .

رابعا : الزواج كوقاية من الأمراض الجنسية

لقد خلق الله تعالى في الإنسان جوعه للجنس ، كما خلق فيه جوعه للطعام ، وجعل لكل منهما لذة عند الإشباع ، ولم يخلق سبحانه هذه الغرائز عبثا ، فغريزة البحث عن الطعام موكلة بحفظ الفرد بينما غريزة الجنس موكلة بحفظ

النوع ، وحفظ النوع مقدم على حفظ الفرد ومن الطبيعي أن يسعى الرجل البالغ أو المرأة البالغة إلى إرضاء هذه الجوعة الطبيعية التي غرزها الله في الإنسان ليتم من ورائها التناسل وحفظ النوع .

ولكن الله سبحانه وتعالى لم يجعل الأمر مهملا بحيث يلتقي أي ذكر بأي أنثى دون قيد أو شرط ، بل جعل لذلك طريقا دعا إليه وحبب فيه ، ورغب إليه وحث عليه ، وذلك هو طريق النكاح (الزواج)[٥] .

قال تعالى ﴿ **وأنكحوا الأيامى** (أي غير المتزوجين) **منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم** ﴾(النور ٣٢)
وقال تعالى ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع** ﴾ (النساء ٣) .
وقال ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء (أي مهدّىء) له وقاء » أخرجه الستة .
وقال ﷺ « النكاح سنتي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي » أخرجه أبو داود

وقال ﷺ « من رغب عن سنتي فليس مني » أخرجه البخاري ومسلم

وهكذا نجد الإسلام قد نظم منذ البداية العلاقة بين الرجل المرأة ، حيث شرع القوانين السليمة التي تجعل الفرد يتمتع بحقه الطبيعي دون أن يسبب أذى للمجتمع ففي الوقت الذي بارك فيه الزواج الشرعي السليم وشجعه وأوجبه على القادر عليه وضع العقوبات الصارمة (الجلد والرجم حسب الظروف) على مرتكبي الزنى ، لكل ذلك حفظا على أفرادالمجتمعالإسلامي من الانحلال والتسيب الجنسي الذي يقود إلى الكثير من الأمراض الخبيثة قال تعالى ﴿ **ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾ الإسراء ٣٢ .

إن الدراسات الحديثة التي أجريت في الدول المتقدمة التي جعلت من الحرية الجنسية سلوكا شائعا بحجة التخلص من الكبت وانغمست في الدرك الأسفل من الانحلال والتسيب الخلقي . أثبتت لديها ازدياد الإصابة بالأمراض التناسلية وخاصة السيلان والزهري والايدز أو مرض (فقدان المناعة المكتسب) والهربس والكلاميديا والورم الحبيبي وجرب التاسل وخاصة في الصغار والشباب ، وأصبح التخلص منها أمراً متعذراً على الرغم من أن تلك الدول تمتلك إمكانيات هائلة في وسائل الوقاية والعلاج .

وهذا هو ما حذر منه الرسول الكريم ﷺ عندما قال « لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا » . رواه الحاكم وابن ماجه والبزار .

والمجتمعات الإسلامية لم تظهر فيها مشكلة الأمراض الجنسيةالخبيثة إلا في العهود التي انحرف فيها المسلمون عن دينهم وزاغوا عن شريعة ربهم وتمسكوا بقوانين الكافرين التي تحل الزنى وتبيح العهر ، وتمجد البغاء .
وللوقاية من بعض الأمراض التي تصيب الأعضاء التناسلية شرع الإسلام تشريعات في غاية الأهمية منها :

عدم مباشرةالمرأة خلال فترة الحيض ومن غير الطريق الطبيعي يقول سبحانه وتعالى ﴿ **ويسألونك عن المحيض قل**

هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ .
البقرة / ٢٢٢ .

هذا الأمر الإلهي إعجاز في غاية الأهمية فالمحيض الذي يشمل العادة الشهرية والدم الناتج عن الولادة والإجهاض فوق أنه كريه الرائحة منفر ، فإنه يحمل أذى كبيراوشرا عظيما لكلا الزوجين . فيعرض الرجل لالتهاب مجرى البول إذا ماتسرب دم الحيض إليه حاملا معه بعض الجراثيم وكذلك قد يتعرض لمرض الزهري فيما إذا كانت عند المرأة عدوى كامنة وراثية بهذا المرض ، حيث لا يظهر في الأحوال الاعتيادية وربما يتواجد في دم الحيض بعض من جراثيم الزهري .

أما بالنسبة للمرأة فإن ضرر ذلك أشد حيث إن مقاومتها للأمراض أثناء فترة الحيض تكون ضعيفة لذا فإنها تكون أكثر عرضة لالتهاب المهبل وعنق الرحم نتيجة دخول الجراثيم أثناء الجماع . وبما أن الرحم يكون خلال فترة الحيض محتقنا فإذا أضيف إليه ماتحدثه المباشرة من الاحتقان فقد يحدثان نزيفا ولاسيما إذا كان به أورام أو التهابات .

وقد حذر الرسول ﷺ تحذيرا في غاية الشدة من المباشرة أثناء الحيض ومن غير الطريق الطبيعي فقال « ملعون من أتى امرأة وهي حائض ، ملعون من أتى امرأه في دبرها ، ملعون من عمل عمل قوم لوط » .

وإتيان المرأة في غير الموضع الطبيعي إضافة لما فيه من إثم عظيم فيه أذى كبير فقد يتسبب بحدوث التهابات في مجرى البول للرجل وفي البروستاتا إضافة لما قد يحدثه من جروح عند المرأة .

وتفسير التحريم الذي جاء في التشريع للشذوذ الجنسي (اللواط) طبيا هو لإبقاء الجهاز التناسلي للرجل والمرأة سليما وذلك لكونهما خاليين من الجراثيم الضارة بعكس نهاية الأمعاء الغليظة ولم يحتط لها الجسم إلا في هذا المكان ، بحيث لو وجدت في مكان آخر لأدت إلى أعظم الضرر ، فتسربها إلى الجهاز التناسلي للرجل أو للمرأة أو لكليهما عن طريق اللواط يفقد هذا الجهاز صفة طهارته من الجراثيم فيصبح مرتعا لهذه الجراثيم التي تحدث التهابا وتقيحا .

الجانب الثاني / سبل الوقاية من الأمراض غير المعدية

أولا : الصلاة والرياضة البدنية

الحركات الرياضية وتكرارها بالنسبة للفرد خلال فترات في اليوم ضرورة ملحة تؤكدها الأبحاث التربوية والطبية الحديثة لتنشئة جسمه وعقله نشأة سليمة .

وفي أداء الصلاة وتكرارها على أصولها وباستيفاء شروطها وفي أوقاتها خمس مرات في اليوم تمتزج أمور ثلاثة فالصلاة بالنسبة للمسلم أولا وقبل كل شيء أمر رباني واجب القيام به مهما كان الفرد مشغولا . وهي ثانيا خير رياضة جسدية له حيث تحفظ عليه صحته وتزيل عنه الكسل والخمول وتكسب جسمه خفة ونشاطا ولياقة وتقوي عضلاته وأربطة جسمه وتحميه من الأمراض البدنية . والصلاة أخيرا تلزم الفرد على التمتع براحة نفسية ورياضة روحية إجبارية فيجدد نشاطه الفكري واتزانه النفسي يقول صلوات الله عليه : « أرحنا بها يا بلال » .

وهكذا وبفضل الصلاة الدائمة يعيش المسلم أيامه معافى في بدنه سليما في عقله وروحه .

يتجه الطب الحديث اليوم كشأنه منذ القدم إلى سلوك أيسر سبل العلاج والوقاية والتي تكمن في تهيئة أسلوب حياة سليمة مع الاهتمام بالحركة والرياضة والنزهات والأسفار وتنظيم الغذاء والابتعاد قدر المستطاع عن العقاقير الطبية الصناعية التي لا تخلو من تأثيرات جانبية مضرة وسيئة .

والإسلام أولى الرياضة والتربية البدنية عنايةخاصة حيث جاء في الطب النبوي ذكر لأنواع كثيرة من الرياضة كالمشي وركوب الخيل ورمي النشاب والمصارعة والمسابقة بالركض والسباحة والمبارزة .

فقد أقر ﷺ المسابقة بالجري ، حيث جاء عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، ثم سابقني فسبقني فقال : هذه بتلك . وقد صارع رسول الله ﷺ (ركانة) وهو رجل كان معروفا بالقوة والشدة فصرعه رسول الله ثلاث مرات .

وقد أمر ﷺ أن يعلم المسلمون أبناءهم الرماية فقال « علموا أبناءكم الرماية ومروهم أن يثبوا على الخيل وثبا »وقال أيضا « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي » .

وفي المسجد النبوي نرى الرسول ﷺ يسمح لوفد من الحبشة أن يلعبوا بالحراب وبالسلاح ولا يتعرض لهم ، بل يقرهم على هذا النوع من الرياضة .
وكما كان النبي ﷺ يسابق بين الخيل ويعطي السابق ، كان يسابق على ناقته العضباء .

ثانيا : الصيام وعدم الإفراط في الأكل

إن نمط الحياة التي يعيشها الإنسان جعلت منه مسرفا في تناول الأكل فإضافة للوجباتالثلاث المنتظمة نجده لا يألو جهدا في تناول المشروبات الحاوية على مواد سكرية بينها وهذه كلها تؤدي إلى تراكم المواد الدهنية المختزنة في الجسم ونتيجة لذلك يفقد الجسم قدرته على عملية الهدم المتعلقة بتفتيت الطاقة بصورة جيدة وبالتالي يؤدي ذلك إلى المزيد من تراكم المواد الدهنية التي تؤدي إلى السمنة التي هي أساس العديد من الأمراض .

من هناجاءت الدراسات الطبية الحديثة مؤكدة حاجة الإنسان إلى فترات من الصيام لأن الصيام يقوم بما يشبه غسل أنسجة الجسم من أدرانها بإذابة هذه السموم المخزونة فمثلا يفقد الكبد والطحال والعضلات ما يتراوح بين ٣٪ - ٦٠٪ من المواد الفائضة المخزونة فيها .

وهكذا تتجلى الحكمة الربانية بأسمى معانيها في فرضية الصيام حيث فرضه سبحانه علينا وعلى أمم قبلنا قال تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ (البقرة ١٨٣) وجاء في الحديث القدسي « الصوم جُنّة » وقال ﷺ « صوموا تصحوا » وفي جعل الصيام نهارا بدل الليل فائدة كبرى حيث يؤدي صوم النهار إلى إذابة مخازن الطاقة الموجودة على هيئة دهون وجليكوجين بشكل أعم وأكمل .

قال تعالى ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾ (البقرة ١٨٧) . ومن هديه ﷺ تعجيل الفطور وتأخير السحور قال رسول الله ﷺ « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطور » رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد . وزاد أحمد في سنده « وأخروا السحور » .

وقال ﷺ « تسحروا فإن في السحور بركة » رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .
وقال ﷺ « أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم » رواه أبو نعيم .

وكم في الصوم من فوائد لا تعد ولا تحصى وصيام الإسلام أجود من أي نوع آخر من أنواع الصيام الذي يقترحه الأطباء حيث إنه كثيرا ما يختل النظام الذي يضعونه لأنه غير عملي . وإذا أمكن تنفيذه يوما عسر تنفيذه يوما آخر وإذا استطاعه شخص عجز عنه الآخرون[٦] .

والصوم لدى المسلمين ينبغي أن يكون مصحوبا بعدم الإسراف في الطعام و الشراب أثناء الليل بل الاقتصار على الكفاية . وعدم الإفراط في الأكل لما له من أضرار على الصحة حقيقة أكدتها الشريعة في قوله تعالى ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين** ﴾ (الأعراف / ٣١) . وفي قوله ﷺ « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات وفي رواية لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » رواه النسائي والترمذي .

يقول ابن القيم « ولما كانت الصحة من أجلّ نعم الله على عبده وأجزل عطاياه وأوفر نعمه بل العافية أجل النعم على الإطلاق . فحقيق لمن رزق حظا من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها مما يضادها قال ﷺ « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » (رواه البخاري)

وقال « من أصبح معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » رواه الترمذي .
وقال « ما سئل الله شيئا أحب إليه من العافية » رواه الترمذي

ثم يقول ابن القيم « ومن تأمل هدي النبي ﷺ وجده أفضل هدى يمكن حفظ الصحة به فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب والملبس والمسكن والهواء والنوم واليقظة والحركة والسكون والمنكح والاستفراغ والاحتباس . . فإذا حصلت على هذا الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن والبلد والسن والعادة كان أقرب إلى دوام الصحة والعافية أو غلبتها إلى انقضاء الأجل »[٧] .
وفي أقواله ﷺ دلالات وإشارات واضحة تنهي عن الإفراط في الطعام . من ذلك : قوله ﷺ لعائشة « الأزم (أي عدم الأكل) دواء والمعدة بيت الداء وعودوا كل بدن ماعتاده » روا أبو يعلى .

ولماكان الإفراط في الأكل سبيل إلى السمنة نجد عمر (رضي الله عنه) يحذر في قوله « إياكم والبطنة فإنها مفسدة للجسم مجلبه للسقم مكسلة عن الصلاة . وعليكم بالقصد فإنه أصلح للجسد وأبعد عن السرف . وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين » رواه أبو نعيم . . . وقد رفعه بعضهم إلى النبي ﷺ .

« وما أروع كلمات عمر (رضي الله عنه) فإنها من مشكاة النبوة. هـذا والبطنة أي كثرة الأكل والشرب تفسد الجسم . . . وأمراض السمنة وأضرارها كثيـرة كزيـادة جلطات القلب والدمـاغ وارتفاع ضغط الـدم وزيادة البـول السكري . . . وحالات النقرس وكثرة أمراض المرارة لدى النساء والبدينات خاصة . . . وزيادة في سرطان القولون والمستقيم والبروستاتا لدى الرجال . وسرطان الرحم وعنق الرحم والثدي لدى النساء وزيادة في سرطان المرارة و القنوات المرارية . . . وزيادة في أمراض المفاصل وخاصة الركبتين والفخذين والقدمين لأنها تنوء بحمل الأثقال .

ثالثا : الوقاية من الأمراض الوراثية

لقد وضع الرسول ﷺ اللبنات الأساسية لعلم الوراثة والوقاية من الأمراض الوراثية عندما أقرّ مبدأ التكافؤ بين الزوجين وحذر من الانزلاق في زواج ليس فيه تكافؤ فقال ﷺ « تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم » وفي حديث آخر أكد ﷺ بأن العرق دساس .

وفي قول لعمر (رضي الله عنه) « اضويتم فانكحوا في النزائع » وفي رواية « اغتربوا لا تضووا » (هناك من يقول بأن هذا الحديث عن الرسول ﷺ إلا أنه لم تثبت صحة نسبته للرسول ﷺ .

ومهما كانت نسبة هذا القول فإنه يعتبر وثبة طبية في علم السريريات الوراثية حيث نجد فيه إشارة وقبل أربعة عشر قرنا بالزواج بالأباعد حفظا على النسل من الضعف والهزال .

إن هذه الحقيقة العلمية توصل إليها علم الوراثة الحديث قبل سنوات ليست بالبعيدة ، حيث أصبح في حكم المؤبد بأن الطفل يأخذ بعض عوامل آبائه وأجداده الحسنة والسيئة فينتقل إليه من أصوله الخاصة القريبة والبعيدة صفات كثيرة منها ما يتعلق بتكوينه الجسمي وبعضها الآخر يتعلق بتكوينه النفسي فإذا كان الأبوان من أسرة واحدة انتقل إلى أولادهما بطريق الوراثة جميع الصفات الوراثية السيئة التي تختص بهما أسـرتهما لـوجودهمـا في الأصلين معا ظـاهرة أو مستكنة ، على حين أنهما إذا كانا من أسرتين مختلفتين فإنه يندر أن يتحدا في صفة سيئة[٨] .

« ولم يعد أحد في عالم اليوم ينكر ما للوراثة من أثر على الأجيال الجديدة فإذا كان الأب مصابا بمرض السكر ، وكذلك الأم ، فإن النسبة الكبيرة من الأبناء تكون معرضة للإصابة بهذاالمرض ، سواء من مرض البول السكري الظاهر أو الخفي وإذا كان أحد الوالدين هو المصاب بهذا المرض ، فإن النسبة تكون أقل . والأمهات المصابات بمرض الزهري مثلا يؤثرن على الأجنة وهي في بطونهم ، ولذلك قد يصبن بالإجهاض أو الولادة المبكرة ، أو يولد الجنين ميتا أومشوها ، وقد يموت بعد الولادة بفترة طويلة ، أو يعيش بعاهة من العاهات كالعمى والصمم والتخلف العقلي »[٩] .

وهكذا نرى حرص الرسول ﷺ على تعليمنا بأن نختار شريك العمر الكفء .

رابعا : تحريم الخمر والمخدرات

لقد أدركت عناية الله تعالى الإنسانية فوجهت الأنظار إلى شرورها ـ المسكرات ـ ولم يفطن العالم لما يصيبه من

ويلات الوقوع في قبضتها إلا بعد صيحة الإسلام بأربعة عشر قرنا حيث توصل علم الطب ، ووظائف الأعضاء إلى ما يمكن أن تخلّفه المسكرات والمخدرات من تأثير مروع في حياة الفرد والمجتمع[١٠] .

وشاءت حكمته سبحانه وتعالى أن يتدرج في تحريم الخمر خطوة خطوة حتى لا يكون في تحريمها على مدمنيها عنت ومشقة فقد كان الناس قبل الإسلام يكثرون من شربها ويدمنون عليها .

وجاء التحريم النهائي والكامل في قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ المائدة ٩٠ - ٩١ .

وبالأحاديث النبوية الشريفة يقول ﷺ « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » رواه أحمد وأبو داود .

وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أتاني جبريل فقال يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه ، وبائعها ومبتاعها وساقيها ومَسْقيَّها » رواه أحمد وابن حبان والحكم .

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال « مدمن الخمر كعابد وثن » .

أية عزلة فرضها الإسلام على الخمر « صانعها وحاملها وساقيها وشاربها وأوكارها » إنها غربة الآثام في مواطن الطهر والقداسة وبقايا الشرك في أرض أظلها الإسلام ، وشبح الوثنية في مجتمع يتردد في سمائه أصداء القرآن الكريم»[١١] .

يفسر اللغويون الخمر بأنها كل مسكر مخامر للعقل مغط عليه ، وخمر الشيء أي ستره ، والحقيقة أن الخمر لا تفعل أكثر من تغطية المناطق المخية العليا الموجودة في قشرة فصي المخ والمسئولة عن التحكم في الإرادة والأخلاق والفكر والروية أي ما يجمع باسم العقل .

ولما كان العقل هو المستودع لمجموعة الموانع الخلقية التي يكتسبها الإنسان بالتربية منذ الطفولة فتمنعه من الانقياد للهوى والرغبات فإن الخمر (الكحول) تعمل على إزالة هذه الموانع لذا تختل المقاييس والموازين لدى شاربها فيهذي بكلام تافه بذيء ويتصرف تصرفا مشينا لا يرضاه على نفسه لو كان في كامل وعيه .

وأضرار الكحول الطبية والثابتة علميا على أجهزة الجسم المختلفة كثيرة نوجزها بما يلي :

إن أهم تأثير للكحول هو تخديره لخلايا المخ وخاصة خلايا القشرة المتحكمة في الإرادة أو ما نعبر عنه بكلمة العقل وعمل الكحول هو فقدان الإرادة (سيطرة العقل) وليس للكحول تأثير تنبيهي قط للخلايا وإنما تأثير تخديري وتثبيطي Depressire Actior على الجهاز العصبي فإذا فقد الفرد الإرادة (العقل) انطلق دون وازع فيكثر الكلام ويزداد الهياج ويفقد القدرة على الأعمال التي تحتاج إلى دقة كالطباعة أو قيادة السيارات وتختل الموازين لديه فلا يستطيع التحكم بالسرعة وتفادي الحوادث .

والكحول من المواد التي تسبب الإدمان « والمقصود بالإدمان التعود النفسي والجسدي على عقار معين بحيث يؤدي سحب هذا العقار إلى ضرر نفسي وجسماني » .

والإدمان على الخمر يكون نتيجة لتأثيرها على الجهاز العصبي ومكونات الخليةالعصبية . ونتيجة للإدمان تضمر وتتآكل قشرة المخ والمخيخ وينحل نخاع القنطرة الوسطى في الدماغ ونتيجة لذلك تتغير شخصية المدمن وأخلاقه وكلما مرت الأيام أصيب بأمراض عصبية خطيرة كالماليخوليا (السوداوية) Malircoly والهلوسة والارتعاش والصرع والجنون الكحولي . . . إلخ ولا يقتصر أضرار الإدمان على الجهاز العصبي وإنما له تأثيرات شديدة على الجهاز الهضمي والتنفسي والقلب والأوعية الدموية لا يتسع المجال هنا لشرحها[١٢] .

وخلاصة القول أن المسكرات في المدمنين لن تدع واحدا من أجهزة الجسم إلا أصابته ببلائها ويكفي أن الإدمان على المسكرات والمخدرات كما قلنا يخرج العقل من دائرته الطبيعية حيث يفقد المدمن وعيه في ساعات صحوه ويتجرد من روحه في أوقات إفاقته ليبحث عنها في لحظات سكره . ويتحول إلى حيوان شرس يعتدي على أقدس الحرمات ، لذلك كنى النبي ﷺ الخمر بأنها أم الخبائث ، فقال عليه الصلاة والسلام « الخمر أم الخبائث »[١٣] .

بقي أن نتكلم شيئاعن استعمال الخمر للتداوي

جاء في الأحاديث النبوية الشريفة نهي قاطع عن استعمال الخمر للعلاج

فقد قال ﷺ لطارق بن سويد الجعفي عندما سأله عن الخمر فنهاه فقال طارق إنما أصفها للدواء فقال ﷺ إنه ليس بدواء ولكنه داء . أخرجه مسلم والترمذي .

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) « نهى رسول الله عن الدواء الخبيث » أخرجه أبو داود .

وأخرج أبو داود أيضا في سننه « إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داءدواء فتداووا ولا تتداووا بحرام » .

وعن طارق بن سويد الجعفي قال قلت يا رسول الله إن بأرضنا أعنابا نعتصرها فنشرب منها قال لا فراجعته قلت إنا نستشفي للمريض قال إن ذلك ليس شفاء ولكنه داء . أخرجه مسلم .

والمنافع الطبية في الخمر أثبتت الدراسات زيفها حيث إن استخدامها كغاية لفتح الشهية قد تفيد أول الأمر ولكنها مع مرور الأيام تسبب التهابا في المعدة وفقدانا للشهية وقيئاً متكرراً وآخرها سرطان المريء .

وهناك من يقول بأن الخمر تدفىء الجسم إلا أن الطب الحديث أثبت أن ذلك شعور من قبيل الوهم . فالخمر توسع الأوعية الدموية وخاصة تلك التي تحت الجلد فيشعر المرء بالدفء ويفقد حرارة جسمه في الجو القارس وقد يؤدي ذلك إلى وفاته وهو ينعم بالدفء الكاذب . ولا شك في حرمة الخمر الصرفة كدواء فهي داء وليست دواء . ولكن استعمالها في الترياق ، وهي الآن تستعمل في كثير من الأدوية كمذيب لبعض المواد القلوية والدهنية التي لا تذوب إلا في الكحول ، هذا الاستعمال هو المذكور في كتاب مغني المحتاج وهو جائز بشروط[١٤] :

١ ــ أن لا يكون هناك دواء آخر خال من الكحول ينفع لتلك الحالة .

٢ ــ أن يدل على ذلك طبيب مسلم عدل .

٣ ــ أن يكون القدر المستعمل قليلا لا يسكر .

والآن جاء دور المخدرات

يقصد بالمخدرات المواد الطبيعية والكيماوية التي تؤدي إلى خدر الجسم والعقل . وغالبية هذه المواد قد تؤدي إلى الإدمان بحيث لا يستطيع متعاطيه أن يستغني عنه وإلا أصيب بأضرار مختلفة قد تصل إلى الموت وخاصة عند التوقف المفاجىء لمن اشتد الإدمان لديه .

وبعض هذه المواد قد يؤدي إلى السكر أو غياب العقل أو يؤدي إلى لون من التخيل وتصور أمور لا وجود لها ، فإذا ما انتهى تأثير المخدر شعر المدمن بحالة من الاضطراب وعدم الاستقرار والكآبة والتوتر ويظل في تدهور وتوتر بل إن أجهزة الجسم تتأثر جميعها .

وذكر بعض الباحثين أن مدمن المخدرات « ميت يمشي على الأرض » وما ذاك إلا لما تخلفه المخدرات حين يصل الإنسان إلى درجة الإدمان من جسد محطم وقوة واهنة وأعصاب تالفة وخلق منحل ، والويل كل الويل لمن انقطعت عنه الجرعة التي تعودها ، فيهون عليه الشرف وتسوغ الجريمة[١٥] .

ونتيجة لتفشي استعمال الأدوية المخدرة بين الشباب في أوروبا وأمريكا سمعنا ونسمع عن الكثير من الانحرافات والكوارث الاجتماعية والخلقية .

وإذا كان أبرز الأسباب التي تدفع الفرد إلى المسكرات أو المخدرات أو ما يعانيه من التوتر والقلق أو الضيق وفقدان الثقة بالنفس ، والشعور بعدم الأمان . فإن الإسلام قد جنب نفس المؤمن هذه الأمراض ، كما أن كل داء يعود سببه إلى عدم التكيّف الاجتماعي قد خلص نفوس المسلمين منه ، لذلك لم يبق أمام العلاج إلا أن يعود المرء إلى الإسلام يلتمس في رحابه الهداية إلى أقوم وسيلة للتخلص من الأمراض[١٦] .

وتحريم المخدرات في الإسلام أمر قديم ، وإن سبقه تحريم الخمر . ولا شك أن ظهور الحشيش في أواخر المائة السادسة بعد الهجرة ، هو الذي حرك العلماء والفقهاء لإصدار الفتاوى فيها ، وهي مجمعة على تحريمه .

وفي كلام الرسول ﷺ « كل مسكر خمر وكل خمر حرام وفي حديث أم سلمة نهى ﷺ عن كل مسكر ومفتر . فالمسكر والمفتر حرام ، أيا كانت المادة التي استعملت سائلة أو جامدة ، مطبوخة أو غير مطبوخة ، عن طريق الفم أوالحقن أو غير ذلك من الوسائل المختلفة . وهذه الأحاديث صريحة في اعتبار المخدرات مواد مسكرة لا يباح للمسلم أن يتعاطاها .

والتداوي بالمخدرات من التداوي بالمحرم والإسلام يدعو إلى المداواة ورفض أن يكون التداوي فيماحرم الله فيقول ﷺ « ياعباد الله تداووا فإن اللهعز وجل لم يضع داء إلا وضع له الدواء » وفي رواية « وإن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله » ففي الحديث حث الإنسان على أن يجتهد في الوصول إلى معالجة

الأمراض من جذورها ومنابعها الإنسانية وعدم اللجوء إلى العقاقير المخدرة لأنها تزيد الطين بلة وتنقل المريض من سيىء إلى أسوأ .

وآثار المخدرات السيىء في جسم الإنسان والتغيرات النفسية والعصبية الخطيرة التي تحدث فيه نتيجة تعاطيها معروفة لا مجال لتفصيلها وإذا كان ثمة استعمال للمخدرات طبيا فإن ذلك لا يتجاوز مسألة تسكين الآلام العضوية الشديدة التي لا يفيد معها الأدوية المسكنة الأخرى عند إجراء العمليات أو نوبات القلب الشديدة أو حالات يصفها طبيب مسلم موثوق فيه وبالقدر الذي يحتاجه المريض فقط . أما استعمال المخدر للصداع أو للمغص أو لمجرد الانسجام أو التخلص من أزمة فهذا مخالف لقواعد الطب إضافة لكونه مخالفة دينية .

الجانب الثالث سبل الوقاية من الأمراض النفسية

الأمراض النفسية قديمة قدم الإنسان وإذا كان للطب النفسي مكانة كبيرة في عالم اليوم لانتشار الأمراض النفسية بشكل هائل فإن المجتمع العربي الإسلامي لم يكن يخلو منها .

وقد أطلق الأطباء والفقهاء المسلمون على هذا الفرع من فروع الطب اسم « طب القلب أو الطب الروحاني » فمثلا نجد في كتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية صفة يشترطها في الطبيب من بين الصفات الأخرى « أن يكون له خبرة باعتلال القلوب والأرواح وأدويتها ، وذلك أصل عظيم في علاج الأبدان . . . والطبيب إذا كان عارفا بأمراض القلب والروح وعلاجها كان هو الطبيب الكامل . . . »[١٧] . وفي كتب الطب العربية نجد الكثير مما يشير إلى الاهتمام الجاد للأطباء العرب والمسلمين في الربط بين علل القلب والبدن أي العلاقة بين الأمراض النفسية والأمراض العضوية وهو ما يطلق عليه أطباء اليوم « الطب النفسي البدني Psychosomatic Medicare ويعتبر فرعا من فروع الطب المهمة ويبحث في العلاقات المتبادلة بين الجسم والنفس وفي تطبيق ما يعرف عن الانفعالات وغيرها من العوامل النفسية على مشاكل المرض ، فقد تأكد أن للحالة النفسية تأثيراً على وظائف الأعضاء الفسيولوجية فالتوتر العصبي والقلق النفسي ، والأرق والخوف وما إلى ذلك قد ترفع من ضغط الدم ، أو تساعد على قرحة المعدة أو اضطرابات القولون أو الذبحة الصدرية ، وقد ترفع نسبة السكر في الدم ، وهناك أنواع من الشلل النفسي والعمى النفسي ، وفقدان النطق العارض من التأثيرات النفسية .

« هذا التصور للرباط الوثيق بين النفس والجسم ، أو بين الانحرافات البدنية والاضطرابات النفسية ، كان تصورا واضحا تماما في أذهان أساطين الطب القديم الإسلامي ، بل إنهم أدركوا أن المصاب بعلة بدنية حقيقية تتحسن حالته إذا ما رفعنا روحه المعنوية ، وبشرناه بالشفاء العاجل ، وأدخلناالسرور على نفسه ، وجعلناه ينعم بالتفاؤل والأمل ، وأحطناه بجو من الثقة والإيمان »[١٨] .

وجاء تصرفهم هذا استناداوقياسا على ما أمر به الرسول الكريم ﷺ روى ابن ماجه في سننه ، من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل فإن ذلك لا يرد شيئا ، وهو يطيب نفس المريض) » .

ولقد كان رسول الله ﷺ يسأل المريض عن شكواه وكيف يجده أو يسأله عما يشتهيه ، ويضع يده الشريفة على جبهته أويضعها بين ثدييه ، ويدعو له ، ويصف له ما ينفعه في علته ، ويدخل السرور على قلبه[١٩] .

« والطب النبوي النفسي هو تطبيق للمفهوم الإسلامي الشامل الذي ينظر إلى الإنسان نظرة واقعية تضع في الاعتبار تكوينه النفسي والجسدي والعقلي وطبيعة البيئة التي يعيش فيها والنوازع والأهواء التي تتقاذفه ، وقوى الجذب والطرد التي تؤثر فيه داخليا وخارجيا ، ولذلك جاءت تعاليم الإسلام مراعية لهذه الظروف كلها والسير على منوال تلك التعاليم ، يعطي للنفس صحتها وقوتها ، ويحصن بالخير والحب إرادتها ويحبب إليها الالتزام ، ويهبها قوة تواجه بها عواصف القهر والفشل والغدر والخيانة إنه يخلق نفسا سوية تستعصي على الانهيار وتأبى على الدمار ، ومن ثم فإن تلك النفس لا تصعقها هزيمة ولا يؤيسها مرض ، ولا يذهب باتزانها عامل من عوامل التلف والفساد الطارئة »[٢٠] . والمتتبع لسيرته ﷺ وتعامله مع أفراد المجتمع كله يجد مواقف كثيرة ووسائل متعددة ساعدت الكثيرين منهم على تخطي أزمات نفسية عاصفة وجنبت العديد منهم من التردي في متاهات الحياة العارمة .

أما وسائل الوقاية من الأمراض النفسية في المفهوم الإسلامي فهي :

١ ــ الإيمان بالله

أثبتت الدراسات التربوية والأبحاث النفسية بأن ما أفرزته الحضارة المعاصرة في الدول المتقدمة ماديا وسياسا وعلميا والمتخلفة روحيا ودينيا من المعاناة والخواء العقائدي هي التي أدت إلى انتشار الأمراض النفسية ونتائجها الوخيمة كالانهيار العصبي والانتحار ، والجنون حتى أصبحت هذه مألوفة فيها ونذير شؤم بانهيار تلك المجتمعات .

وأكدت تلك الدراسات أن الإيمان بالله خير زاد يتزود به الفرد في رحلة العمر الطويلة للوقاية من الانحرافات النفسية لأنه يسبغ على نفس المؤمن الاطمئنان إلى عدله والرضا بقضائه وقدره والصبر على بلائه والثقة في عونه ورحمته وحفظه ، والقناعة برزقه ، والعمل من أجل الكسب والطاعة والحرص على أداء ما فرضه الله من عبادات ومعاملات . فلا يطغيه زيادة الرزق ولا يشقيه نقصانه ، ولا يطمع في حق غيره ولا يحقد على من وسع الله عليه رزقه ولا يحسده .

ويجب الاعتراف بأن ما نراه من بوادر الآفات والصراعات النفسية في بلادنا العربية والإسلامية إنما هو ناتج عن خلل صنعناه في التنظيم الذي وضعه لنا سبحانه وتعالى ، والعودة إلى الإيمان دائما هي العاصم . لأن الإيمان بالله يحول بين الإنسان وبين ارتكاب أية معصية أو اقتراف أي ذنب فلا يقتل ولا يسرق ولا يزني ولا يكذب ولا يغش ولا يخادع ولا يأتي بأية موبقة لأنه يعلم ويؤمن بأن الله يسمع ويرى وفي كل ذلك خير للإنسان من الناحية العضوية والنفسية وحفظ للمجتمع من تلك المفاسد والأشرار .

وعلى العكس من ذلك فإن ضعف الإيمان يشحن صاحبه بالغضب والحقد أو يورثه الفزع والقلق وتبقى أعصابه مشدودة متوترة يحيك الأحابيل ويطمع في الكثير من الحلال والحرام ويؤدي به كل ذلك بالتالي إلى مختلف الاضطرابات النفسية .

وأخيرا بقي أن نقول بأن الإسلام بالإيمان لم يحقق للمسلم التوافق النفسي وبالانسجام بين نزعات النفس ورغباتها وميولها ، ودوافعها فحسب وإنما حقق له التوافق الاجتماعي ، حيث تلتقي حاجات الفرد وحاجات المجتمع ويتم التلاؤم والالتئام بين الفرد والجماعة ، في ظل العقيدة الإسلامية . فحقيقة الإيمان في نفوس المسلمين واحدة ، وسلوك المسلمين الذي ينبعث من هذه الحقيقة واحد ، والغاية التي تعمل الجماعة ملتقية أو متفرقة للوصول إليها واحدة[٢١] .

٢ ــ الدعاء والصلاة

يقول الله تعالى ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾ (غافر ٦٠)

فالدعاء من السنن الطبيعية وهو سلاح المؤمن ، يلجأ إليه في ساحة الخوف فيرد إليه اطمئنانه ، وفي وقت المحن فيملؤه بالثبات والأمل وفي ظلمة اليأس فيمده بنور الرجاء ، يقول ﷺ « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ، ونور السماوات والأرض » . والدعاء استمداد إلهي يجب أن يكون مصحوبا باستعداد مادي ومن يكتفي بالدعاء دون السعي فهو العاجز العاطل الذي عناه رسول الله ﷺ بقوله « العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » .

دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة جالسا فيه ، فقال يا أبا أمامة مالي أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة ؟ قال هموم لزمتني وديون يا رسول الله ، فقال ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله عز وجل همك ، وقضى عنك دينك فقال بلى يا رسول الله ، قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » ، قال فعلت ذلك فأذهب الله همي وقضى ديني . وهذا الحديث علاج نفسي يفوق أحدث علاج فهذا الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إنما هو إفضاء بهمومه وأحزانه لرب العالمين حتى لا تعتلج في صدره وتؤثر في صحته ، وتضعف من عزيمته ، وقد أجمع الأطباء النفسيون الآن بأن علاج التوتر العصبي والقلق النفسي إنما هو بالإفضاء لا بالكتمان[٢٢] .

والدعاء يتيح للإنسان التنفيس عن المشاعر والهموم في حضرة من بيده الأمر والنهي فيحس بالأمان والاطمئنان فتقوى عزيمته ويتغلب على كل ما يثير في نفسه القلق واليأس والقنوط فبذلك يكون في منجى من الأمراض النفسية والعصبية .

والصلاة في الإسلام دعاء . . . وتسبيح . . . . وتكبير . . . وذكر دائم لله . . . وأوقاتها هي بداية اليوم . . . قبل أن يبدأ الإنسان عمله وفي الظهيرة والعصر حيث العمل على أشده وفي الغروب والليل حيث التفكير في كل ما مر في اليوم . . . وإذا ما ذكر الإنسان الله ووقف بين يديه خاشعا ومؤمنا بأن الأمر كله بيده سبحانه وتعالى وأنه ليس وحيدا وإنما هناك خالق بصير وحاكم عدل عندئذ لا يجد القلق إلى نفسه سبيلا ولن يخشى العوز أو جور أحد من البشر لأن صلاته هذه تحصنه من كل أسباب الإحباط والكبت وتحرره من كل خوف . . آمنا على نفسه . . لا يأثم ولا يكذب ولا يغش ولا يتعالى ولا يتكبر لأن الصلاة أيضا إعلان للمساواة بين الناس وتوثيق لأواصر المحبة والألفة بين المصلين ودعوة لخلق مجتمع

منظم تتمثل فيه المساواة بأسمى معانيها وخلاصة القول أن الصلاة تشمل الإنسان والمجتمع ببرها وخيرها وفضلها وتجنبه العقد والأمراض النفسية .

٣ ـ الصـــوم

يجمع الباحثون على أن للصوم أثرا ملموسا في تربية الإرادة القوية والعزيمة وتدريب للفرد على الالتزام بالقوانين والشرائع وكسر شهوة النفس والبدن ، بحيث تتعود على الحرمان والصبر عند المكاره ، وعدم الخضوع لطغيان الملذات على اختلاف أنواعها .

قال ﷺ « لكل شيء زكاة وزكاة الجسم الصوم والصوم نصف الصبر » رواه ابن ماجه والبزار .

ثم إن الصوم أفضل وسيلة لغرس الأمانة في نفوس النشء وتهذيب النفس والتعود على الأخلاق الحميدة بالامتناع عن الغيبة والنميمة وقول الزور والفحش والغضب .

قال ﷺ « الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم » أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي .

ولذا يصبح الصوم مدرسة نفسية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . . . أو بمعنى آخر مصحا نفسيا تتخلص النفوس عن طريقه من فورانها وعدوانها وجشعها .

٤ ـ الحـــج

أماالجانب الوقائي من الأمراض النفسية في أداء فريضة الحج فيتمثل فيما يبدأ به الإنسان إذا ما نوى الحج بالتوبة إلى الله توبة تامة فيقلع عن كل المحرمات ويرد المظالم والديون لأصحابها ويعتزم زيارة بيت الله بروح طاهرة وقلب مؤمن وبذلك تصفو نفسه من كل الأدران ومن كل ما يسبب له الإرهاق الفكري والتوتر العصبي .

ووقوفه مع الحجاج في عرفات في وقت واحد وبزي ولباس موحد تشعره عمليا بالمساواة الحقيقية بين خلق الله : الفقير مع الغني ، والأمير مع العامل ، والعربي مع الصيني ، والأفريقي مع الإنكليزي ، أفضلهم أقربهم إلى الله شعارهم جميعا « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك » . أي لا رازق ولا حاكم ولا معطي ولا مانع إلا أنت جئناك ملبين ومنيبين طائعين . وهكذا يكتمل الإيمان وتثبت العقيدة ويرتاح الضمير وتطمئن القلوب ويبدأ الحاج من جديد بعيدا عن كل الأزمات النفسية والفكرية .

٥ ـ الزكـــاة

فضل الزكاة لا يقتصر على المسلمين كجماعة في ضمان تأمين مجتمعهم ، وتعاون أفرادهم وعدم جور فريق على

آخر في وطنهم وإنما يتناول المسلم الفرد المؤدي للزكاة . . . فهو فضلا عن أنه يكتسب محبة مجتمعه ، ويشعر بأنه قوة فعالة في حفظ أمان هذا المجتمع ، فإن النفس التي تشعر بأنها تؤدي للغير نفعا . . . كثيرا ما تصفو . . وقليلا ما تضطرب .

يقول العالم الفرنسي دريزر « إذا شاء الرجل أن يستخلص من الحياة المتعة فعليه أن يساهم في اجتلاب المنفعة للآخرين فإن متعة الشخص تعتمد على متعة الآخرين ومتعة الآخرين تعتمد على متعته » .

كما يقول علم النفس « إن أساس الصحة العقلية في اشتراك الإنسان في النشاط الاجتماعي وشعوره بأنه يؤدي للمجتمع نفعا بأنه عضو عامل في هذا المجتمع وأنه يسعى دائما لخدمته . . . وليس كالزكاة وسيلة يشعر الإنسان فيها بأنه من ماله الذي اجتهد في سبيل جمعه يبني الأسس الصالحة لمجتمعه السليم النظيف المترابط » .

ومن ضمن ما أثبته علم النفس أن الزكاة ، وهي دفع نسبة معينة من رأس المال والربح من كل ما زاد عن حاجة الإنسان تجعل الإنسان يتحلل من عبادة المال ولا يجعل حب المال يسيطر عليه السيطرة التي تؤدي بالإنسان دائما إلى المرض وإلى الانتحار أحيانا[٢٣] .

٦ ــ ترويح القلــوب

يقول ﷺ « روحوا عن قلوبكم ساعة بعد ساعة ، إن القلوب إذا كلـت عميت » .

إن محاولة الترفيه والترويح عن الأصحاء والمرضى النفسيين بصورة خاصة مسألة أساسية يؤكد عليها الأطبـاء النفسانيون اليوم .

« ولعل من الأمور المذهلة ، تلك النزعة البناءة الخلاقة في العلاج النفسي ، إذ يوصي ﷺ بعض أصحابه في مجال علاج الهموم بدفعها بالجهاد وهو يقر ذلك النوع الفذ من العلاج الذي يلجأ إليه المعالجون اليوم تحت عناوين مختلفة ، فأحيانا يسمونها « التسامي بالغرائز » وأحيانا يطلقون عليها ملء الفراغ أو إحلال أمر مكان آخر ، وبتعبير أوضح يأخذون بيد المرضى النفسيين إلى حيث يمارسون هواياتهم النفسية المختلفة ، أو يحببون إليهم عملا من الأعمال يتفق وميلهم ، ومن ثم ينصرفون إلى تلك الأعمال البناءة وينسون همومهم وأشجانهم فتصح نفوسهم وتتضاءل أحزانهم »[٢٤] .

المصـــــادر

١ ــ فكرة كون المكروبات ليست وحدها المسببة للمرض والعدوى مأخوذة بتصرف عن كتاب (العدوى بين الطب وحديث المصطفى للدكتور محمد علي البار) .

٢ ــ البار . الدكتور محمد علي / العدوى بين الطب وحديث المصطفى / نشر دار الشرق ص ٧٤ .

٣ ــ الكيـلاني . الدكتـور نجيب / في رحاب الـطب النبوي ـ بحث قـدم للمؤتمر العـالمي الثالث للسيـرة والسنة النبـوية ـ الـدوحة محرم ١٤٠٠ هـ .

٤ ــ سليمان . أحمد محمود / القرآن والطب ـ نشر دار العودة ـ بيروت ص ٩٤ .

٥ ــ البار . الدكتور محمد علي / الأمراض الجنسية ـ أسبابها وعلاجها ـ دار المنارة للنشر ـ جدة ١٤٠٥/١٩٨٥ . ص ١١٦ ـ ١١٧ .

٦ ــ البار . الدكتور محمد علي / الصوم وأمراض السمنة ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ ص ٦٧ .

٧ ــ ابن قيم الجوزية . شمس الدين بن محمد/ الطب النبوي ـ دار العلوم الحديثة ـ بيروت ـ مطبعة الوسام ـ بغداد ـ الطبعة الأولى . ١٩٨٣ ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

٨ ــ الحاج قاسم . الدكتور محمود / تاريخ طب الأطفال عند العرب ـ الطبعة الثانية ـ / نشرة دار تهامة ـ جدة ١٩٨٣ ص ٣٢ .

٩ ــ الكيلاني . الدكتور نجيب البحث السابق .

١٠ ــ عبدالرحيم . شاكر محمد / دراسة حول علاج المسكرات والمخدرات في ضوء التوجيه الإسلامي ـ مجلة رسالة الخليج العربي العدد ١٤ (سنة ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ ـ بالأصل نقلا عن السنهوري . محمد أحمد / المسكرات .

١١ ــ عبدالرحيم . شاكر محمد / البحث السابق ص ٢٧١ .

١٢ ــ للمزيد من التفصيل يراجع كتاب الخمر بين الطب والفقه للدكتور محمد علي البار .

١٣ ــ عبدالرحيم . شاكر محمد البحث ص ٢٤٥ .

١٤ ــ البار . الدكتور محمد علي / الخمر بين الطب والفقه ـ دار الشروق ـ جدة الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ . ص ٢٤ .

١٥ ــ علوان . عبدالله ناصح / تربية الأولاد في الإسلام ـ الجزء الثاني دار السلام للطباعة والنشر ـ بيروت .

١٦ ــ عبدالرحيم . شاكر محمد / البحث ص ٢٥٦ .

١٧ ــ ابن قيم الجوزية . / الطب النبوي ص ١١٣ .

١٨ ــ الكيلاني . الدكتور نجيب البحث السابق .

١٩ ــ ابن قيم الجوزية . / الطب النبوي ص ٩٧ .

٢٠ ــ الكيلاني . الدكتور نجيب البحث السابق .

٢١ ــ عبدالرحيم . شاكر محمد / البحث ص ١٢٨ .

٢٢ ــ الغوابي . الدكتور حامد / بين الطب والإسلام ص ١٢٨ .

٢٣ ــ نوفل . عبدالرزاق / الإسلام والعلم الحديث ص ١٢٨ .

٢٤ ــ الكيلاني . الدكتور نجيب البحث السابق .

الطب الوقائي في المفهوم الإسلامي

للدكتور/ عادل البكري
كلية الطب ـ الجامعة المستنصرية ـ العراق

إن جَعْل الطب الوقائي في حالة متقدمة كالتي بلغها الطب العلاجي لم يحدث إلا في أوائل العصر الإسلامي . ذلك لأن التعاليم التي جاء بها الإسلام أوضحت كثيرا من الأمور الطبية ورسمت طريقا واضحا في الالتزام بالنظافة والعناية بالجسم وبصحة المجموع . وقد توصل الأطباء آنذاك بالتجربة إلى تأثير النظافة في الوقاية من الأمراض ، وتكلموا عن العدوى وانتقال المرض من المصاب إلى السليم ، وأكدوا على أهمية حفظ الصحة وقوة الجسم فإن (المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف) . كما أنهم أكثروا من الكتابة في الوقاية من الأمراض وتدبير صحة الجسم حتى أن لا أقل من ثلث مؤلفاتهم كانت تبحث في هذه المواضيع ، وقليل منهم من لم يكتب كتابا أو رسالة في هذا الموضوع وقد ذكر علي بن العباس في كتابه المسمى (كامل الصناعة الطبية) إن حفظ الصحة أجَلّ من معالجة المرض لأن الصحة في الأصحاء موجودة وفي المرضى مفقودة ؛ وحرز الشيء الموجود أجل من طلب الشيء المفقود . وقال إن حفظ الصحة أنواع منه ما هو خاص بالأبدان الصحيحة ومنه خاص بالأبدان الضعيفة التي تحتاج إلى إنعاش ، ومنه ما هو خاص بالأبدان التي أشرفت على الوقوع في الأمراض والتحرز من نزولها بها .

وقد كانت نظريات الطب الوقائي كما أوضحتها التعاليم الإسلامية قائمة على أسس صحيحة يقرها العلم الحديث تماما . ويمكن تفصيلها بإلقاء نظرة إلى الأصول الثلاثة التي يتكون منها الطب الوقائي وهي الصحة الوقائية في الأوبئة والأمراض السارية ، والصحة العامة أو صحة المجتمع ، وصحة الفرد ، وسنبحث كلا منها بالتفصيل في ما يأتي :

أولا : الصحة الوقائية في الأوبئة والأمراض السارية

يجد المتتبع للأحاديث النبوية المتعلقة بالأمراض السارية أن فيها ما يشير إلى وجوب عزل المرضى والابتعاد عن مصادر العدوى ويتضح ذلك من حديث الطاعون الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي وخلاصته أن عمر بن الخطاب وجماعة من أصحابه خرجوا مرة إلى الشام وبينما هم في طريقهم إليها بلغهم أن الطاعون قد وقع بالشام . فاستشار عمر المهاجرين والأنصار فقال له بعضهم : إنك خرجت لأمر فلا نرى أن ترجع عنه وقال آخرون : معك بقية الناس

وأصحاب الرسول فلا نرى أن توقعهم في هذا الوباء . وازداد اختلافهم في المضي أو الرجوع ، ثم أظهر أكثرهم الرغبة في الرجوع إلى المدينة وعندما عزم عمر على الرجوع قال له أبو عبيدة بن الجراح : يا أمير المؤمنين أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة ألست إن رعيتها الخصبة رعيتها بقدر الله ؟ وإن رعيتها الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ وإذ هم في جدلهم هذا أقبل عبد الرحمن بن عوف ـ وكان متغيبا في بعض حاجاته ـ فحسم الخلاف برأي قاطع للنبي ﷺ وهو قوله : (إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها ، وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها) .

وهذا هو أساس الحجر الصحي بأجلى صورة ، وهو الشيء المتبع الآن حيث يمنع الخروج من المنطقة الموبوءة ليبقى الوباء محصورا فيها ، ويمنع الدخول إليها لمنع الإصابة بالمرض فيها .

وحول مرض الجذام أحاديث تدعو إلى الابتعاد عن المجذوم ، ومن ذلك الحديث الذي رواه ابن عمر وهو أنه (كان في وفد ثقيف الذي قدم لمبايعة الرسول ﷺ مجذوم فأرسل إليه الرسول : أن ارجع فقد بايعناك)[1] .

وجاء في مسند أحمد عن ابن عباس قوله ﷺ : (كلم المجذوم وبينك وبينه رمح أو رمحان) أي مسافة رمح أو رمحين وهي تقارب خمسة أمتار) .

أما قوله ﷺ : (لا عدوى ولا طيرة) فقد ذكر ابن قتيبة أن جوابه هو أن الإنسان يسقم عند مخالطة المجذوم والمسلول بالرائحة لا بالتعدي أي انتقال شيء ما من المريض إلى السليم فيحدث عنده المرض وليس كما يحدث بالسحر والتشاؤم أو الاعتقاد بالأشباح التي تظهر للناس في الفلوات فتصيبهم بالأذى ، فقد أبطل النبي ذلك[2] .

أما داء الكلب فهو مرض آخر من الأمراض الشديدة السراية التي فرض الإسلام حولها تعليمات وقائية صارمة : فالإناء الذي يلغ فيه الكلب يجب غسله غسلا جيدا سبع مرات لأن لعاب الكلب المصاب يحتوي على العوامل المسببة للمرض والتي تحدث العدوى . وذكر الحافظ الذهبي في كتابه الطب النبوي أنه إذا أريد أن يعرف إذا كان الكلب العاض مكلوبا أو غير مكلوب تؤخذ قطعة من خبز وتلطخ بالدم السائل من العضة وتطرح إلى كلب آخر فإن أكلها فإن الكلب العاض غير مكلوب وإن لم يأكلها فهو مكلوب . وقال إن عضة الكلب المكلوب تعالج بشق موضع العضة ووضع المحاجم عليها حتى تمتص الدم والمادة السامة ، وهذا الإجراء يقره الطب الحديث .

أما الحشرات الناقلة للأمراض كالقمل الذي ينقل وباء التيفوس فيكافح بالنظافة وبإزالة شعر الرأس . فقد جاء في الصحيحين عن كعب بن عجرة أنه كان به أذى من رأسه فحمل إلى الرسول ﷺ والقمل يتناثر على وجهه فأمره أن يحلق رأسه[3] ، وهذا أفضل إجراء يتخذ لإزالة القمل وبيوضه .

ويمكننا القول أن النظافة التي أمر بها الإسلام هي إحدى الوسائل الفعالة في مكافحة الأمراض السارية في كل مكان وزمان .

ثانيا : الصحة العامة أو صحة المجتمع

اهتم الطب الإسلامي بصحة الأفراد والجماعات اهتماما كبيرا ولا عجب في ذلك فإن الإسلام دين اجتماعي يعمل على تنظيم المجتمع وتطوره ووقايته من الأمراض والعاهات ولذلك جاءت تعاليم الإسلام بمنع الخمر والميسر والزنى وغيرها من الموبقات التي تهدم الأسرة والمجتمع فضلا عن ضررها بالصحة . وكذلك منع الجريمة بشتى أشكالها ومنع الاعتداء على الآخرين أوالإساءة إليهم .

ومجتمع المدينة أو القرية مطالب بالمحافظة على نظافة الطرقات وعدم طرح الأزبال فيها ورفع الأحجار وكل ما يؤذي الناس في الطريق . وذكر ابن عبدون الأندلسي أن الصباغين الذين يقومون بصبغ الثياب يمنعون من العمل في الأسواق والطرقات الضيقة لئلا تتلوث ملابس المارة . وكذلك تغسل اللحوم التي يمشى بها في السوق (أي التي تحمل مكشوفة بين الناس في الأسواق) حتى لا يبقى الدم عليها فتسبب عند مرور الناس وإزدحامهم النجاسة بالدم .

وتعتبر الحمامات من المحلات العامة التي تخضع للرقابة الصحية ، وهي من المرافق التي أعارها الطب الإسلامي أهمية كبيرة لما لها من علاقة في تنظيف الجسم والتطهير قبل أداء الشعائر الإسلامية . ولذلك يلزم أصحاب الحمامات بتنظيف الحمام بالماء الطاهر مرارا في اليوم وأن يدلكوا أرض الحمام لئلا يعلق بها السدر والخطمي المستعملان من قبل المستحمين فيزلق الناس عليه .
ويمنع من دخول الحمام المجذوم والأبرص[٤] .

وكان الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله قد أصدر أمراً بعد توليه الخلافة بمنع أصحاب الحمامات من إجراء ماء الحمامات إلى النهر إذ أن ذلك يحدث تلوث النهر بالمياه القذرة ، وإلزامهم أن يحفروا آبارا لتجتمع المياه فيها[٥] .

أما الصحة الغذائية فهي جانب كبير الأهمية في طب المجتمع لأن الغذاء ونظافته وطريقة تحضيره أو عرضه للبيع وعدم غشه هو الركن الأساسي في الصحة العامة لأي مجتمع من المجتمعات . فهو يمكن أن يكون وسيلة لنشر الأمراض الخطيرة ، بل يمكن بواسطته أن تحدث جوائح كبيرة لبعض الأوبئة كالكوليرا . وقد وجه الإسلام عنايته إلى الغذاء والتغذية بل إن الرسول الكريم كان يتفقد بنفسه غذاء المسلمين في الأسواق : فقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام (وهي الكومة الكبيرة من القمح) فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا (أي وجد رطوبة ماء في داخلها) فاستنكر أن يكون القمح مبللا فيعرض له التعفن والفساد . فقال ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فقال : أصابته السماء يا رسول الله (أي بلله المطر) . فقال : أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟

وقد فرض الطب الإسلامي رقابة شديدة على أصحاب المهن الغذائية وحوانيت الأطعمة ، وألزم الباعة باتباع النظافة والصدق في المعاملة وعدم الغش ، ومن ذلك مراقبة الطحانين وإلزامهم بغربلة القمح وتنقيته قبل الطحن . ومراقبة الخبازين في حوانيتهم ومخابزهم ومطالبتهم بنظافة المعاجن ونظافة الماء المستعمل للعجين ، وأن لا يعجن أحدهم بقدميه ولا بركبتيه لئلا ينحدر عرق أبدانهم في العجين . وأن يكون العجان ملثّماً لأنه ربما عطس أو تكلم أو سعل فيسقط

شيء من بصاقه في العجين . وأن يشد جبينه بعصابه لتمنع عرقه أن يقطر بين يديه عند العجن ، وأن يرفع أكمامه ، ويحلق شعر ذراعيه حتى لا تسقط شعرات منه في العجين ، وإذا عجن في النهار فليكن عنده من يحمل مذبة ويطرد الذباب عنه . ويلزم الخبازون بأن لا يخبزوا العجين حتى يختمر[٦] فإن الفطير يعيق الهضم ويضر المعدة ويثقل في الميزان عند الوزن ، وأن يدعوه في التنور حتى ينضج نضجا جيدا من غير احتراق . وإذا انتهى الخبازون من الخبز وأمضوا نهارهم فلا يجوز لأحدهم أن يبيت في أكسية العجين أو أغطية الخبز لأن ذلك يؤدي إلى تلوثها بالأقذار ، بل يجب أن تنشر هذه الأغطية على حبال بعد نفضها وغسلها بين وقت وآخر .

أما اللحوم والخنزير ، فقد فرض الشرع الإسلامي حدودا واضحة فيما يؤكل منها وما يحرم أكله كلحم الميتة والخنزير ، وكذلك ما يذبح من الأغنام والبهائم وما لا يجوز ذبحه كالموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع منها لإصابتها بالكسور والجروح والوهن وتعرضها للموت فيكون حكمها كحكم الميتة التي يحدث في لحومها التعفن والفساد . كما أوضح كيف يكون الذبح الصحي وما شروطه . بل الأكثر من ذلك أن الإسلام نهى عن أكل الشاة الجلالة ، والبقرة أو الدجاجة الجلالة ، وهي التي ترعى في المزابل وتأكل النجاسة والأقذار فتتسرب تلك الأقذار والرائحة الكريهة في لحومها وألبانها . وقد نهى النبي محمد ﷺ عن أكل لحوم البهيمة الجلالة أو شرب لبنها أو أكل بيض الدجاجة الجلالة حتى تحبس أياما وتطعم طعاما طاهرا فيزول أثر الشيء الذي أكلته ويزول ضرره في جسمها .

وقد فرض المسلمون نظام الحسبة للتفتيش على أصحاب المهن ومراقبة النظافة وعدم غش الأغذية وحفظ الصحة العامة . والحسبة وظيفة دينية تعمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحمل الناس على رعاية المصلحة العامة . ويختار لهذه الوظيفة أناس عرفوا بالعفة والورع والتقوى وسعة المعرفة .

ويقوم المحتسب بتفتيش حوانيت القصابين ويمنعهم من الذبح على أبواب دكاكينهم خشيةتلويث الطريق بالدم بل يحصر الذبح في المجازر . ويمنع الأبخر (وهو ذو الرائحة الكريهة في الفم) من النفخ في الشاة المذبوحة عند سلخها لأن رائحة فمه تغير نكهة اللحم وتزفره .

كما أنه يأمر القصابين إذا فرغ أحدهم من بيع اللحم أن يأخذ ملحا مسحوقا وينثره على المفرمة التي يقصب اللحم عليها لئلا تتعفن وتدود . وإذا شك المحتسب في جودة اللحم وهل هو لحم ميتة أو مذبوح أختبره بوضعه في الماء فإن طفا فهو لحم ميتة وإن رسب فهو مذبوح .

أما باعة الألبان فإنه يأمرهم بتغطية الأواني التي يضعون فيها الحليب خشية أن تسقط فيها الحشرات . ويلزمهم في كل يوم بغسل المحالب والأواني بالليف النظيف لئلا يسارع إليها الفساد ، وأن يستعمل الحليب غير المقشوط لأن الحليب الذي نزعت قشطته يعتبر حليبا مغشوشا . ومثل ذلك إضافة الماء إلى الحليب ، ويختبر المحتسب هذا النوع من الغش بتقطير قطرة على خرقة فإذا تشرب الماء في أطراف القطرة فهو مغشوش كما أنه يلزم بأن لا تكون أواني اللبن الخاثر من النحاس لأنه يعرضها بحموضته إلى الصدأ بل تكون من الخشب .

أما السقاؤون فهم يلزمون بأن يأخذوا الماء من عمق النهر وليس من الشاطىء حيث الأقذار والأوساخ التي تقذفها موجة النهر ، وأن لا يستقوا من مكان قريب من مستحم أو من مجرى حمام . ولذلك فإن المحتسب يحد للسقائين موضعا يستقون منه ولا يستقون من سواه وأن تصنع فيه قنطرة من ألواح يقفون عليها ولا يترك لأحد أن يتعدى على ذلك الموضع فيكون موضع السقاية معلوما ، فمن يتعدى الموضع يسجن ويؤدب ، ويجب أن لا يستقى من بين أرجل الدواب على الحمأ والماء الكدر . ويمنع النساء أن يغسلن بالقرب من موضع السقاية بل يحد لهن موضعا يغسلن فيه وأن يكون مستورا عن أعين الناس . كما يمنع رمي الأقذار على شاطيء النهر .

ومن يتخذ من السقائين راوية جديدة (وهي مغرفة كبيرة من الجلد مثبتة على إطار من الخشب يغرف بها الماء) فعليه أن ينقل الماء بها أياما ويسكبه على الطين لأن ماء الراوية الجديدة يكون متغير الطعم والرائحة من أثر الدباغة ، فإذا زالت الرائحة والطعم أذِن له المحتسب في بيع مائها للناس .

ثالثا : صحة الفرد

لقد حرص الإسلام على صحة الفرد ووقايته من الأمراض لأنه أساس المجتمع الجديد الذي يحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم كله .

روى الترمذي قال ما سأل رسول الله شيئا أحب إليه من العافية . وسأل أعرابي الرسول ﷺ قائلا : يا رسول الله ، ما أسأل الله تعالى بعد الصلاة ؟ قال : سل الله العافية .

وصحة الفرد تقوم على أسس عديدة دعا إليها الإسلام ومن أهمها النظافة التي لا تكمل شعائر الدين إلا بها ، فالوضوء خمس مرات في اليوم هو تنظيف أعضاء الجسم الظاهرة كاليدين والوجه والفم والأنف وشعر الرأس وما خلف الأذنين والرقبة والقدمين . والاغتسال هو نظافة للجسم بأكمله فهو يزيل ما علق عليه من أوساخ وقد جعله الإسلام شرطا للطهارة . أما الأسنان فتنظف بالمسواك الذي يستعمل كاستعمال فرشاة الأسنان في الوقت الحاضر . وهو يؤخذ من عيدان شجر الأراك وهي عيدان ذات ألياف عديدة منفصلة غير متلاصقة وهذه الألياف تتخلل المسافات بين الأسنان كشعر الفرشاة . وقد أكد الإسلام على استعمال المسواك حتى أنه يروى عن أبي هريرة الحديث النبوي : (ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك) . وعن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالمسواك . وعن العباس أن الرسول نهى عن الدخول عليه قلحا أي صفر الأسنان لتراكم مادة القلح عليها وهي الأوساخ المتكلسة . ويقول الطب الإسلامي إن في السواك عشر خصال منها أنه يطيب الفم ويشد اللثة ويذهب حفر الأسنان أي يمنع التنخر . ويروى حديث آخر في هذا المجال وهو أنه ليس أشد أن يرى المؤمن يصلي وبين أسنانه بقايا الطعام .

ومن مظاهر النظافة الفردية والعناية بمظهر الإنسان أن يعتني المرء بشعره فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة (من كان له شعر فليكرمه) وإكرام الشعر يكون بنظافته وتشذيبه وتسريحه . وقال أيضا في حديث ابن عساكر : (أغسلوا ثيابكم وخذوا من شعركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا) .

ونظافة الثياب مكملة لنظافة الجسم وهي تعطي للإنسان مظهرا جميلا وجذابا ، وهو مظهر المسلمين الأوائل في عهد الرسول ، فإنهم أخذوا بقوله ﷺ في حديث رواه ابن عمر : (حسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس) .

ومن أركان الصحة عند الفرد المسلم الاهتمام برياضة الجسم من ركوع وسجود وقيام وقعود وتتضاعف عدة مرات في كل صلاة لا سيما في صلاة التراويح . وإلى جانب ذلك فإن هناك تأكيداً على ممارسة الرياضة بحد ذاتها ، وقد جاء في ذلك الحديث المشهور الذي رواه الديلمي : (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل) وفيه حث على ممارسة هذه الألعاب التي تفيد الجسم وتقويه وتزيد مناعته ضد الأمراض .

وإكمالا فإن الإسلام دين حركة ونشاط وعمل وليس دين دعة وخمول ، وقد جاء حديث البخاري في هذا المعنى (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده) وكذلك حديث ابن عمر (اعمل عمل امريء يظن أنه لن يموت أبداً) .

أما الصحة الغذائية عند الفرد أو ما يسمونه بتدبير المأكل والمشرب فهو يتمثل بالتغذية الجيدة ﴿ **كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ [سورة البقرة / ١٧٢] ولكن ليس الأكل إلى حد الإفراط في الشبع والتخمة﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ سورة الأعراف/ ٣١ .

جاء في (الطب الروحاني) لابن الجوزي أن عقبة الراسبي أُدخل على الإمام الحسن فوجده يتغدى فقال : هلم إلى الطعام . فقال عقبة : أكلت حتى لا أستطيع أن آكل . فقال الحسن : سبحان الله ! وهل يأكل المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل ؟

والتخمة أو اكتظاظ المعدة بالطعام من أكثر مسببات الأمراض انتشاراً في بلادنا فهي كثيراً ما تؤدي إلى ضغط الدم واضطرابات الهضم وداء السكر وغير ذلك .

وقد نهى الإسلام عن التخمة وورد في ذلك أحاديث نبوية كثيرة منها (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء) و (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع) وكذلك (ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه) .

وللطعام شروط أخرى من أهمها ما أوصى به الرسول الكريم بعدم النوم بعد العشاء وضرورة تغطية الإناء الذي يحتوي على الطعام أو الماء فقد قال ﷺ (غطوا الإناء وأوكوا السقاء) . كما نهى عن الشرب من فم السقاء (أي قربة الماء) وفي ذلك آداب عديدة كما يقول ابن قيم الجوزية[٧] منها تردد أنفاس الشارب في الماء يكسبه زهومة ورائحة كريهة ، ومنها أنه ربما كان فيه حشرة أو قذارة فتلج جوفه ، ومنها أن الشرب هكذا يملأ البطن من الهواء . وكذلك نهى ﷺ عن الشرب من ثلمة القدح ونهى عن النفخ في الشراب . وثلمة القدح هي موضع الكسر فيه حيث تتجمع في شقوق الكسر أقذار تسبب المرض .

أما النفخ في الشراب فهو واسطة لتلوثه بالجراثيم الموجودة في الفم فتتكاثر فيه وتسبب العدوى بالأمراض . وروى

البخاري قوله عليه السلام : (إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء) وذلك من أجل أن يبقى الماء نظيفا . والماء هو أصل الحياة وهو كما يقول الرسول ﷺ (سيد الشراب) لذلك يجب أن يبقى نظيفا دائما ، وأن يبقى الطعام نظيفا دائما . وأن غسل اليدين والمضمضة بعد الطعام مما أوصى به الإسلام . ويروى أن النبي ﷺ شرب لبنا وتمضمض أي غسل فمه بالماء .

وقال الطب الإسلامي كلمته أيضا في المرضع وشروطها الصحية ومنها أن تكون المرضع في مقتبل العمر وأن يكون بدنها صحيحا وصدرها واسعا ومزاجها معتدلا وأخلاقها حسنة ، ولا تكون قريبة العهد بالولادة ولا بعيدة منه وأن تتغذى تغذية جيدة . إذ إن هذه الشروط تضمن تنشئة الطفل تنشئة صحية وتوفير الحليب الوافر له وهو غذاؤه الأساسي الذي يقيم أوده . كما أن المزاج المعتدل والأخلاق الحسنة في المرضع ضرورية لرعاية الطفل وتربيته تربية سليمة صالحة في مجتمع مثالي .

وهناك جانب مهم في الصحة الفردية وهو السلامة العامة ووقاية الأفراد من حوادث الطرق وحوادث العمل أو الضرر الذي يصيبه عند مزاولته مهنته أو حتى في داره ، وهو أمر مهم يعيره الطب الحديث أهمية كبيرة . وترجع هذه الحوادث غالبا إلى الإهمال أو المجازفة المتعمدة التي نهى الإسلام عنها وقد قال الله تعالى : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ أي لا تلحقوا الضرر بأنفسكم بسبب تصرف خاطىء فهو إثم كبير يحاسب المرء عليه . ولذلك كانت توصيات الرسول مليئة بالرحمة والعطف والتحذير من الأخطار كقوله ﷺ (إذا نمتم فأطفئوا مصابيحكم) ونحن نعلم أن نار المصباح الذي يشعل في غرفة النائم قد تسبب الحريق أو الاختناق . وكذلك قوله : (لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون فإن الفويسقة ربما اجتذبت الفتيلة فأضرمت على أهل البيت)[٨] . وهذا جزء من التربية الإسلامية ، وهو في الوقت نفسه جزء من الطب الوقائي في المفهوم الإسلامي الذي رعى صحة الفرد والمجموع على السواء وبالمعنى الشامل الذي يسير عليه الطب الحديث .

الهوامش :

(١) الطب النبوي ـ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة ـ ص ١٣٠ .
(٢) تسهيل المنافع ـ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأزرق ـ طبع القاهرة ـ ص ١٨٠ .
(٣) الطب النبوي ـ شمس الدين بن أيوب الدمشقي ، ابن قيم الجوزيه ـ القاهرة ١٩٥٧ ـ ص ١٢٤ .
(٤) الحسبة ـ عبد الرزاق الحصان ـ بغداد ١٩٤٦ ـ ص ١٥٨ .
(٥) المصدر نفسه ـ ص ٧٩ .
(٦) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ـ ابن بسام المحتسب ـ تحقيق حسام الدين السامرائي ـ بغداد ١٩٦٨ ـ ص ٢١ .
(٧) الطب النبوي ـ ابن قيم الجوزيه ـ ص ١٨١ .
(٨) الطب النبوي ـ للحافظ الذهبي ـ ص ١٤٧ .

الإسلام ينظم تناول الطعام

للدكتور عبدالمنعم عبدالقادر الميلادي

جمهورية مصر العربية

الإسلام نظام شامل للحياة ـ يوجهنا ـ ببساطة ويسر ـ إلى حياة الفطرة ، قدر ما نطيق ونحتمل .

الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ « الأعراف ٣١ » ـ يجب أن نتبع هدى الإسلام حين نأكل وحين نشرب وبلا إسراف . ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾ الأعراف ٣٢ .

الإنسان يختلف عن الحيوان : حين يبدأ الإنسان في أكل طعامه الحلال الطيب ، يذكر اسم الله عليه . وحين يفرغ من أكله ، يحمد الله . ﴿ **فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ النحل ١١٤ .

الأمة الوسط :

أمة الإسلام هي الأمة الوسط . وضع الإسلام أسسا للتعامل مع الأكل والشراب ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ الأعراف ٣١ . نحن لا نتجه إلى هذا أو ذاك ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** ﴾ البقرة ١٤٣ . إذعانا لهذا ، يجب ألا نكون عبيدا لشهواتنا أو نزواتنا أو لبطوننا .

وضع الإسلام قواعد لما نتناوله من طعام ، لتكون هذه بمثابة محاور ثابتة . الله سبحانه وتعالى ، أمرنا بأن نأكل ونشرب مما أعطاه إيانا من الطيبات ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾ الروم ٣٠ .

وعلى الإنسان أن يتبع تعاليم الإسلام ، والله الخالق هو الذي صور الإنسان ، وأخرجه في أحسن صورة . ووهبه حياة يعيشها في مناخ القوة الجسدية .

الطعام يبني الجسم . ومن خلاله يكون استمرار الحياة ، وهو يعوض ما يبلى من أنسجة ويساعد على تكوين مضادات طبيعية داخل الجسم . بغرض مهاجمة الميكروبات .

ومن خلال ما نتناوله من طيب الطعام يشتد ويقوى عودنا ، نعبد الله في الأرض ونعمر الأرض .

وممكن معرفة سبيل السلوكيات في القرآن من خلال آياته الكريمة . والتي نجدها مجسدة في تصرفات أخلاق النبي ﷺ (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) رواه مسلم .

وحين يكون التعامل مع أكل سليم ، كاف ، طيب ، حلال ، ومن خلال ما أعطينا من قوة ؛ نعبد الله ونعمر الأرض . ﴿ **يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات** ﴾ المائدة ٤ .

. . . والنعم التي أعطاها الله للإنسان ، لا تعد ولا تحصى : نعمة البصر ، نعمة السمع . . .

ماذا نأكل . . . ومتى نمسك عن الأكل ؟ بني أساس نظام التغذية في الإسلام على قول الرسول ﷺ (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لانشبع) .

التوقيت الغذائي : أهميته : يحتاج الطعام المتناول من ٣ ـ ٤ ساعة لتنتهي عمليات هضمه . بعد هذه المساحة الزمنية يكون هناك فراغ معدي لاستقبال وجبة أخرى ، تهضم ثم تمتص . (وإذا أكلنا لا نشبع) ذلك حتى نكون بمأمن من سوء الهضم .

وسبيل الاحتفاظ بالصحة هو ألا ندخل طعاما في معدتنا ـ بين الوجبتين وألا نسرف في أكل الطعام . وهذا لمنفعة الدنيا والآخرة .

اتزان المعدة :

علمنا الرسول ﷺ كيفية تجنب سوء الهضم . وذلك حين يكون الطعام على قدر الحاجة فقط .

عن أحمد والترمذي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال :(ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه) .

الحديث قاعدة :

فيه أساس للحياة السليمة السعيدة التي يعيش الإنسان فيها . وقد قيل إن المعدة بيت الداء . ومن خلال المعدة المريضة يكون جواز المرور لأمراض تسري إلى بقية أعضاء الجسم .

عاقبة الإسراف في الطعام :

يشكو الشخص المسرف . . من سوء الهضم ـ عدم الامتصاص الكامل ـ زيادة حموضة المعدة مع غازات . . ولا تستطيع المعدة أن تؤدي كامل وظائفها .

كثير من مضاعفات الإسراف ، تكون حاضرة لدى الذين يأكلون أكثر مما يحتاجونه إنهم يشكون من امتلاء أجسامهم بالشحوم . وهذه الحالة تسمى بـ (السمنة) .

ملاحظـــات :

ـ الوقاية من سوء الهضم ، وسوء الامتصاص ، يكون من خلال الموازنة بين ما يؤكل ، وبين المطلوب أكله .
ـ ممكن علاج بعض المرضى (بعض نوعية مرضى السكر) من خلال التنظيم الغذائي .
ـ نتيجة خلل في عمليات تنظيم الغذاء ، ممكن حدوث بعض المضاعفات المرضية لدى (السمان) .
ـ من خلال صوم شهر رمضان تجيء عملية تنظيم الغذاء لتحضر الصحة الطبية عند الصائم .
ـ أعطى الله الطفل الحديث الولادة وجبات غذائية من خلال لبن أمه . ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ الأعراف ٣١ .

الاعتدال في الأكل للوقاية من بعض حالات مرض السكر :

ملاحظة : يجب على كل شخص سليما كان أم مريضا أن يبتعد عن السمنة ، هروبا من مضاعفاتها .

النظام الغذائي :

يحتاج الشخص السمين إلى نظام غذائي معين لإنقاص وزنه . بعض مرضى السكر السمان يتبعون نظاما خاصا في التغذية . قد يكون فيه العلاج الكافي لحالتهم وليس هناك ثمة داع إلى حَقْن الأنسلين لهؤلاء المرضى .

علاج مرضى السكر بلا عقاقير :

يعتقد البعض أن علاج مرضى السكر لايتم إلا من خلال العقاقير فقط ، كالأنسلين ، وكحبوب مضادات السكر ، وهؤلاء مخطئون .

بعض مرضى السكر (أعمارهم تزيد عن ٤٠ عاما) الذي يتبعون نظاما غذائيا مع ترك عادات غير مستحبة عند تناول الطعام . . ربما يكونون قد توصلوا إلى العلاج المطلوب . وهؤلاء المرضى يتحسنون ليس فحسب أكلينيكيا ـ بل أيضا ، من خلال تحسن في منحنى السكر بالدم .

ولكن مرضى السكر ، الذين لايتبعون نظاماً غذائياً . وحين يتناولون الطعام يكون بلا ضوابط وبلا تنظيم ، معتمدين على ما يتعاطونه من علاج على هيئة عقاقير طبية . . يرتكبون خطأ فاحشاً .

﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ الأعراف ٣١ .

ـ يجب ألا نكون عبيدا لشهواتنا وملذاتنا ولكل ما تطلبه المعدة .
ـ إذا كنا مسرفين في تناول الطعام أو عبيدا لبطوننا « ماذا يكون الحال » ؟

دعونا نلقي نظرة على النتائج التي توصل إليها دكتور /عبدالله حمودة ـ حديثا ـ من خلال عمله بكلية الطب جامعة الإسكندرية . في رسالته المقدمة لإيفاء الحصول على درجة الماجستير في الأمراض الباطنية . ١٩٨٤م .

الرسالة تبصرنا بآثار (السمنة) . والتي يكون فيها حضور نسبة الدهون بالجسم ، أكثر من المعدلات المطلوبة ، نتيجة لخلل في عمليات تنظيم الطعام ، وغيرها .

عنوان الرسالة (**دراسة اكلينيكية حول مضاعفات السمنة**) ما هي (السمنة) ؟

الســـمنة :

هي حضور دهون الجسم بنسبة تزيد عن المعدل المفروض لها (الزيادة ـ هنا ـ من ١٠٪ ـ ٢٥٪) . وتبعا لإصدار (خدمات الصحة العامة) عن السمنة عرفت السمنة بأنها حالة حضور كميات ملحوظة وكثيرة من الدهون على مستوى الجسم في مواضع الدهون للأعضاء . أكثر مما هو متوقع ، بالنظر إلى طول الشخص وعمره وجنسه .

قسم (جين مايير) السمنة إلى نوعين : حسب ميكانيكية منشئها : ـ

١ ــ **بدانة تنظيم الطعام** : السبب الأولي هو الخلل في عمليات تنظيم تناول الطعام .
٢ ــ **بدانة التمثيل الغذائي** : الخلل في التمثيل الغذائي بخلايا الجسم ، قد يكون حاضرا منذ الولادة ، أو مكتسبا .

والبدانة هي محصلة الزيادة النسبية للسعرات الحرارية المكتسبة وما يلزم من السعرات الحرارية ، لتأدية وظائف الجسم الحيوية .

النشاط الجسماني : البدانة هي مسئولية الذين يعيشون حياة الخمول من خلال عمل ذي طبيعة تتطلب كثرة الجلوس . . مع حركة قليلة أو لا حركة .

هذا يشكل عاملا هاماً يوضح لنا علة زحف الوزن الزائد للجسم ، في بعض المجتمعات الجديدة .

الإسلام يوجه عنايته إلى جسد الإنسان (إن لبدنك عليك حقا) : والرياضة هي مفتاح الحيوية ، وهي الطريق الرئيسي الذي يؤدي إلى القوة . والإسلام ـ عميقا ـ يعتني بالتعليم الرياضي ، فالرسول ﷺ ، أمر المسلمين أن يعلموا أبناءهم السباحة والرماية وركوب الخيل ، قال (ﷺ) :(علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل) .

مضاعفـات الســـمنة :

يقال إن السمنة تؤثر ـ سلبيا ـ في عدد سنين عمر الإنسان ، لما تحمله من ازدياد لفرص عديدة لأمراض خطيرة وبسيطة .

وكلما قست درجة السمنة ، كلما كان التبكير بالخطورة .

مادة ومنهج الدراسة : اشتملت الدراسة على عشرين حالة من حالات السمنة ، أربع عشرة حالة من الإناث ،

وستة من الذكور . وكانت أعمارهم تتراوح بين ٢٥ سنة ـ ٥٨ سنة . وأطوالهم تتراوح بين ١٥٨سم ـ ١٨٥سم . وأوزانهم تتراوح بين ٧٥ كجم ـ ١٢٥كجم .

هذه الحالات كانت (سمنة بسيطة) ـ واستبعدت الأسباب الأخرى لزيادة الوزن : (أسباب من خلال اضطرابات مرضية بالغدد الصماء أو أديما بالجسم) .

وأجريت لكل حالة فحص أكلينيكي ، وفحوصات معملية .

الغرض من البحث :

دراسة المضاعفات المرضية ، ونسبة زيادة تعرض المرضى السمان للأمراض ، والوفيات ، عن الأصحاء .

نتيجة الدراســـة :

١ ــ ١٣ حالة (٦٥٪) من الأشخاص السمان ، كشفت عن ارتفاع في ضغط الدم الشرياني ـ يتراوح من ١٥٠/٩٥ إلى ٢١٠/١٣٥ مم زئبق .

٢ ــ ١٤ حالة (استخدمت فيها الأشعة) أظهرت زيادة في متوسط حجم القلب عن المعدل الطبيعي . ومن خلال رسم القلب ٣٠٪ أظهرت تضخما في جدار البطين الأيسر . وبالفحص الإكلينيكي : أظهرت أربع حالات أعراض وعلامات هبوط في القلب .

٣ ــ حالات كثيرة ٤٠٪ أظهرت خللا بالأوعية الدموية الطرفية (دوالي بالطرفين السفليين) .

٤ ــ أربع حالات ٢٠٪ كانت تشكو من آلام ذبحة صدرية ولكن حالة واحدة فقط ٥٪ أظهر رسم القلب بها علامات جلطة قديمة بالشريان التاجي .

٥ ــ خمس حالات ٢٥٪ أظهرت علامات وأعراض مرض السكر ، حيث تراوح معدل السكر (بعد وجبة سكرية بساعتين) ما بين ١٨٠ ـ ٢١٠ مجم٪ . وأظهرت خمس حالات أخرى ٢٥٪ علامات تأخر في القدرة على تحمل الجلوكوز . وكان معدل مستوى السكر في الدم أكثر من ١٢٠مجم٪ .

٦ ــ تسع حالات ٤٥٪ أظهرت زيادة في نسبة الكولسترول في الدم (٢٨٠ ـ ٣٣٠مجم٪)

٧ ــ ثماني حالات ٤٠٪ أظهرت أمراضَ وعلاماتِ التهابِ المفاصل للركبتين والفقرات ، وآلاماً أسفل الظهر نتيجة لحضور مرض النقرس .

٨ ــ ثلاث حالات ١٥٪ أظهرت أعراضَ وعلاماتِ قلةِ نسبة التهوية . ٢٥٪ أظهرت أعراض التهاب بالصدر .

٩ ــ ثلاث حالات ١٥٪ أظهرت علامات تضخم الكبد ـ ١٥٪ أظهرت أعراض التهاب الكيس المراري .

١٠ ــ ست حالات أظهرت التهابات بالجلد وبالفخذ وتحت الثدي .

١١ ــ حالتان ١٠٪ أظهرت فتقاً بالبطن .

نتائج هذه الدراسة أظهرت لنا حضور حالات كثيرة من مضاعفات بالقلب والأوعية الدموية والجهاز التنفسي والتمثيل الغذائي ، وبالجهاز الهضمي في الأشخاص السمان ، وتبعا لهذه المضاعفات تكون الأمراض زيادة فرصة الوفيات لدى الأشخاص السمان عنهم في الأصحاء .

تنظيم تناول الطعام في رمضان :

الصائم يتناول وجبتين في رمضان ، امتثالا لأمر الله تعالى ﴿ **كتب عليكم الصيام** ﴾ سورة البقرة/ ١٨٣ .

وجبة الإفطار : في بداية الإفطار ، يتناول الصائم تمرا ، وإذا لم يتيسر له يشرب قليلا من الماء . بعد صلاة المغرب يكمل الصائم إفطاره . قال ﷺ : (إذا أفظر أحدكم ، فليفطر على تمر ، فإنه بركة ، فإن لم يجد تمرا ، فالماء طهور) . رواه أبو داود . ويحتوي البلح على ٧٣٪ مواد سكرية ـ ٢٢٪ ماء ـ ٥٪ أشياء أخرى .

وأسرع شيء في الامتصاص هو الجلوكوز ، وهذا يرفع نسبة السكر في الدم ، بعد انخفاضها أثناء النهار . والماء يذهب إحساس الصائم بالعطش . وتوجد راحة نفسية في صلاة المغرب .

وبعد الإفطار والصلاة ، يتناول الصائم كامل إفطاره يملأ ثلث المعدة (كما قال الرسول) ـ الماء البارد مضر للمعدة ـ ويستحسن تقليل كمية الدهن خاصة في شهور الصيف . وممكن أن تشرب كوبا من عصير قمر الدين . بعد ساعتين من الإفطار .

السحور ـ لماذا ؟

يأكل الصائم وجبتين في اليوم (إفطار ـ سحور) بينهما توجد مساحة زمنية ضرورية لهضم وامتصاص طعام الإفطار ، قال الرسول : (تسحروا فإن في السحور بركة) رواه البخاري ومسلم . ويجب تأخير السحور (لا تزال أمتي بخير ، ما عجلوا الفطر وأخروا السحور) . حديث رواه أحمد والسحور مهم للغاية خاصة للمسنين وللحوامل .

وفي صلاة الفجر ، حكمة إلهية ، فهي فاصل زمني بين السحور والنوم ، فالنوم ـ مباشرة بعد السحور ، يسبب اضطرابا في الهضم وسوءا في الامتصاص . وهكذا يكون السحور ضروريا في وقت متأخر .

الإرضاع بلبن الأم

الله سبحانه وتعالى أعطى الطفل حديث الولادة غذاء طازجا ـ معقما ـ منشطا ﴿ **وفصاله في عامين** ﴾ لقمان ١٤ . يفرز ثدي الأم في الأيام الأولى بعد الولادة سائلا اسمه (كلوسترم) . الكلوسترم : غني بالمواد البروتينية (٣ ـ

٥٪) وغني بفيتامين (أ) . وكذلك المعادن . والدهون ٣٪ ، اللاكتوز ٥ , ٤٪ ـ بالإضافة إلى الأنزيمات الهاضمة والمضادات الطبيعية للميكروبات .

انظر مدى مواءمة الوجبة الأولى لاحتياجات الطفل في أيامه الأولى .

لبن الأم الناضج :

معقم أحلى من لبن البقر (٦ ـ ٨٪ لاكتوز) وهذا يناسب بعض أنواع الكائنات بالأمعاء التي تدخل في عامل النمو والحديد هنا ثلاثة أضعاف لبن البقر . وكذلك يحتوي على : فيتامين د . وفيتامين (أ) مع معادن .

وتركيب لبن الأم فيه ما يكفي لمتطلبات تغذية الطفل .

حكمة آلهية :

كمية اللبن في كل رضعة تختلف حسب وقت النهار . كمية رضعة النهار ممكن أن تكون ضعف كمية رضعة ما بعد الظهر . هذا يجعل الطفل يشبع بعد ليل جاع فيه .

تغذية الطفل من خلال لبن الأم :

ـ **في الأسابيع الثلاثة الأولى** : يحتاج الطفل الوليد إلى الرضاعة كل ساعتين .
ـ **في الأشهر الثلاثة الأولى** : الرضعة كل ٣ ساعات .
ـ **بعد ذلك** : الرضعة كل ٤ ساعات .

ملاحظة : على الأم ألا ترغم طفلها على الرضاعة فقد يكون شبعان ، أو مريضا في ذلك الوقت .

الإرضاع المبكر ـ لماذا ؟

الأم الواعية تبدأ ـ مبكرة ـ بإرضاع طفلها للسببين الآتيين : ـ

١ ـ ليتسنى للطفل جَني ثراء المرحلة الأولى من لبن الأم (الكولسترم)
٢ ـ ولأن الإرضاع المبكر يساعد على تنشيط الخلايا التي تفرز اللبن بالثدي .

ملاحظة ـ من المستحب أن تعطي الأم ثدييها عند كل رضعة لأن كمية اللبن من ثدي واحد في العادة تكون غير كافية . في نهاية الإرضاع ، يجب على الأم أن تفرغ ثدييها للاستفادة من آخر قصرات اللبن الغنية بالدهون .

إرضاع أكثر من المطلوب :

يفقد الطفل أحيانا وزنه ـ نتيجة لحدوث استفراغ وإسهال مع نوبات مغص .

إرضاع أقل من المطلوب :

(يأخذ الطفل لبنا أقل من كفايته) . الطفل دائم الصياح . يجد صعوبة في أن ينام . وهو جائع البطن الطفل يفقد وزنه . مع حدوث إمساك واستفراغ .

الخلاصـــة :

نحن الأمة الوسط . وباتباعنا تعاليم الإسلام عن النظام الغذائي ، يشتد عودنا ، ونعبد الله ، ونعمر الأرض ، وإلا أصابتنا مضاعفات السمنة (مثلا كتصلب الشرايين) ـ والنظام الغذائي الإسلامي ، يخدم إلى حـد كبير بعض مرضى السكر .

وفي رمضان ، يستطيع المسلم أن يستفيد كثيرا ، من خلال الصوم السليم . وللأطفال لا نزيد عن أكل مطلوب أو ننقص منه . يجب أن نتبع تعاليم الإسلام التي تختص بطريقة الأكل والشرب . . بإعتدال دون إسراف .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) .

البحث ـ ما الجديد فيه ؟

١ ــ **إن تركيب هذا البحث (الإسلام ينظم تناول الطعام)** جديد تماما .

في البحث ارتباط بين مواده المختلفة . والتي تدخل داخل إطار النظام الغذائي . والمواد هي (تعليمات الإسلام في التغذية ـ مرضى السكر ـ مضاعفات السمنة ـ صيام رمضان ـ الإرضاع بلبن الأم) .

كل هذه النقاط . تشير إلى هدف واحد ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ الأعراف ٣١

٢ ــ في كلية الطب ـ جامعة الإسكندرية ـ أجرى بحث جديد على عشرين شخصا سمينا ، وسجلت نتائج البحث بالنسبة للمضاعفات المرضية للسمنة ، ونسبتها عام ١٩٨٤ هذا حدث لأول مرة بجامعة الإسكندرية .

هذه **النتائج الحديثة** . هي **ضمن** محتويات بحثي هذا (**الإسلام ينظم تناول الطعام**) .

بعض النتائج العلمية فيما حض عليه الإسلام في مجال الممارسة الطبية

للأستاذ الدكتور محمد سويسي
تونس

الإسلام دين ودنيا ، ونهج سلوكي يشمل حياة البشر وآخرتهم . والقرآن دستور هذه الأمّة ، مشرّعا ، موضحّا سبل النجاة . وإنّما بعث الرسول الكريم ﷺ هاديا وداعيا إلى الله ، معرّفا به جلّ جلاله ومبيّنا للناس مواقع رضاه آمرا لهم بها ، ومواقع سخطه ناهيا لهم عنها . . . والسنّة النبوية من حديث مأثور وهدي مشهور إنما جاءت لتعلّمنا الشرائع وتلقّننا السلوك الأرضي الذي به نغنم في الدنيا ونحرز الفوز الأعظم في الدار الآخرة .

قال تعالى : ﴿ **هو الذي بعث في الأميّين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾[1] وتشمل السنة والسيرة المحمدية ما يهم علاقة الإنسان بربه وما ينظم صلته ببني جنسه وكذلك أيضا ما يضبط حياته الشخصيةوما لنفسه عليه من حق .

على أننا لئن آمنّا بالآية الكريمة ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾[2] لسنا نرى أنه ينبغي أن نفسر ذلك بأن القرآن كتاب جامع لمادة العلوم كافة من رياضيات وطبيعيات وعلوم إنسانية وغيرها ، عارض لأدق جزئياتها بل إنه يمكننا من المبادىء الأساسية التي هي العنصر لكل سلوك قويم ، ويدعونا أن نستخدم ما حبانا الله به من عقل لتمييز الطريق السوي واستلهام ما يستنتج من نتائج من شأنها أن تهدي خطانا وأن تقذف في قلوبنا نورا وتشفي مافي صدورنا .

وإذا ماقتصرنا على شؤون الحياة اليومية وعلى موضوع الطب بالخصوص فلم يبعث محمد عليه السلام لتعريف الطب ولا غيره من العاديات . وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال : أنتم أعلم بأمور دنياكم . وذلك أن مسلما روى في صحيحه عن طلحة بن عبيدالله (رضي الله عنه) قال :

« مررت مع رسول الله ﷺ في نخل ، فرأى قوما يلقّحون ، فقال : ما يصنع هؤلاء . قالوا : يأخذون من الذكر فيجعلونه في الأنثى . قال : ما أظن ذلك يغني شيئا . فبلغهم ، فتركوه ، فلم يصلح . فقال النبي ﷺ إنما هو ظن فإن كان يغني شيئا فاصنعوه ، فإنما أنا بشر مثلكم ، وإن الظن يخطىء ويصيب . . ولكن ما قلت لكم عن الله عز وجل فلن أكذب على الله »[3] ومع ذلك فقد كتب الكثير من المحدثين عما سمي بالطب النبوي فجمعوا ما يقرب من ثلاثمائة حديث تحتوي على قواعد لحفظ الصحة والاستحمام والشراب والمأكول والأمراض ، معزوة إلى النبي الكريم .

ومن أهم هذه الكتب موطأ مالك ، و« الطب النبوي » للحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٢٧) و« الطب النبوي » لابن قيّم الجوزية (٦٩١ هـ/ ١٢٩٢ ـ ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠) ط بيروت ١٣٧٧/١٩٥٧ . والطب المنقول في هذه الكتب وفي الشرعيات ماهو إلّا من قبيل الطب المتعارف بين العرب في عصر النبي ﷺ .

وكان للعرب فعلا معرفة بالطب ، المبني في غالب الأمر على تجربة ساذجة ، قاصرة على بعض الأشخاص ، متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه ، وكانت لهم أدوية ونباتات وأغذية كثيرا ما يحصل لهم البرء بها ، إلّا أنها لا تستند إلى دراسة مدققة للعناصر التي تتركب منها الحشائش ومدى ملاءمتها لمزاج المريض ؛ هذا وقصة الحارث بن كلدة مع كسرى مشهورة رواها العديد من كتب الطبقات والأدب .

وليس هذا الطب من الوحي في شيء ، بل هو أمر عادي وقع في ذكر أحوال النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلّة ، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل . يقول ابن خلدون : « فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث المنقولة على أنه مشروع ، فليس هناك ما يدل عليه ، اللهم إلّا إذا استعمل على جهة التبرّك . وصدق العقد الإيماني ، فيكون له أثر عظيم في النفع ، وليس ذلك من الطب المزاجي »[٤] .

وفعلا إن الجانب الروحي له كبير الأثر في برء المريض ، ومن أعظم العلاج للداء علاج القلوب والأرواح وحفظ صحتها والإيمان اليقيني بقوله تعالى : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها** ﴾[٥] .

وإذا ما قويت الأرواح وقويت النفس والطبيعة تعاونتا على دفع الداء وقهره . وأمّا عن طب الأبدان فقد اتفقت الأخبار المأثورة عن السنة النبوية أنه ﷺ كان من هديه فعل التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه .

وروى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل »[٦] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ « ما أنزل الله من داء ، إلّا أنزل له شفاء »[٧] .
وفي ذلك تقوية لنفس المريض فيتعلق أمله بالبرء وفيه تشجيع للطبيب وحث على البحث على الدواء وعلى تجربة نفعه .

وأوصى الرسول الكريم إذن بطلب الطبيب عند المرض ، وبصفة عامة ، بالرجوع إلى أهل الخبرة في الأمور كلها ، ومافي ذلك إلّا اتباع لأمره ، جل من آمر : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾[٨] .

ومن الجدير بالملاحظةأن ما يتجمع من تصفح روايات الطب النبوي ومن الإرشاد القرآني إنما هو بيان لأصول الطب من حفظ للصحة وحمية واستفراغ المؤذي ومن وصايا بالاعتدال في المعيشة ووجوب الاستحمام والختان وعدم الإفراط في المأكل والمشروب .

ومن القواعد الصحية العامة قوله تعالى ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾[٩] وقوله ﷺ : « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلا ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »[١٠] . وقوله أيضا : « السواك مطهرة للفم » وقوله : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »[١١] ومن كلماته ﷺ إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) يطلب إليها إرضاع وليدها عبدالله بن الزبير : « أرضعيه ولو بماء عينيك » وفي ذلك إشارة إلى قيمة لبن الأم بالنسبة إلى الرضيع .

أما الحديث الدائر على ألسنة كثير من الناس : « الحمية رأس الدواء ، والمعدة بيت الداء ، وعودوا كل جسم ما اعتاد » فهذا الحديث من كلام الحارث بن كلدة ولا يصح أن يرفع إلى النبي ﷺ .

وقبل أن نمر على بعض الأدوية المفردة الطبيعية التي ورد ذكرها في القرآن والحثّ عليها في الحديث وإلى تفصيل منافعها والشفاء التابع لها بالاستناد إلى أحدث الآراء في الطب المعاصر ، نكتفي ، فيما يخص ما نهى عنه الإسلام وحرّم تعاطيه ، بشهادات من الغرب ، أداها شهود من أهله . فهذه شهادة من قلب بريطانيا ـ رائدة الخمور في العالم ـ إذ هي تعترف بعد أن تأسست فيها مؤخرا هيئات لمكافحة الإدمان (منذ سنة ١٩٧٥) . . . تطالب بالتشبه بالمجتمعات الإسلامية التي تحرم شرب الخمرة وبيعها وصناعتها ، وتعالج هذه الظاهرة على النمط الذي عالجها به القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا »[١٢] .

وأخبرتنا الصحف اليومية مؤخرا أن الرئيس الأمريكي اتخذ من موقف الإسلام من الإجهاض معارضاً هكذا ٤٥٪ من الرأي العام ببلده .

وأما فيما حض عليه الإسلام في مجال الممارسة الطبية فنقتصر على بعض النتائج العلمية الخاصة بالعسل ، والتين ، والزيتون ، والحبة السوداء .

العسل : لأبي مروان عبدالملك بن محمد بن زهر ، رأس الأطباء بالأندلس (ق ٦ هـ / ق ١٢ م) رسالة مخطوطة في تفضيل العسل على السكر[١٣] في صورة أسئلة وأجوبة جعلها شبه المناظرة بين محبذ للسكر ومفضل للعسل واستعرض خواص كليهما الطبية ، وفي نهاية كلامه عن فضل العسل يذكر ابن زهر ما جاء في ذلك من طريق الشرع الذي خلقنا وفيه تغذينا » فيقول : « رأيت أن أورد هنا ما يصح به للعسل الفضل من كل الجهات ، فقد جعله الله ، جل ذكره ، شفاء حيث قال : ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾[١٤] .

وفي الأثر : « عليكم بالشفاءين : العسل والقرآن »[١٥] فجمع بين الطب البشري والإلهي ، وبين طب الأبدان وطب الأرواح ومن هديه ﷺ أنه كان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد ، وفي هذا من حفظ الصحة مالا يهتدي إلى معرفته إلا أفاضل الأطباء فإن شربه على الريق يذيب البلغم ويغسل خمل المعدة ، ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال . . . ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة .

يقول ابن زهر : « وحدث الرسول عليه السلام في العسل ، وهذا أصح دليل على تفضيله وتقديمه على السكر .

وإن قال من أهل البدع : فلم يكن العسل شفاء من الأمراض الحادة إن جعلت القول السابق على الإطلاق ، قلنا له : إن العسل إذا خلط بالماء فهو شفاء من الأمراض الحادة وزوالها .

ويختار من العسل لعمل الأشربة ما كان حسن اللون أبيض يضرب إلى الصفرة قليلا ، ويكون لذيذ الطعم ، طيب الرائحة حسن القوام ، ليس بغليظ كثير الغلظ ولا رقيق مائع إذا أخذت منه شيئا بأصبعك ارتفع منه ارتفاعا متوسطا ، ويكون صافيا ، أملس ، متشعشعا ، وليكن عسل زمن الربيع ، فإنه زمن أفضل من غيره لاعتدال الهواء فيه ، ولا يكون عسلا قد قدم كثيرا فإن الأشياء إذا قدمت استحالت . . .

وعن العسل يقول الرازي نقلا عن جالينوس : « أفضل ألوانه الأحمر الناصع الصافي الذي ينفذ البصر فيه لصفائه ، الطيب الرائحة ، وفي مذاقته أدنى حرافة ، وإذا لصق بالأصبع منه سال إلى الأرض ولم ينقطع »[١٦] .

ويقول علي بن حمزة الأصبهاني : « أجوده عسل الصعتر البري والحبق والأشق والحند قوقى . . »[١٦] .

وهذا عين الوصف الذي نجده اليوم في الأقرباذين الفرنسي (درفو « الدكان » Dorvault: L'Officine ، باريس ١٩٧٨)[١٧] .

وأما عن فوائد العسل ومنافعه الطبية فيقول ابن قيم الجوزية : « والعسل فيه منافع عظيمة ، فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها ، محلل للرطوبات ، أكلا وطلاء ، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم ومن كان مزاجه باردا رطبا ، وهو مغذ ، ملين للطبيعة ، حافظ لقوى المعاجين ولمااستودع فيه ، مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة ، منقّ للكبد والصدر ، مدر للبول إلخ » . ومن أهم ما تجدر الإشارة إليه في هذا التحليل أن العسل في آن واحد غذاء ودواء ، وهو طبيعي ، مسوّغ لسائر الأدوية ولاسيما ماكان منها كريه الطعم والرائحة .

وينصّ درفو في أقرباذينه أن العسل مستعمل في الطب مليناً ومبردا ومسهلاً ، ويدخل في تركيب الجوارشنات (في البيطرة ، وكمنخّم ومسكّن) ويستعمل مسوّغا في صنع الأقراص وفتائل وحقنا ، ويسخن لتمسيد الشقوق .

وخصص الدكتور محمد نزار الدّقر الدمشقي « كتاب العسل » شبه الموسوعة الشاملة عن العسل ، لخّصَ فيه مادة دراساته الشخصية واستقرأ ما قيل فيه في المصادر الألمانية والإنجليزية والفرنسية والروسية .

ومن المعلوم أن العسل يتألف من عدة أنواع من السكر كسكر الفواكه fructose أو Levulose ٤٠٪ وسكر العنب glucose أو dextrose ٣٠٪ ويحوي أحماضا عضوية وأملاحا معدنية (من بوتاس أو صوديوم وكلس وكبريت إلخ) . وخمائر هامة وأنواعاً من الفيتامينات : ($K.E.C.B_s.B_1$) وكل مائة غرام من العسل تعطي نحو ٣٠ حريرة .

كما نوه الدكتور أمين رويحة بفعالية العسل الغذائية والشفائية في كتاب « الطب الشعبي » وفي كتاب أخطاء التمدن في التغذية[١٨] .

الزيت ـ الزيتون

يقسم الله سبحانه بالزيتون في كتابه العزيز : ﴿ **والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾[١٩] .

وعن الزيت يقول جلّ من قائل : ﴿ **يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** ﴾[٢٠] .

ومن حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ أنه قال : « كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة » .

وفي كتاب الصيدنة للبيروني عن جالينوس : « الزيت العذب مسكّن للذع ، وزيت الإنفاق قبّاض ، له قوة مسخنة إسخانا يسيرا ويوافق الحميات وأوجاع الأعصاب ويتغمّر به النساء . والزيت العذب هو المعتصر من الزيتون المدرك ، وزيت الإنفاق المعتصر من الغضّ » .

ويقول درفو (ص ٧٣٠) : « زيت الإنفاق ملينّ مسهل ، مفرغ للصفراء (بقدر ٣٠ إلى ٥٠ غ في اليوم) ، ويستعمل للمراهم والمروخات ويستعمل في المحاليل الزيتية والأشياف الزيتية .

وبصفة عامة إن الزيوت النباتية المستخرجة بكيفية ميكانيكية بالعصر البارد ، دهنية صحية للتغذية ، تتفكك في الجسم بسرعة تظل محتفظة بفيتاميناتها وعناصرها الفعالة في استقلاب الغذاء وعلى الأخص في الكبد (فيتامين F) .

التيـــن

يقسم الله جل جلاله به رافعا قدره ، لكثرة منافعه وفوائده .

يقول ابن قيم الجوزية : « يجلو رمل الكلى والمثانة ويؤمن من السموم ، وهو أغذى من جميع الفواكه ، وينفع خشونةالحلق والصدر وقصبة الرئة ، ويغسل الكبد والطحال ، وينقي الخلط البلغمي من المعدة » .

ويذكر عن أبي الدرداء : « أهدي إلى النبي ﷺ طبق من تين ، فقال : كلوا ، وأكل منه ، وقال : لو قلت : إن فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه ، لأن فاكهة الجنة بلا عجم ، فكلوا منها ، فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس » وفي ثبوت هذا نظر[٢١] .

وفي كتاب « أخطاء التمدّن في التغذية »[٢٢] : « أهم ما يبرز في محتوياته الفيتامين B_1 (الأنيورين) وله أهمية كبرى في عملية استقلاب الغذاء وعلى الأخص بالنسبة للنسيج العصبي ، والفقر في الانيورين يحدث مرض البري بري (التهاب الأعصاب وتوهّن عضلة القلب) و١٠٠ غ من التين تحتوي على المواد الغذائية والفعالية الآتية :

زلال ٤ ، ٣ .

دهن ٨ ، ٠

كاربوهيدرات ٦٠

حريرات ٢٦٠

ومن فيتامينات A (٦٠ وحدةدولية) B_8Y (١٢٠) B_2Y (٨٠) إلخ » . أي أنه مغذّ قوي ودواء نافع .

ويقول درفو في « الدّكّان L'Officine » (ص ٦٠٠) : « يستعمل التين البنفسجي والرطب ، ويقدر أنه ملينّ ، مجلّ للصدر مسهل ، يتغرغر به في أورام الفم الحادة ، يعجن ويجعل ضمادا على الدمامل فينضجها ، ويغلي التين المجفف ويشرب : نافع لالتهاب الرئة الحاد والبلغم والالتهاب الشعبي والسعال الديكي » .

الحبة السوداء

ثبت في الصحيحين قوله ﷺ : « عليكم بهذه الحبةالسوداء فإن فيها شفاء من كل داء ، إلا السّام » ، والسام هو الموت .

وفي كتاب « الطب النبوي » : وهي الشونيز ، وهو مذهب للنّفخ ، مخرج لحب القرع ، نافع من حمى الربع والبلغمية ، مفتح للسدد ، محلل للرياح ، مجفف لبلّة المعدة ورطوبتها . وإن دق وعجن بالعسل وشرب بالماء الحار أذاب الحصاة التي تكون في الكليتين والمثانة ، ويدر البول والحيض واللبن إذا أديم شربه أياما »[٢٣] .

ويقول البيروني في « كتاب الصيدنة » : « الشونيز كلمة فارسية معربة وسماها العرب الحبة السوداء » .

نبتة لها بذر أسود حريف ، طيب الرائحة ، إذا ضمدت به الجبهة وافق الصداع ، وإذا استعط به مسحوقا بدهن الارسا وافق ابتداء الماء النازل في العين ، وإذا تضمد مع الخل قلع البثور اللبنيةوحلل الأورام البلغمية المزمنة والأورام الصلبة .

وإذا طبخ بالخل مع خشب الصنوبر وتمضمض به نفع من وجع الأسنان . . . وإذا أدمن شربه أياما كثيرة أدرّ البول والطمث واللبن »[٢٤] .

ويقول درفو (ص ٩٤٠) : « أعيد تسجيل بذر الشونيز nigella arvensis وnigella sativa ضمن الأقرباذين الفرنسي سنة ١٩٧٥ مدر لطمث قوي .

وبذر الشونيز الدمشقي nigella damascena مقوّ ، محلل للريح ، مدر للطمث ، مضاد للزكام ، مقو للباه » .

خاتمة

هذه أمثلة مقتضبة مما وافق فيه علم الطب الحديث النهج المحمدي . وإن ذلك لمّا يقوي إيمان المسلم الحق المتوجه

في كل حركاته وسكناته على جادة الشرع العزيز ، الراوي والمتبع لسنة النبي الكـريم ، عليه أفضـل الصلاة وأزكى التسليم .

الهوامـش

(١) سورة الجمعة/٢ .
(٢) سورة الأنعام/٣٨ .
(٣) انظر الشفاء ، القاضي عياض ، القاهرة ١٣٦٩/١٩٥٠ جـ ٢ ص ٨٦٣ .
(٤) المقدمة ، ٤٩٤ .
(٥) سورة الحديد/٢٢ .
(٦) ابن قيم الجوزية : الطب النبوي ص ٨ وأخرجه أحمد والحاكم .
(٧) الطب النبوي ص ٨ وأخرجه أيضا النسائي وابن ماجه والحاكم .
(٨) سورة الأنبياء/ ٧.
(٩) سورة الأعراف/٣١ .
(١٠) المسند ، وأخرجه أيضا الترمذي وبن ماجه وابن حبّان . . .
(١١) الطب النبوي ص ٢٤٨ .
(١٢) مقال : يسألونك عن الخمر ، محمد فتحي الحريري : المجلة العربية ، عدد ٧٦ ، جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ شباط/ فبراير ١٩٨٤ م ص ١٢ .
(١٣) ٧ ورقات مقاس ٥,٢٦/٥,١٦ ـ ٣٠ س .
(١٤) سورة النحل / ١٦ .
(١٦) الصيدنة ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦ .
(١٧) ص ٩٠٦ ـ ٩٠٧ .
(١٨) ط . بيروت : دار القلم ، ١٩٨٠ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧ .
(١٩) سورة التين/ ١، ٢، ٣، .
(٢٠) سورة النور/٣٥ .
(١٩) سورة التين/١ .
(٢١) الطب النبوي ص ٢٢٥ .
(٢٢) ص ١٠٥ ـ ١٠٧ .
(٢٣) الطب النبوي ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .
(٢٤) كتاب الصيدنة ص ٤٢١ .

الطب التجريبي في الإسلام

للدكتور عمر شرودر

المانيا

لم نجد في عصر ازدهار الإسلام عند الأطباء فقط عقائد مطلقة ولا اتجاهاً تجريبياً متحيزاً. إنما كان يظهر من وقت لآخر أحد الاتجاهين . ارتفع أشهر الأطباء المسلمين أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (٨٦٥ ـ ٩٢٥) عن روح العقيدة في عصره بشكل ملحوظ . لقد ترك عند وفاته مواد شاملة كافية ضخمة تحتوي على ملاحظاته الحادة على فراش المرض . جمع بعض تلاميذه المخطوطات والصياغات وحرروها في ٢٥ مجلداً تحت عنوان كتاب الحاوي . بين هذا العمل الشامل بأن الرازي كان يحمل الرأي بأن المشاهدات على فراش المرضى شيء لا غنى عنه وهذا ما طلبه أيضا رفيق عصره الفارابي في كتاب الميلا وبأنه لم يكون رأيه الذاتي إلا من خلال خبرته الشخصية ومقارنتها بآراء الأطباء السابقين . إذا كانت مرحلة الانتقال من المذهب العقائدي إلى مراقبة المرضى من الناحية العملية خطوة أكبر من مرحلة الانتقال في علم التشريح من جسم القرود إلى جسم الإنسان فإن الرازي يعتبر من الرواد في تاريخ الطب في الإسلام .

من الخبرات التي لقنها الرازي والتي مازالت حتى اليوم تلاحظ هي معرفته بأنه عن طريق الآلة مثل الكي والجراحة لايمكن معالجة السرطان بل إذ هذه الوسائل قد تثير السرطان (تهيج) أكثر من شفائه (إبراء) الأمر الذي يؤدي إلى موت المريض (قتل) . كتب الرازي في كتاب الحاوي في الطب عندما لايكون نوع السرطان خبيثا فإنه من المستحسن عدم معالجته . فعند عدم معالجة السرطان فإن المريض يعيش فترة أطول . ولكن عند معالجته فهذا يؤدي إلى تدهور سريع لحالة المريض » .

لقد أثرت نشرات الرازي تأثيرا كبيرا على انتشار الطب في الإسلام . استعان ابن سينا ذلك العالم الكبير (٩٨٠ ـ ١٠٣٧ هـ) بنشرات الرازي . في عمله المشهور القانون في الطب وصف ابن سينا رسماً توضيحياً لإجراء تجربة :

القوى المؤثرة للعقارات المركبة كما قال ابن سينا يمكن معرفتها بوسيلتين :

وهما خلال القياس ومن خلال التجربة . وبهذا أكد ابن سينا بأن النظريتين العقائدية والتجريبية لهما نفس الأهمية . تؤدي التجربة أيضا إلى نتائج أكيدة (دقة) وذلك إذا أخذ المرء سبعة شروط في اعتباره :

الشرط الأول هو أن الدواء يجب أن يكون خالياً من أية مواصفات إضافية مكتسبة أي أن الجودة الأساسية يجب ألا تتغير عن طريق حرارة أو برودة خارجية . الترابط مع مادة ما تغير من الجودة الأولية للدواء . كمثال لذلك أحضر ابن سينا الماء والذي هو في طبيعته ماء بارد . عند تسخين المياه فإنها تسخن طالما هي ساخنة . بعكس هذا يؤثر الأوفوربيوك تأثيرا باردا إذا كان معرضا للبرودة بالرغم من أنه يتميز بطبيعة ساخنة .

الشرط الثاني المطلوب هو أن المرض الذي تجري عليه تجربة الدواء مرض بسيط . في حالة أن أعراض المرض تشير إلى عدة أمراض متداخلة فإن هذا يتطلب العديد من المعالجة المتنوعة .

الشرط الثالث طلب ابن سينا استخدام نفس الدواء لمرضين متضاربين حيث إن الدواء المجرب في كلا الحالتين يجب أن يكون مفيدا . مثال هذا الدواء المتعدد المنافع مثلا السقمونيا الذي يذكره معظم أطباء وعلماء العقاقير المسلمين وهو صمغ مستخلص من عدة نباتات والذي يسخن عند أمراض البرودة ويبرد عند أمراض السخونة مثل الحمّى المتقطعة والتي تستمر ثلاثة أيام وذلك لأنه يؤدي إلى تفريغ الحويصلة الصفراء .

عندما تكون درجة السخونة لمرض ما أشد من درجة البرودة للترياق فإن ذلك يؤدي إلى تسخين الدواء ويصبح لا تأثير له . عند إجراء تجربة بحذر يحدث اتزان مابين درجة المرض والدواء . وهذا هو **الشرط الرابع**

بعد اختبار الدواء المناسب للمرض وإعطائه للمريض يجب على المرء **كشرط خامس** مراقبة (رأي) ما هو الزمن الذي يمر من وقت تناول الدواء وحتى يمكن ملاحظة تأثيره . عند ملاحظة التأثير مباشرة فإن العقار يكون له التأثير الأول لدواء ما معاكس للتأثير النهائي أو عندما لايكون للدواء تأثير فوري ولكن متأخر (وهي دائما دليل لأعراض تعقيدات) فإن تأثير الدواء هو تأثير عرضي . وإن ذلك يعني أن التأثير الأول و النهائي يمكن أن يسيرا في توالٍ متضاد أي أن التأثير الأول هو تأثير خارجي والتأثير النهائي هو التأثير الفعلي والذي يتناسب وطبيعة الدواء . وهذا هو الحال عندما تكتسب مادة ما خواص مخالفة لطبيعتها فمثلا الماء الذي سخن يؤثر تأثيرا ساخنا طالما أنها محتفظة بحرارتها وذلك بتأثير عامل خارجي ثم بعد أن تبرد تؤثر تأثيرا ذاتيا بمعنى أن خواصها الطبيعية لها تأثير بارد ويبدأ مفعولها .

ذكر ابن سينا **كشرط سادس** ضرورة ملاحظة مدة التأثير وتكراره فضلاً عن بدء تأثيره . فعند عدم استمرار التأثير فإن هذا يدل على تأثير خارجي لأن العكس وهو التأثير المناسب لطبيعة الدواء وهو تأثير متأخر .

كشرط سابع طلب ابن سينا تجميع الخبرات فقط على جسم الإنسان . لأن إجراء التجربة على جسم الحيوان واستخلاص النتائج من هناك إلى الأعضاء الآدمية يعتبر خداعاً من جهتين(أولا)فإنه من الممكن أن دواء ما يكون ساخنا للإنسان ولكن لجسم حيوان مثل الأسود والخيول يكون له تأثير بارد .(ثانيا) فإنه من الممكن أن يكون نتيجة خواص أولية موجودة في الطبيعة على جسمين مختلفين تأثيران مختلفان مثل نبات الاقونيط (بيش) له تأثير سام على الإنسان

ولكنه غير ضار بالنسبة لطائر الزرزور . لقد أجرى الأطباء المسلمون من قبل ابن سينا تجارب تشريحية على أجسام الحيوانات وخاصة القرود . رفض ابن سينا إجراء تجارب طبية على الحيوانات لأن هذا كما هو رأيه ليس له معنى حيث لايمكن تطبيقها على الأعضاء البشرية . بمقارنة ما ذكره ابن سينا عن شروط إجراء التجارب وتطبيقها العملي مع ما هو مشار إليه في نشرات الأبحاث العلمية اللاتينية الوسطى وبداية العصر الحديث فإننا نجد أن هناك اختلافا كبيرا . علماء البحث في الطبيعة الغربيون مثل غاليليو كان منطلق تجاربهم افتراضات متحيزة . كان هدف البحث عن ظواهر مختارة هو اختبار النظريات القائمة ومطابقتها بالحقيقة . كان كل سؤال من الأسئلة التي تثار خلال التجربة له إجابتان يؤدي إما إلى التحقق من صدق النظرية أو نفيها وبالتالي إلى قبول أو رفض النظرية . عند تقديم ابن سينا لشروط إجراء التجارب والتي قمت بذكرها نفتقد وجود الافتراضات والذي كان تجري التجارب على أساسه في الغرب وبالتالي يفتقد هنا أيضا الأسئلة البديلة والتي تجيب عليها التجربة من خلال صدق النظرية أو نفيها . إن الشروط السبعة والتي ذكرها ابن سينا ليست تجريبية وهنا يظهر لنا الموقف المميز للإسلام تجاه الأشياء التقليدية . لم يخضع ماورث لأي نقد وبالتالي لم يكن هناك أي حاجة إلى تغييره إنما ثقة الناقلين كانت هي الضمان لصحة النظريات .

كذلك في الإسلام كان هدف التجربة هو التزود بالخبرة ولكن ذلك كان فقط بهدف تأكيد تلك المعلومات النظرية الواردة . بالرغم من أن المسلمين من خلال مراقبتهم الجادة والدقيقة قد قاموا بتطوير العلوم ليس فقط في علم الطب ولكن أيضا على سبيل المثال علوم الفلك والكيمياء وعلم العقاقير الطبية إلا أن المذهب العقائدي قد لعب في علم الطب دورا أقوى .

لقد قام علم الطب في الإسلام جزئيا على ما ورد في المؤلفات اليونانية أي عن طريق المراجعة والمسلمون قاموا بتطويرها تطويرا كبيرا بحيث إنه في النهاية لم يبق إلا القليل من الأصل اليوناني . إن القرآن وهو الكتاب المقدس في الإسلام ذكر أن اليهود والمسيحيين هم أصحاب الكتاب « أهل الكتاب » وبهذا يعبر عن احترامه للكتب السماوية التوراة والإنجيل .

إن الإيمان بالسلطة في الإسلام بالمعنى الكبير له هو الإيمان بالكتاب . وهذا يمكن أن يفسر الإيمان بالكتاب لكثير من الأطباء المسلمين . لقد شكا الطبيب ابن الكوفي (١٢٣٣ ـ ١٢٨٦) في مقدمة علمه « كتاب العماد في صناعة الجراحة » من جهل كثير من الأطباء ولكن تلمس لهم أي كتاب يمكنهم الرجوع إليه في فرع تخصصهم . ماذا ينبغي على الطبيب قراءته؟ أيقرأ حجاب السحر ؟ سأل ابن بطلان . بعكس هذا ينبغي عليه دراسة كتب القدماء (كتب الأوائل) : علم حل المشاكل وتقارير طبية الخ . استسخر البعض من إقبال الأطباء على قراءة المجموعات العلمية كما ذكر ابن بطلان في تقريره : « عندما شاهدوا طبيباً يقرأ كتاباً كانوا يسألونه في سخرية : أيوجد هناك دواء ضد الموت ؟ وعندما كان ينفي ذلك كان ردهم له : ليست هذه الكتب أكثر من ثرثرة نساء عواجيز ؟ لاتزداد معلومات أي حكيم مع الشيخوخة ولا يقل غباء عجوز ولو كانت مسنة جدا » . حتى العالم والطبيب العظيم عبداللطيف البغدادي (١١٦٢ ـ ١٢٣١) قد قال : « احذرك من حصولك على العلم من الكتب وحتى لو كنت تثق في قدرتك العقلية . لكل فرع من فروع العلوم التي ترغب في الحصول عليها فإنك تحتاج إلى معلمين » . إن شكوى ابن الكوفي من نقص

المراجع الطبية العلمية كانت تقصد قلة المراجع المناسبة لتعليم الجانب العملي . كان هيكل المراجعة الطبية ومازال مقتصرا على الأعمال النظرية والفلسفة للمدرسة القديمة . بفضل وثيقة جنيزة القاهرة يمكننا أن نلقي نظرة على مكتبة طبيب عاش في نهاية القرن الثاني عشر . ثم بيع مراجع هذا الطبيب بعد وفاته والتي كانت باللغة العربية وقد حصلت أرملته على ثمن البيع . لهذا وضعت قائمة بجميع الكتب مع ذكر اسم المؤلف وعنوان الكتاب والسعر الخاص به وأن هذه القائمة مؤرخة في ١٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١١٩٠ . من بينها التبييض لابن قرة ومراجع من الكندي ابن اسحاق ويوحنا بن ماسويه ومن ابن ابي الأسعد وابن الجزار وأبي الفرج الأصفهاني . في عام ١٠٣٧/١٠٣٨ حدثت مناقشة بين مجموعة من الأطباء حديثي التخرج وبعض الأطباء الذين لهم مذهب آخر فتوجهوا إلى الطبيب أبي سعيدبن جبريل بن بختيشوع في بغداد مع الرجاء بدعم طلباتهم بشكل ملموس عن طريق كتاب مناسب . وقد استجاب ابن بختيشوع لهذا الرجاء وألف كتابا مكونا من ٥ أبواب وفي الباب الثالث انتقد أسلوب تعليم الأطباء النظري المتحيز وطلب من كل من يريد دراسة الطب بالقيام بتدريبات عملية وذلك قبل البدء في الدراسة النظرية للمراجع الطبية وأضاف ابن بختيشوع بأنه يوجد في مهنة الطب أشياء لاتوضح إلا بعد ممارسة التجربة العملية وهي أشياء يكتسبها الطالب فقط عندما يتعرف على تفاصيل فن الطب بالجمع مابين الدراسة النظرية والخبرة العملية .

يلقي ابن بختيشوع الضوء على وضع الأطباء الذين يميلون إلى علم الطب الذي يعتمد على التطبيق العملي . على المدى البعيد لم تنجح مبادرة ابن بختيشوع النجاح الذي كان يتوقعه . استمر علم الطب في الإسلام يعتمد اعتمادا كبيرا على ما ورد في المراجع القديمة وظل المصدر الرئيسي لتعليم الطب هو ما ورث وكان تقليديا وليس طبيعيا .

يمكن اعتبار طب العيون هو التخصص الذي كان أكثر تطورا في علم الطب في الإسلام . لقد قام كل من ابن ماسويه وحنين بن اسحاق وحفيده خبيز في القرن التاسع وأبي القاسم بن علي الموصلي وعلي بن عيسى في القرن العاشر والفيزيائي ابن الهيثم وعبدالرحمن ابن وفيد في القرن الحادي عشر والجافيقي في القرن الثاني عشر يجعل دراسات في طب العيون . لقد اهتم كل من أحمد الطبري وعلي بن العباس المجوسي في القرن العاشر وابن سينا في القرن الحادي عشر بعلم الرمد في أعمالهم اهتماما كبيرا . وهم الذين قد قاموا بتطوير واستكمال علم العيون المأخوذ عن اليونانيين .

لقد أثارت عمليات العيون التي قام بها الأطباء المسلمون ووصفوها أسئلة في البحوث الحديثة عن التخدير المستخدم في هذه العمليات . نصح الأطباء المسلمون باستخدام اليبروح أو عصير ثمرة هذا النبات وكذلك الأفيون لتخفيف الآلام الشديدة . لم يذكر حنين بن اسحاق هذه الوسائل في عمليات العيون بل ذكرها عامة كمسكن مخفف للآلام (مهدىء) وسبات . إن التعبير العربي « تنويم » دعم النظرية بأن الأطباء المسلمين في القرن التاسع كانوا على دراية بإجراء التخدير .

بالرغم من أن علم التشريح لم يأخذ مكانا بارزا في علم الطب الإسلامي إلا أن المعاجم الطبية الكبيرة يحتوي كل منها على باب شامل عن علم التشريح مثل كتاب المنصوري لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي وكتاب المالكي لعلي ابن العباس المجوسي والقانون في الطب لابن سينا . وفيما يعالجون بتفاصيل بناء جسم الإنسان . وبناء على وجهة

النظر هذه فإن علم التشريح يبدو أنه قد لعب دورا هاما في علم الطب الإسلامي وذلك بالرغم من المناقشات التي تدور حول هذا الموضوع لدى الباحثين الغربيين في الطب .

لم يتمسك المؤلفون المسلمون تمسكا مطلقا بنصوص جالين بل إنهم قاموا بتطوير هذه النصوص تطويرا جذريا مما أدى إلى إيجاد علم طب حديث وهو علم الطب الإسلامي . لقد لاحظ ذلك الطبيب الألماني فيلهلم بوستيل (١٥١٠ ـ ١٥٨١) والذي في الوقت ذاته يعتبر من الباحثين الغربيين الأوائل للغة العربية وقال : « مانجده في القانون لابن سينا في صفحة أو صفحتين واضح ومفهوم لم يستطع جالين عمله في الأسياتيسموس المكون من ٦ أجزاء ضخمة » .

كان المذهب التجريبي والنظري يكملان في علم الطب الإسلامي بعضهما البعض . هذا هو الأسلوب الذي كان يتميز به علم الطب في الإسلام والذي أدى إلى اكتشافات مثل الدورة الدموية للرئة عن طريق الطبيب ابن النفيس (المتوفي في ١٢٨٨) . لقد كان منطلق ابن النفيس من الحقيقة المعروفة عن التجربة بأن الدم ـ عكس تصور جالين ـ لايمكن أن يسيل من البطين الأيمن إلى القلب الأيسر خلال حاجز من بين بطيني القلب واستنتج من ذلك أن الدم الخارج من البطين الأيمن يصل إلى الرئة ويسيل من هناك بعد التنقية إلى البطين الأيسر . بهذه الملاحظة التجريبية صحح علم الطب اليوناني فيما يتعلق بهذه النقطة الهامة .

أهم إنجازات الأطباء المسلمين كانت ترجع إلى التوافق المناسب بين المذهب النظري والتجريبي مثل ما رأينا في مثال ابن النفيس . وهذا يبرهنه أيضا الكثير من المعالجات شبه العبقرية للأطباء في الإسلام . لقد عالج الطبيب غير المعروف أبو طاهر بن البرهاسي (عاش أيام الخليفة المسترشد ١٠٩٣ وحتى ١١٣٥) في الوسيط رجلا مريضا بمرض الاستسقاء . وبالرغم من فترة العلاج الطويلة فلم يلاحظ تحسيناً في حالة المريض . في يوم من الأيام ظهر تاجر والذي اشترى منه المريض حفنةمن الجراد والذي كان مسلوقا في ماء مملح وهذه الوجبة الشهية التي تناولها المريض سببت له إسهالا والذي قد توقف بعد عدة أيام وشعر المريض بتحسن ملحوظ وشفى المريض بعد فترة قصيرة شفاء تاما . وعلى سؤال الطبيب عما تناوله بحيث إنه قد استعاد صحته مرة أخرى أجاب : لايعرف ماذا يقول ما عدا أنه قد أكل جرادا مسلوقا وبعد ذلك شعر باستعادة صحته . لقد عرف الطبيب بأنه يمكن أن تكون طبيعة الجراد المسلوق وحدها هي التي أدت إلى شفاء الرجل . فاستفسر عن ذلك التاجر الذي كان قد قام ببيع الجراد المسلوق بعد أن عرض جميع التجار في المنطقة على الرجل الذي كان مريضا وتعرف عليه رجا الطبيب أن يذهب إلى المكان الذي وجد فيه الجراد . ووجد أن الجراد كانت تأكل من نبات وريدة الحجر (الماتساريون) والذي يمتص الرطوبة من الدم بشكل ملحوظ . ابن أبي سبيع الذي كتب هذا العلاج أضاف بأنه بناء على طريقة العلاج هذه فإن أبا طاهر بن البرهاسي قد قام بعلاج وشفاء الكثيرين من المصابين بمرض الاستسقاء .

تفرق الملاحظات غير المتحيزة والخالصة لكثير من الأطباء المسلمين بين علم الطب في الإسلام وبين علم الطب المبين في المخطوطات الهيبوقراطية خاصة عند أفلاطون . كان المسلم التقي والمؤمن بالله يؤمن بأن هناك رابطة قوية بين الله والمرض . ذكر لنا رسول الله ﷺ الأسس في الحديث التالي : « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء » .

يختلف علم الطب في الإسلام عنه في اليونان الذي كان مصدرا له اختلافا كبيرا . وأصبح علم الطب بفضل عبقرية الأطباء المسلمين فرعا مستقلا من فروع العلوم والذي مازال حتى اليوم له تأثيره على الغرب والذي يستمد منه الطب في العصر الحديث أي أنه المصدر للطب الحديث .

المراجـــع

الفارابي : كتاب الميلا
الرازي : كتاب الحاوي في الطب
ابن سينا : القانون
التوحيدي : كتاب الإمتاع والمؤانسة

قبس من القرآن الكريم والتراث الطبي النبوي
على ضوء البحث العلمي الحديث

للأستاذ الدكتور

محمود درويش سيد

نائب رئيس جامعة القاهرة وعميد كلية الصيدلة الأسبق

أستاذ العقاقير والنباتات الطبية

مقدمة :

من المسلم به أن الإعجاز في القرآن الكريم شمل كل شيء ، وأنه لا نهاية لهذا الإعجاز حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ (الأنعام/ ٣٨) واليوم يكشف لنا العلم الحديث عن حقائق لم تكن معروفة للبشر وقت نزول القرآن الكريم ، أي منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، وبالبحث والتدقيق ، نجد أن هذه الحقائق قد ذكرت ، إما صراحة أو إشارة في آية من آيات القرآن الكريم ، ومن هذه الحقائق الإعجاز الطبي .

ولو تناولنا الحديث عن الإعجاز الطبي في الكتاب الكريم والسنة الشريفة لوجدنا منها الكثير مما يضيق هذا المجال لذكره ، ولذا سنأخذ في الاعتبار نماذج ناطقة بالإعجاز الإلهي الذي يظهر جليا في كل من القرآن الكريم والأحاديث النبوية المؤكدة ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ (النجم / ٣، ٤) .

وواجب المسلمين اليوم أن ينشروا كل ما يتجمع لديهم من الإعجاز ليعرف الجميع إلى أي مدى وعمق علمي وصل القرآن الكريم في دقائق الطب والمداواة، ويجب أن يستمر الاجتهاد في الكشف عن هذا الإعجاز والذي لا يقف عند حد ، ولن يتحقق ذلك إلا بالتفكير العميق والدائب من كل العلماء في كل ظاهرة عامة وطبية خاصة ، حيث سيجدون قدرة الله عز وجل في التوجيه القرآني واضحة ومضيئة لكل من يطلبون العلم ليزدادوا إيمانا فوق إيمانهم وقد أمرنا بالتدبر والتفكير في خلق الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ . (آل عمران/ ١٩١) .

أستطيع أن أجعل كلمة طب في قسمين كبيرين هما :

أولا ـ الوقاية .

ثانيا ـ العلاج .

أولاً ـ الوقاية :

مما لاشك فيه أن الوقاية من أي داء تغني عن هذا الداء ، وبذلك تصبح خيرا من العلاج . وواضح وضوح الشمس أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . شملا في مضمون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثير والعديد من طرق التحصين والوقاية من أمراض عديدة . ويتضح ذلك جليا في بعض ما فرضه الإسلام كالصلاة وما يتبعها من وضوء ، والصوم وما يتبعه من مزايا تحمي وتقي الجسم والروح معا من أمراض عضوية وروحية .

ولنقف قليلا لنرى الوقاية الطبيعية من أمراض كثيرة وكيف حققتها هاتان الفريضتان .

ففي الوضوء حكمة بالغة إذ يجب على المسلم أن ينظف الأعضاء من جسمه خمس مرات في اليوم وهذا كاف ليزيل القاذورات عن جسده والتي قد تكون مزرعة وجاذبة للحشرات مثل القمل (الذي ينقل حمى التيفوس) وحماية الجلد مما قد يعلق به من قاذورات تجلب الذباب حامل العدوى لأمراض كثيرة ، وغسل طاقة الأنف بالماء البارد يحميه من الزكام المتكرر .

أما عن فائدة الصلاة الروحية فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتعتبر الصلاة في ذاتها قربا من الخالق سبحانه وتعالى فسرعان ما يتحصن العبد المتقرب إلى خالقه من كل موبقة أو زلل كان سيقدم عليه فيخرج من الصلاة طاهرا جسما وروحا يعمل عملا صالحا يرضى الله ورسوله ، ولا عجب فقد صارع الشر في نفسه وهو واقف بين يدي الله خمس مرات وانتهى باطمئنان القلب وسعادة الروح .

أما الصوم فقيمته الوقائية نعرفها جميعا نجمل أهمها فيما يلي :

أ ــ إذا كان الصيام بأصوله الإسلامية وهو الاعتدال في الإفطار وعدم المغالاة في الأكل . فإن راحة المعدة شهرا كل عام وقاية أكيدة لغددها المفرزة للأنزيمات من الإجهاد ، وكذلك تعتبر فترة الصيام نوعا من الصيانة للعضلات المعدية حتى لا يجهدها الانقباض المستمر أثناء عملية الهضم ، وقد ثبت أن تنظيم مواعيد الأكل ومراعاة عدم « الرمرمة » أصل ثابت في الوظيفة المعدية .

ب ــ مقاومة زيادة وزن الجسم الذي نعرف جميعا أنه الوقاية من كثير من الأمراض الدموية وارتفاع ضغط الدم .

جـ ــ ثبت أن البول السكري يسبقه في مدته الأولى وقبل ظهوره ازدياد محسوس في الوزن . والصوم هو الوقاية المؤكدة من هذه الزيادة وبالتالي من مرض السكر . هذا وإن الصوم يصحبه طبيعيا هبوط في سكر الدم وذلك يعتبر وقاية من مرض السكر كما أنه علاج طبيعي للمرضى به .

د ــ هدوء الصائم وانقطاعه للعبادة وتقربه من الخالق سبحانه وتعالى بشتى طرق العبادة من صلاة وتلاوة ودعاء ، يدخله في مرحلة راحة نفسية وروحية لايمكن أن يحققها أي مهدىء مهما كان تأثيره ، هذا فضلا عن الأعراض الجانبية المعروفة والناتجة من استعمال المهدئات . وهذا الهدوء وهذه الراحة النفسية هي الأصل في انخفاض نسبة الادرنالين الذي يفرز كنتيجة مباشرة لأي انفعال نفسي وينتج عنه ارتفاع ضغط الدم وما قد يصاحبه من مضاعفات .

هـ ــ مقاومة الانحراف ، قال رسول الله ﷺ « من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » . فهذا الحديث الشريف أمضى سلاح للوقاية من الانحراف فالصائم دائما يشعر بالزهد ، والقرب من الله ويتأصل فيه البعد عن الرذيلة لأنه في صيامه يقرب من الملائكة فيجمع بين الجسد والروح الطاهر وبذلك يصبح محصنا طبيعيا ضد الوقوع في أي كبيرة أو فاحشة كالزنى والخمر . وربما كلنا نشاهد أن المقبل على أحد هذه الكبائر دائما يكون نهما أكولا أقرب ما يكون للوحش الضاري منه إلى الإنسان .

و ــ الدم ولحم الخنزير : ﴿ **إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله** ﴾ (البقرة/ ١٧٣) . تحريم القرآن الكريم لأكل الميتة هو وقاية من أكل خلايا وأنسجة تحللت ونتج عن تحللها مواد سامة وأكلها بالغ الخطورة حتى ولو عقمت لاحتوائها على مركبات بروتينية سامة لا يؤثر فيها التعقيم ، والدم معروف أنه سائل تتركز فيه كريات الدم الحمراء وفيه أيضا الإفرازات السامة التي كانت معدة للإفراز بالبول أو العرق ، فهو إذن مزيج من مواد مفيدة وضرورية للجسم . ومواد ضارة سامة إذا لم تفرز ، وإذا كان الحيوان مصدر الدم مريضا ، فيكون آكل دمه أشد مرضا وأبلغ خطورة ، أما الخنزير فثبت بالقطع أنه الحيوان الوحيد الذي يصاب « بالتركيتا » وهو نوع خطير من الديدان إذا أصاب الإنسان تظهر عليه أعراض شبيهة بالكوليرا وقد يؤدي للوفاة . وفي تقرير أشير إلى أن نوعا من البروتين يسبب السرطان لايوجد إلا في لحم الخنزير .

الحيض :

قال تعالى : ﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن** ﴾ (الآية ٢٢٢ من سورة البقرة) .

الحيض أحد المواد السامة التي إذا بقيت بالجسم ضرت . وقد ثبت أن الحيض أذى وضرر على المرأة والرجل على حد سواء ، والضرر معنوي ومادي : فالمرأة في حالة الحيض تتفتح أوعيتها الدموية في الرحم ، فتصبح مهيأة لقبول العدوى ، كما أن الرجل يتعرض للالتهابات من دم الحيض الذي هو خليط من خلايا بطانة الرحم وإفرازات الغدد وبه كثير من الجراثيم ، وانتقال جزء من دم الحيض إلى القناة البولية في الذكر يحدث فيها التهابا ينتقل إلى البروستاتا والمثانة والحالبين وإلى حوض الكلى وربما إلى الكلى نفسها .

فتحريم القرآن الكريم المعاشرة في الحيض فيه وقاية من أمراض كثيرة ثبت خطورتها .

الرضاعة :

يقول تعالى في محكم كتابه : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ (٣٣ ـ من سورة البقرة) .

يلاحظ أن قوله تعالى ﴿ **يرضعن أولادهن** ﴾ خبر معناه الأمر ، وفي هذه الآية الكريمة حقائق وقائية لم تكن معروفة وقت نزول القرآن الكريم ولم تعرف إلا بعد أربعة عشر قرنا من الزمان وهي :ـ

الأولى : الرضاعة الطبيعية ـ أي رضاعة الثدي ـ تقي الأم والمولود معا ، أما الأم فقد وردت إحصائيات كثيرة تؤكد أن معظم أو كثيرا من حالات سرطان الثدي عند المرأة لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بانقطاع الأم عن الرضاعة رغم توفر اللبن ولذا نلاحظ ـ بعد نشر هذه الإحصائيات أن كثيرا من السيدات الأمريكيات والأروبيات عُدْن إلى رضاعة الثدي .

هذا فضلا عن أن رضاعة الثدي تحمي الطفل من النزلات المعوية الناتجة من تلوث اللبن الصناعي أو سوء هضمه ، سيما ونحن جميعاً نعرف أنه رغم تقدم التكنولوجيا الصيدلية والكيمياء الحيوية ، لم يمكن تحضير لبن صناعي تامّ المطابقة للبن الأم . وأن لبن الأم يحتوي على مواد ومركبات وقائية لم يتعرف عليها إلى الآن ، وأنه أي هذا اللبن ، يتغير تلقائيا حسب سن الطفل ليوائم نموه وحاجته الغذائية وفي هذا إعجاز ما بعده إعجاز .

الظاهرة الثانية :

إن رضاعة الثدي تساعد على انكماش الرحم في فترة النفاس حيث يعود الرحم إلى حجمه الطبيعي قبل الحمل . والانقباضات التي تحدث نتيجة للرضاعة توقف وتقي الأم من أي استعداد أو احتمال للنزف في الجيوب الوريدية التي تفتح بانفصال المشيمة والأغشية الجنينية المختلفة .

وثمة وقاية أخرى تتعلق بالرضاعة الطبيعية ، تظهر من أن رضاعة الثدي تساعد على إراحة الأعضاء التناسلية وتمنع احتقان الرحم ، وقد لوحظ أن ثلاثة أرباع حالات تضخم الرحم راجعة إلى إهمال الوالدات إرضاع أولادهن .

الطب والعلاج في عصر النبوة

قال رسول الله ﷺ :

(١) « **إن الله لم ينزل داء إلا وله دواء** » .

وروي عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال : « لكل داء دواء فإذا أُصيب دواءُ الداءِ برأ بإذن الله » .

يحث الحديثان الشريفان المسلمين على تعلم الطب والاجتهاد في إيجاد العلاج لكل داء . وأغلب الظن والله

أعلم ، أن كلمة « الدواء » التي جاءت في الحديث الشريف تشير أو تعني الدواء المستمد من المصادر الطبيعية التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، سواء كانت هذه المصادر نباتية أو حيوانية . وسيكون لنا عودة إن شاء الله للنباتات الطبية في عصر النبوة كمصدر للدواء والعلاج ، وكذلك عن دور العرب والمسلمين والحضارة الإسلامية عامة في الكشف عن هذه الجواهر العلاجية .

(٢) « من كثر همه سقم بدنه »

يشير الحديث الشريف بوضوح إلى العلاقة المباشرة بين الأمراض النفسية وأمراض الجسد . وقد أثبت الطب الحديث أن القلق والانفعالات النفسية تؤدي إلى أمراض كثيرة ، منها : سوء الهضم والاضطرابات المعدية وزيادة حموضة المعدة التي قد تنتهي بقرحة المعدة ، وكذلك قد تكون سببا في ارتفاع ضغط الدم والإصابة بالذبحة الصدرية وتصلب الشرايين وأخيرا نزف المخ . ومن هنا يلتقي الطب النفسي والباطني بحيث أصبح ضرورة علاج مرضى القلب والأوعية الدموية وقرحة المعدة بأدوية مهدئة تحمي المريض من الانفعالات النفسية أثناء مرضه وحتى يتم علاجه . وهذا يؤكد ما سبق أن أخبرنا به رسول الله ﷺ ونهانا وحذرنا من القلق والهموم ، وحبب الصلاة . والتقرب إلى الله بشتى العبادات المختلفة خير علاج بل وقاية من القلق النفسي وسيطرة الهموم والفزع النفسي .

(٣) المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء والعادة طبع ثان

الحقيقة الراسخة الآن أن المعدة إذا صلحت وقامت بوظيفتها على الوجه الأكمل حيث تتم عملية الهضم ، انعكس ذلك صحة وكفاءة للجسد إذ أن أمراض الكبد (من كسل الوظيفة وتليف وتضخم . . الخ) يأتي دائما نتيجة لمعدة عجزت أو لا تقوم بوظيفتها الهضمية قياما سليما أو كاملا ، أي أن مرضى الكبد (أهم وأكبر غدة بالجسم) يفتقرون دائما وبغير استثناء لمعدة سليمة . وكذلك مرضى القلب والدم . وأهم وقاية تحفظ المعدة هو عدم النهم في الأكل وتنظيم مواعيد ونوعيات الوجبات وهنا إعجاز نبوي آخر في قوله ﷺ « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » .

وهناك تجربة مشهورة على علاقة الحالة النفسية بالأمراض العضوية وبالذات على المعدة ، تتلخص في إرهاب قط إرهابا شديداً بكلب ثائر ثم كشف على معدة القط ووجدت متوقفة تماما عن الإفراز وتصلبت وتوقفت عن الانقباض (أي غير قادرة على الهضم إطلاقا) وكذلك ارتفاع كبير جدا في نسبة الادرنالين في الدم مما نتج عنه ارتفاع ضغط الدم وضيق الشرايين وضعف الجهاز العصبي كله .

(٤) العسل والطب النبوي :

أشار الرسول ﷺ على أحد المرضى بشرب العسل أكثر من مرة وفي أكثر من موضع ، وقد ورد في العسل قوله تعالى ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ . (النحل/ ٦٩) .

وأوجز فيما يلي بعض ما أثبته الطب الحديث عن العسل :ـ

أولا ـ ثبت بالقطع أن للعسل تأثيرا قاتلا ومانعا لنمو البكتريا الموجبة والسالبة الجرام .

فقد أجريت تجارب لدراسة هذا التأثير على أربعة أنواع من الأعسال :ـ

أ ـ عسل نحل مجموع من خلايا تتغذى على الموالح .

ب ـ عسل نحل مجموع من خلايا تتغذى على البرسيم .

جـ ـ عسل نحل مجموع من خلايا تتغذى على نبات الكزبرة .

د ـ عسل نحل مجموع من خلايا تتغذى على نبات القطن .

اتضح من هذه الدراسة أن لهذه الأعسال جميعها تأثيرا قاتلا على البكتريا الموجبة والسالبة الجرام .

وتم مسح كيميائي تحليلي لمكونات العسل باستخدام كروماتوجرافيا الطبقة الرقيقة وكروماتوجرافيا الغاز واتضح أن هذه الأعسال جميعها تحتوي على مركبات فيتولية ومركبات مختزلة ومركبات طيارة موجودة على هيئة مخلوط معقد ، وأنه لا يوجد تشابه واضح بين هذه العناصر وبين عينات نقية من زيوت النباتات التي تتغذى عليها النحلة . وذلك يفيد أن هذه المركبات خص الله بها العسل دون غيره وهو ، أي العسل ينفرد بتكوينها واحتوائها .

ثانيا ـ الغذاء الملكي (RoYal Gel) لملكات النحل .

كثر الحديث وكثرت الأبحاث حول محتويات ما أطلق عليه « الغذاء الملكي » وهذه المادة نصف الشمعية التي تنفرد بالتغذية عليها ملكات النحل المنوط بها إفراز العسل ، وفي إيجاز شديد ، أذكر ما يلي :ـ

في خلال ربع القرن الأخير تمت دراسة التأثيرات البيولوجية للغذاء الملكي ، أهمها : ما قامت به بعض مراكز البحوث في ج.م.ع ، قام الباحثون بحقن الغذاء الملكي في بطن جرذان التجارب (ذكوراً وإناثاً) لمدة طويلة ولوحظ أن لها تأثيرا واضحاً في وزن الأعضاء التناسلية إلى حوالي ثلاثين في المائة بالمقارنة بحيوانات المشاهدة ، أي التي لم يتم حقنها بالغذاء الملكي .

وقام بعض الباحثين بمحاولات معقدة بفصل المادة أو المواد الفعالة في هذا الغذاء وأخيرا تم فصل مادة لها تأثير مماثل لهرمون « الجونادوتروفين » من الخلاصة الأثيرية للغذاء الملكي وتم التعرف عليه بمقارنته بعينات نقية بالطرق الكروماتوجرافية المختلفة .

(٥) التمر في القرآن الكريم والحديث الشريف :

قال تعالى : ﴿ **وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا** ﴾ . (مريم/ ٢٥).

كان العرب يعتمدون اعتمادا كبيرا على التمر والبلح كغذاء فتارة يأكلونه منفردا وتارة يأكلونه معجونا باللبن .

وهكذا كانوا يشكلون منه أشكالا غذائية مختلفة ، وربما كان من وحي الله أن يهتم العرب بالتمر كوجبة غذائية ، وذلك لما تبين أن له قيمة غذائية كبيرة بالنسبة لما يحتويه من مركبات أساسية للجسم وسهولة الهضم ، وينطلق منها كم كبير من الطاقة وأهم هذه المحتويات هي :-

مركبات دهنية	١,٥ ٪
مركبات بروتينية	٢,٢ ٪
مركبات كربوهيدراتية	٣,١ ٪
حديد	١٨٠ مجم/ كجم
نحاس	٣,٢ مجم/كجم.
زنك	٣,٤ مجم/ كجم.
زرنيخ	١٢ مجم/ كجم.
ماء	٢٠ مجم/ كجم.

ومما يلفت النظر أن خطاب القرآن الكريم للسيدة مريم البتول بأن تهز جذع النخلة وتأكل من تمرها المتساقط ، قد جاء وهي في حالة وضع ، ولما كان القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلابد أن يكون للتوقيت والظروف مغزى معين ، وبالفعل قد أثبت البحث العلمي في ربع القرن الأخير وعلى يد علماء بعضهم بل كثير منهم من غير المسلمين أن يحتوي ـ علاوة على مركباته الغذائية على هرمون « الاسترون » . والمعروف أن هذا الهرمون يزيد في انقباض الرحم ولذلك فإنه يعطى للسيدات عن طريق الحقن في العضل قبل الوضع مباشرة ليسهل عملية الوضع وليقلل على السيدة آلام الوضع .

وورد أيضا في البلح والتمر عند النسائي وابن ماجه في سننهما من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ ، « كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان إذا نظر إلى ابن آدم يأكل البلح بالتمر يقول ابن آدم أكل التمر الحديث بالعتيق » وفي رواية « كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان يحزن إذا رآى ابن آدم يأكله » .

والتمر كما ذكرنا يحتوي على نسبة كبيرة من الماء ، وربما هذه الميزة جعلته منحة ربّ الأرض والسماء لسكان الصحراء .

علم الأدوية عند العرب :

كان العرب في أول الأمر لا يعرفون إلا الطب التجريبي ، وهو ماكان باستعمال العقاقير وبعض النباتات والاستفادة من خصائصها في معالجة الأمراض والجراح ، ومن هنا كان اهتمامهم بالعقاقير ، سواء منها ما كان من أصل نباتي أو حيواني أو معدني .

وكان إذا ذكر العقار في إحدى الكتب العربية ، ذكر اسمه وموطنه ووصف وصفا على أعلى درجة من الدقة

المتاحة في هذا الوقت ، ثم يذكر أيضا ميعاد جمعه وطريقة تخزينه أو كما ورد في كتبهم طريقة « ادخاره » بحيث لا يتطرق إلى العقار الفساد سواء من عوامل خارجية أو داخلية كامنة في العقار ذاته .

ومن العجيب أن هذا الوصف بطابق في كثير من الأحيان القواعد والثوابت التي تضعها دساتير الأدوية الحديثة .

فمثلا ورد في وصف جمع أوراق النبات أنها يجب أن تجمع بعد اكتمال حجمها وقبل أن يتغير لونها ، وقبل أن تسقط . . . وهنا يجدر بنا أن نفسر علميا ـ بعد أن أماط العلم الحديث اللثام عن كل ما يدور في الدورة الأيضية في الورقة أثناء مراحل النمو المختلفة : فقد ثبت أن نسبة الجليكوزيدات القلبية في أوراق « ديجتالا لاناتا » لا تصل إلى نهايتها العظمى إلا عند اكتمال نمو الورقة وقبل ظهور البراعم الزهرية ، هذا . وينخفض المحتوى الجليكوزيدي بدرجة ملموسة جدا عند اقتراب ظهور الأزهار وسقوط الأوراق . وثمة مثل آخر جدير بالذكر يدل دلالة قاطعة على قوة الملاحظة والاستنتاج الموضوعي ، والذي لا يمكن أن يكون وليدا للصدفة البحتة وإنما هوولید مشاهدة عالم ، أقول ، إنه ورد في مفردات ابن البيطار أن السيقان والأوراق يفضل أن تجمع في « صفاء الهواء » من أن تجمع في حالة رطوبة الجو وقرب العهد بالمطر ، وبعد مئات السنين تخرج لنا أبحاث من معهد فسيولوجيا النبات بمدينة لوس انجلوس (كالتك) بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، تشرح لنا بتفصيل مذهل سرعة الهواء ودرجة رطوبة الجو بسرعة تحلل المكونات في الأوراق والسيقان ، وكيف أن ارتفاع رطوبة الجو أو زيادة سرعة الرياح تزيد من سرعة تنفس الساق والأوراق مما ينتج عنه مباشرة نقص وزن الساق والأوراق وكذلك المحتوى الكربوهيدراني وكثير من العناصر الفعالة الأخرى .

العلاج بالنباتات الطبية والمصادر الطبيعية :

أشرنا إلى الحديث النبوي الشريف الذي يؤكد أن الله سبحانه وتعالى خلق الداء وخلق الدواء ، فإذا صادف الدواء الداء كان الشفاء بإذن الله ، « داء » التي وردت في الحديث الشريف يقصد بها ـ والله أعلم ـ ماهو طبيعي في خلق الله سبحانه من نبات وحيوان ومعادن . ويؤكد ذلك ويدعمه الجولة الرائعة التي كانت للعرب بعد ظهور الإسلام وفي صدر الإسلام ، أقول كانت للعرب جولة في مجال العلاج بالأعشاب الطبية والكشف عن جواهرها العلاجية ما يعتبر بحقٍّ ثروة علمية هائلة وقيمة مازال العلم الحديث يكشف عن سرها بل مازال هذا التراث مرجعا للآلاف من الرسائل والبحوث العلمية في عصرنا هذا . ولما كان الحديث في هذا المجال ـ ربما يكون حديثا يحتمل التفصيل بما قد يضيق به البحث الحالي فإني أكتفي بنبذة قصيرة وموجزة مع بعض الأمثلة التي نبعت من الطب النبوي ومن علماء العرب والمسلمين وأدع التفصيل العلمي لمناسبة أخرى .

رواد العلماء المسلمين والعرب في مجال النباتات الطبية :

من أشهر وأرسخ علماء العرب في مجال العلاج بالأعشاب الطبية العالم « سنان بن ثابت » ، وعلى بن زيد

الطبري (بغداد) وبهذين العالمين بدأ عهد التأليف المستقل في هذا المجال . وللطبري مؤلفه العالمي الذي أسماه « فردوس الحكمة » ، والذي لا تخلو رسالة من رسالات الماجستير والدكتوراه في القرن العشرين من ذكره كمرجع علمي رجع إليه الباحثون والمؤلفون .

الرازي : توفي سنة ٩٣٢ م ، أحدث هذا العالم ثورة في الطب الأكلنيكي والعلاج بالأعشاب ، ومن تلاميذه علي بن العباس (توفي ٩٩٤ م) وله مؤلفات في الطب تتميز بأنها أوضح ما كتب وأقل إطنابا من كتب جالنيوس .

ابن سينا ، يتميز ابن سينا عن سواه أنه مزج الطب بالفلسفة فكان طبه فلسفة ، وفلسفته طبّا . . وكتاب « القانون » من الكتب العالمية التي لها منزلة عالمية كمنزلة فلسفة « أرسطو » وهندسة « أوقليدس » ، « والماجسطي » في الفلك .

وثمة إشارة واحدة لابد من تسجيلها في هذا المجال ، وهي « اللقاء الغربي العربي » ولا أقول العكس » . . إذ إن الدول الغربية سعت إلى الدول العربية لتتعلم من علمها وطبها لما سمعوا عنها الشيء الكثير . وكان هذا اللقاء في مناسبات ثلاث : الأولى ، في الشرق أثناء الحروب الصليبية ، والثانية ، في صقلية ، والثالثة في الأندلس . وتم هذا الاتصال في عصور مختلفة ، وكان طبيعيا أن تفيد الأمم اللاتينية من الحضارة الإسلامية التي كانت في أوج ضوئها آنذاك .

وأسوق الآن بعض الأمثلة والنماذج من النباتات الطبية التي ورد ذكرها في أحاديث نبوية شريفة ، واهتم بها علماء المسلمين وما زالت حتى الآن مصدرا لمركبات علاجية هامة :

١ ــ الحبة السوداء

ثبت في الصحيحين من حديث ابن سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال : « عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام » والسام الموت .

وقد ورد ذكر الحبة السوداء في كثير من المؤلفات العربية والإسلامية وتحدث عن فوائدها واستعمالها الرازي وابن سينا وابن البيطار ، وقد ورد في مفردات ابن البيطار « أنها أي مسحوقها إذا عجن بالعسل والماء الحار تنزل حصاة الكلى والمثانة وتدر البول والحيض وتشفي من الزكام وضيق التنفس .

وقد ثبت أن الحبة السوداء تحتوي على مركب كيتوني أطلق عليه اسم Nigellone فصله (المرحوم أ.د. زكريا فؤاد أحمد) ١٩٤٩ وأثبت أن له تأثيراً رخوياً على العضلات ويفيد في حالات الربو الشعبي والمغص الكلوي، وهو الآن مستحضر صيدلي على شكل نقط وحبوب تنتجه إحدى شركات الأدوية في مصر .

٢ ــ السواك :

ويسمى أراك ، والنبات صحراوي شجيرة صغيرة يبلغ ارتفاعها حوالي ٢ ـ ٤ أمتار ، ورد في الحديث الشريف

عن السواك أن النبي ﷺ قال فيه : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » ، وفي الصحيحين أنه ﷺ ، كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك ، وفي صحيح البخاري تعليقاً عنه ﷺ « السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب » وأنه ﷺ استاك عند موته .

ويستحب للصائم : ففي السنن عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ مالا أحصى يستاك وهو صائم ، ولعل فيما وصل إليه العلم الحديث ما يشرح ويؤكد كل هذه الحقائق ، فقد ثبت أن السواك (جذر النبات) يحتوي على مادة مانعة لنمو البكتريا ، ومسكنة ومانعة لالتهابات اللثة ، وتحتوي الجذور على معادن هامة لتقوية اللثة ومنع التسوس ، أهمها « السلكا » والصوديوم والبوتاسيوم والفلورين على هيئة كبريتات واكسالات ، وقد تمكن صالح الأزمرلي وسيف النصر بجامعة الملك عبدالعزيز (١٩٨١) من فصل جليكوزيدا Tropaeolong glucoside من الجذور وكذلك مركبات صابونينية وتنين (قابضة للثة ويضيع الالتهابات) المركبات الصابونينية لها تأثير مطهر وماص للرائحة .

٣ ــ الحنة :

وصفها القدماء والعرب أنها مفيدة في الأمراض الجلدية وأن منقوعها ـ بعد تخمرها في الماء مطهر من كثير من الأمراض . وروي ابن ماجه في سننه حديثا أن النبي ﷺ كان إذا صدع غلّف رأسه بالحناء ويقول إنه نافع بإذن الله من الصداع ، وورد أنها ـ أي الحناء ـ إذا مضغت تفيد في قروح الفم . والضماد بها يفيد في الحروق .

وما ورد في الطب الحديث يؤيد كل ما ورد في هذه المراجع :

فقد تم فصل مركبات عديدة من ورق الحناء وصل عددها إلى أكثر من خمسة مركبات تم التعرف عليها جميعا وتم معرفة تركيبها الكيميائي وأهم هذه المركبات هو كبتون اللاوزون . وقد ثبت أن لهذه المركبات تأثير المضادات الحيوية ، ويقي الجلد من الإصابة بالفطر وإذا أخذ من الداخل يقي الأمعاء من كثير من البكتريا الضارة .

٤ ــ عرقسوس :

نبات صحراوي ينتشر في العراق وشبه الجزيرة العربية وتركيا ومصر ، وقد ورد في استعماله الكثير جدا في ابن سينا وابن البيطار والرازي حيث كان يوصف كمنقوع يفيد في الهضم ويمنع تهيج المعدة والأمعاء ، ويخفف آلام المفاصل .

وقد أجريت على جذور هذا النبات أبحاث هائلة في نصف القرن الأخير ، آخرها ما نشر في مؤتمر العلوم الصيدلية الدولي في مدينة مونتريال بكندا حيث نشر عالم تركي أنه تمكن من فصل مركب جديد ستيرويدي التركيب أي شبيه « بالكورتيزون » وله تأثير مباشر على الربو الشعبي (معروف أن هرمون الكورتيزون يوصف لعلاج هذا المرض) ، وتبين للعالم التركي أن المركب الذي فصله من جذور عرقسوس ليس له أي تأثيرات جانبية مما يميزه على

الكرتيزون والمعروف أن له تأثيرات جانبية كثيرة منها الأيديما (تجمع ماء تحت الجلد) وغيرها . هذا ، وتقوم شركات أدوية كثيرة الآن بتصنيع أشكال صيدلية كثيرة مشتقة من عرقسوس وربما أضيف أن بعض هذه المستحضرات يوجد الآن في الصيدليات لعلاج القيء الذي يصحب السيدة الحامل المسمى « بالوحم » وثمة مستحضر آخر لعلاج الآلام المفصلية التي تصحب الروماتيزم .

٥ ــ الحلبة : بذور نبات Trigonella Satira :

ورد ذكرها في ابن البيطار حيث ذكر أنها تفيد عند الرضاعة وتستعمل إما مسحوقة أو على هيئة مغلي وهنا أيضا ينبري العلم الحديث ، ونسمع عن فصل مركب من بذور الحلبة له تأثير مذهل كمدر للبن عند السيدات المرضعات وهو الآن في الصيدليات على هيئة نقط وحبوب . ويعيب هذا المستحضر عيب واحد وهو رائحته ، وهذا العيب ، رغم أنه عيب آمن ، إلا أن كثيرا من السيدات يحجمن عن تناول مستحضرات الحلبة بسبب رائحتها .

وتقوم الآن حملة علمية بحثية كبيرة بالتعاون مع المركز القومي للأبحاث في ج . م . ع وهيئة التغذية الأمريكية F.D.A. لمحاولة فصل وتخليص مستحضرات الحلبة من العنصر المسبب للرائحة الأولية تبشر بالنجاح بعد التعرف على هذا العنصر وهو حمض دهني قصير السلسلة متطاير .

هذا ، وآخر ما توصل إليه البحث العلمي عن الحلبة أن أمكننا فصل مركب فينولي فلافونيدي هو جلوكوز أورنيتين يعمل على إحداث انخفاض جوهري في معدل سكر الدم أعطى لجرذان التجارب عن طريق الحقن في العضل بجرعة معدلها ١٥ مجم لكل كيلوجرام ، واتضح أن هذا الانخفاض يستمر لمدة تتراوح من ساعتين إلى ٦ ساعات ووصل في بعض الحالات إلى ٢٤ ساعة . وتفيد هذه التجارب الأولية أنه ممكن مع استمرار وتطوير البحث ، فصل هذا المركب واستعماله كعلاج فعال آمن في علاج مرض السكر والدراسة الصيدلية والأكلينيكية في هذا المجال في تقدم .

ربما اكتفى بهذه الأمثلة الخمسة وهي جزء يسير من كل كثير عن النباتات الطبية ، ماضيها وحاضرها ثم مستقبلها في العلاج وفضل علماء المسلمين في الكشف عن جواهرها وكيف أنهم أي العلماء كانوا يستعملون أساس بحثهم من هدي نبوي وتوجيه من أحاديثه الشريفة وهو الذي لا ينطق عن الهوى .

الخلاصة والتوصيات

١ ــ نخلص مما ذكر إلى أن العرب توصلوا إلى حقائق طبية علاجية من التراث النبوي مازال العلم الحديث يعترف بها ويطبقها ربما كما وردت في مراجعهم وكتبهم الباهتة الصفراء ، أو بعد إدخال تعديلات وتطويرات يسرتها ومكنتها التكنولوجيا الحديثة التي لم تكن معروفة آنذاك .

٢ ــ تعرف علماء العرب على حصيلة ضخمة من النباتات الطبية ووصفوها وصفا على درجة كبيرة من الدقة وهي جميعا من النباتات البرية التي تنمو في الوطن العربي .

٣ ــ لم يتوقف علماء العرب عند حد الابتكار والكشف ، بل دفعهم شغف العلم والتطلع إلى الكمال إلى ترجمة الكتب والمؤلفات الطبية في جميع بقاع الأرض حتى يكونوا على علم بكل ما توصل إليه الآخرون وهذا هو بعينه العصب الأساسي لأي بحث علمي .

٤ ــ ترك لنا علماء العرب كنوزا علمية تحتاج إلى إماطة اللثام عنها والاستفادة منها بكل ما أوتينا من أساليب حديثة للبحث العلمي .

ويتطلب هذا العمل الضخم معهدا وفريقا متكاملا يكون هدفه ما يلي :

١ ــ مسح شامل للنباتات الطبية التي تنمو في الكويت والعالم العربي والتي يمكن إدخالها وأقلمتها .

٢ ــ توصيف النباتات الطبية وحفظ نماذج منها للرجوع إليها وإنشاء معشبة خاصة لذلك .

٣ ــ دراسة هذه النباتات عقاقيريا ، وأقرباذينياً ومعرفة منافعها واستعمالاتها الشعبية العلاجية ،

٤ ــ جدولة ما يثبت فعاليته وأمنه وتوفره في الوطن العربي ووضع الثوابت العلمية لكل عقار بحيث يكون قاعدة أو نقطة بداية لدستور أدوية للنباتات الطبية العربية .

٥ ــ التعرف على أنسب المناطق لإنتاج النباتات الطبية ودراسة أفضل الطرق والمعاملات الزراعية والفسيولوجية لرفع كفايتها وزيادة إنتاجها وفعاليتها .

٦ ــ دراسة أمراض النباتات الطبية وطرق مقاومة آفاتها .

٧ ــ دراسة تصنيع العقاقير الناتجة منها .

٨ ــ العمل على إيجاد الاتصالات الدائمة مع الهيئات المماثلة في أنحاء العالم الغربي والشرقي .

ويتطلب هذا العمل الضخم أن يتضمن هذا المعهد فريق بحثٍ على أعلى درجة من الخبرة ويمكن أن يشمل الأقسام أو الشعب الآتية :ـ

١ ــ قسم العقاقير ويشمل كيمياء العقاقير وفسيولوجيا النباتات الطبية .

٢ ــ قسم الدراسات الزراعية للنباتات الطبية .

٣ ــ قسم الأقرباذين (علم الأدوية) .

٤ ــ قسم الصيدلة الصناعية وتشمل التكنولوجيا الصيدلية وتطبيقاتها .

٥ ــ قسم تسويق وتداول النباتات الطبية واقتصادياتها .

٦ ــ مكتبة تضم أحدث وأقدم المراجع في النباتات الطبية .

التنفيذ العاجل :

لما كان مشروع إنشاء معهد للنباتات الطبية يحتاج إلى وقت طويل (لا يقل عن خمس سنوات) ولما كانت

الدراسات يمكن أن تسير جنبا إلى جنب مع الإنتاج فإننا نرى البدء في تشكيل لجنة أو مجلس إدارة يضم التخصصات السابق ذكرها وتحديد مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : نباتات طبية متوفرة وثبت بالبحث العلمي فائدتها وسلامتها وهذه يبدأ في تصنيعها .

المرحلة الثانية : نباتات أثبتت التجارب الأولية احتواءها على مركبات علاجية وتحتاج إلى مزيد من الدراسات سواء كانت كيميائية أو صيدلية لتصبح دواء .

٣ ــ نباتات طبية متوفرة لم يسبق أن درست أو عرفت خواصها أو محتوياتها وهذه تحتاج إلى حصر ودراسة شاملة كما سبق من نوع huto- pharmacological Investigation-

وختاما أكرر ما سبق أن قلته في مؤتمر النباتات الطبية الدولي والذي شرفت برئاسته في جنيف سبتمبر ١٩٧٦ ونظمته « منظمة الصحة العالمية » حيث قلت ما نصه :

« لنتقدم في الطب العلاجي إلى الأمام في الاتجاه الخلفي » . . نعم عودة إلى الأعشاب الطبية والمنتجات الطبيعية بشتى صورها ومصادرها ، نباتية أو حيوانية أو معدنية ، وتشمل هذه المصادر الطحالب المائية والفطريات . وبهذه المناسبة أشير إلى ما فصل من بعض الطحالب المائية من العديد من المركبات العلاجية والصيدلية ما جعل العالم يتجه إلى هذه النباتات المائية ، التي كانت يوما تعتبر معوقا للملاحة والسباحة والسياحة في البحار والمحيطات ، فأصبحت اليوم مصدرا لمركبات علاجية وغذائية على أكبر درجة من الأهمية ، وهنا أشير إلى أن هناك مشروعا أمريكيا مصريا أشرف برئاسته لبحث دراسة الطحالب التي تنمو في المياه المصرية (البحر الأبيض ، والأحمر) وإمكان الاستفادة منها كمصدر للغذاء والدواء .

أكرر لنول وجهنا شطر هذه المصادر الطبيعية التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، ففيها الشفاء وفيها علاج ما تعجز عن تحضيره أو تشييده أقوى وأعتى العقول والخبرات من المركبات المشيدة كيميائيا والتي ثبت أن بعضها أو كثيرا منها مسرطن أي مسبب للسرطان ، في حين لم يثبت على أي مركب من أصل طبيعي أنه مسبب لمثل هذه التأثيرات الجانبية .

وبالله التوفيق !!!

المراجع :

١ ــ ابن البيطار « مفردات ابن البيطار ٢ ، ٣ ، ٤ الجزء ١ ، ٤١ ، ٥٨ .
٢ ــ داود الأنطاكي « تذكرة أولى الألباب ، الطبعة الثالثة .
٣ ــ د. عيسى بك « قاموس النباتات » .
٤ ــ د. عبدالعزيز شرف ، « قاموس الأحياء » .

٥ ــ « زاد المعاد في هدي خير العباد »
٦ ــ جلاء العينين للسيد نعمان الألوسي البغدادي .
٧ ــ « الزاد » محمد محمد عمر ، ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢م .
٨ ــ « الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية » للدكتور محمود دياب ـ مكتبة الأنجلو المصرية .
٩ ــ دراسة على مفعول المركب مخفض السكر في نبات الحلبة ، د. محمد أبو الفتوح ـ مجلة العلوم الصيدلية كلية الصيدلة ـ جامعة القاهرة ، ١٩٨٣ .
١٠ ــ « دراسة المحتوى الهرموني للأنواع المختلفة من الغذاء الملكي وفصل المادة الفعالة ودراسة تأثيرها البيولوجي » ، د. محمد أبو الفتوح ، مجلة العلوم الصيدلية ، ألقى البحث في مؤتمر العلوم الصيدلية ـ القاهرة ، فبراير ١٩٨٤ .
١١ ــ « دراسة التأثير القاتل للبكتريا ومسح كيميائي أولي لعسل النحل المجموع من خلايا مختلفة التغذية » ، د. سامية عبدالوهاب ،
١٢ ــ ود. محمد أبو الفتوح ، و د. طارق رجب محمد . ، مجلة العلوم الزراعية التحليلية ـ مشتهر ـ عدد (٢٣) ـ ١٩٨٥ .
« تقييم كمي لقلواني التراجونيلين » . د. سامية عبدالوهاب ، د. محمد أبو الفتوح »، مجلة العلوم الصيدلية ١٩٨٥ .
١٣ ــ « فصل هرمون الأسيترون من ثمار البلح المنزوع في ج.م.ع » ، د. سامية عبدالوهاب ـ د. محمد أبوالفتوح ـ د. طارق رجب محمد » ، مجلة العلوم الصيدلية ١٩٨٥ » .
١٤ ــ « المحتوى الكيميائي لحبوب لقاح نخيل البلح المصري » ، د. جمال مهران ـ د. محمد أبو الفتوح ، « المؤتمر الدولي الأول للعلوم التطبيقية » ـ جامعة الزقازيق ، ج.م.ع. ١٩٨٥

استرداد وتوثيق للوصفة الطبية في الطب النبوي
من خلال مقومات الكمبيوتر المجهزة

للأستاذ سليم مصطفى

الهند

فكرة تجريدية :

تعيد هذه الورقة النظر في الممارسة السائدة لتوثيق الوصف الطبي في الطب النبوي ، وتقدم اقتراحات لتحسين واسترداد ذلك النظام بنشر كل المعلومات عن الطب الإسلامي وقد تأكد بالحاجة إلى نقل المعلومات ووضعها في السطور الواضحة ، وأقترح تأسيس وإيجاد المعطيات المعتمدة وتقديمها واتخاذ الكمبيوتر من أجل نشر وإذاعة وتعميم الطب النبوي ويجسد المقال الخطوط الموجهة لإجراء المعطيات لتصوير وتجسيد القواعد الإسلامية في الطب .

كانت الوقاية قبل الإسلام منتشرة وذلك بطرق وأساليب بدائية وبنقص العلاج المنطق والأسباب وأنها لتعود لسيدنا محمد ﷺ بالتفكير العلمي لتحسين الصحة وإزالة ومنع الأمراض . حيث أكد على استعمال المضادات الحيوية للأمراض وكما أمر أتباعه بالبحث في ذلك المجال وكان سيدنا محمد يتفحص بعض الأدوية ويعمل على إنتاجها بنفسه .

فأخذ أصحابه الأمر بشكل جدي وجيد ، وبعد تجارب عدة وكبيرة حصلوا على أكثر من معادلة للطب وازدهرت تلك المعادلات ازدهارا كبيرا .

إن الصحة العلمية الموجودة في الوصف الطبي لسيدنا محمد أثبتت مدى فكره واهتمامه في إنقاذ البشرية وبالإضافة إلى ذلك التعلق الكبير في حب الاستطلاع والمعرفة والبحث في الإنسان ومشاكله الصحية .

كان النظام الطبي عند سيدنا محمد مقنعا ومؤثرا وكان الوصف الطبي الموجود في زمانه بدون تأثر أي جانب من الدين حيث كان الشعور بالقلق غير موجود مع عدم وجود أي ضرر على الناس حيث إن الوصفات الطبية تقي الجسم من الأمراض بل تبني المقاومة وأن نجاح ذلك النظام أثبت من قبل كتاب ومؤلفين دقيقين وصادقين .

إنه لمن دواعي السرور أن معظم العلماء المسلمين نموا تلك الأفكار ونشروها في جميع أنحاء العالم وذلك لنشر

وتعميم الطب النبوي وإظهار حسناته وإنشاء القواعد العلمية المثبتة حيث إن بقاء هذا النجاح وإكماله يعتمد على العلماء المسلمين فيجب عليهم أن يبقوا على هذا الطريق لكي يثبتوا هذا النجاح وأن تلك الجهود تتركز فيما يلي : -

١ ــ شرح سطحي للأدب الموجود في الطب النبوي والقرآن الكريم .
٢ ــ ترجمة الوصف الطبي الموجود في القرآن والطب النبوي .
٣ ــ تشكيل معادلات بتركيب مقومات الوصف الطبي في الطب النبوي والقرآن .
٤ ــ التحليل الكيميائي لمقومات الأدوية على أعلى نمط من التكنولوجيا .
٥ ــ اختبار المعادلات وذلك تخصص الإنسان والحيوان .
٦ ــ تشغيل الكمبيوتر في نتائج الطب الإسلامي .
٧ ــ تشكيل المكونات ومعادلاتها وتبادل المعلومات من خلال اللقاءات .

إن تطوير أي نظام وذلك بجعل الترغيب فيه على أتم وجه بتبادل المعلومات للوصفات الطبية في الطب الإسلامي .

يستدعى الحصول على المعطيات والاهتمام الكبير في بحثه . وأن نقوم بتجميع وتصنيف مقدار هائل وإعادته واسترداده وطباعته بشكل جيد بمساعدة الكمبيوتر والبرمجة .

المعطيات والبينات تستمد من السنة الشريفة

يجب أن نقوم بوضع المصطلحات الفنية وندون المقومات الطبية في سبيل وضع معلومات حقيقية بين المعطيات في الشاشة بحيث أن يجمع وننشر المعلومات بحيث أن كل معلومة تؤمن مساعدة لإخراج بينة ووصف جيد .

ولقد اتفق بالإجماع على ما يلي :

١ ــ التحليل التكنولوجي لمقومات الطب .
٢ ــ تحليل وإثبات التحليل الطبي للتأكد من المعلومات المقررة من خلال الفحوصات المساعدة حيث تسند في بند المعطيات ويجب أن تكون واضحة ودقيقية قبل تعبئتها في الكمبيوتر وذلك لتحقيق الأهداف المرسومة والمقصودة بشكل جيد وصحيح .

وهناك ثلاث طرق عملية تصلنا لاكتساب المعطيات :

١ ــ توليد وخلق المعطيات وخاصة بهدف تحليل المقومات في الطب الإسلامي .

٢ ــ استرجاع واسترداد المعلومات من الأدب الأصيل والصحيح .

٣ ــ الحصول على المعطيات من المختبرات وهذا يمكن ان يكون خارج الشاشة ولكن تتضمن التحليل من أجل الهدف الخاص في الطريقة الأولى عمل مباشر يتضمن اختبارات كيميائية في المختبرات والاهتمام بالمسؤولية خاصة لتأمين

جهود مركزة وتوحيد استعمال التكنولوجيا وتسجيل ملائم في أحجام العينات ومعطيات مناسبة لعمل الإحصائيات .

ستكون الطريقة الثانية :

في أحسن تطور مثل المعلومات الحقيقية بالمقابل مع الوصفة الطبية وستكون أكثر توسعا ، وبتوسع التصنيف تكون الهيمنة سهلة المنال لنشر الطب النبوي .

تستعمل الجهود العالية على إمكانية التحضير والتحرير ومن ثم الوقوف على الوصفة الطبية من قبل الجميع .

إن دستور الصيدلة والتوثيق العلمي المقنع الذي يعزز أهمية الطب النبوي بالإضافة إلى الصمت اللادري للناقدين الاستبداديين لذلك النظام . يجعل المهنة ذات طموح وتكون في مجال واسع لضمان البقاء وبشكل عظيم في الأدب .

وسيشمل التصنيف ومنطق الصيدلة كل ما هناك من مقومات في الطب النبوي حيث يكون مشابها لنفس التقارير .

إن اللغة والمصطلحات التكنولوجية مألوفة لدى العلماء المسلمين للبحث في الصحافة وإرسال التقارير وهذا يلعب دوراً كبيراً في العمل الموثق وإن الاهتمام بالكمبيوتر هو الدخل النهائي للحصول على مساعدة هائلة .

أما الطريقة الثالثة فستكون ذات فائدة عظمى حيث ستنقذ البشرية لا يوجد أي عائق واضح للحصول على المقومات المطلوبة من المعاهد والمختبرات التي تعمل من أجل أهداف مختلفة ، حاصلة على إنجازات في البحث والمشاريع والتعليم وغيرها وسيكون هؤلاء الوكلاء على أتم استعداد للحصول على المعلومات ونشرها قدر الإمكان بعد تقييم النتائج . وهذا يوفر لنا الوقت والمادة ويجب التحقق من الأشخاص المعنيين فيها عند أخذ المعلومات منهم .

وكما ذكر سابقا فنحن بحاجة إلى كمبيوتر لتخطيط المعطيات المقترحة في الطب النبوي .

يجب أن نكون حريصين في اختيار نوعية الكمبيوتر حيث إن معظم أجهزة الكمبيوتر تلعب نفس الدور وتقدم نفس الطريق وذلك بشراء الكمبيوتر الذي هو أقل سعرا من غيره .

ويجب أن يكون الكمبيوتر مثالياً لو وضعت المعلومات للتدقيق ويكون قادراً على التعايش مع المقياس الحالي حيث لا نتقيد به في المستقبل حيث وإن الكمبيوتر البسيط يكون أفضل من المعقد وذلك بتميزه بالصفات التالية :

١ ــ قليل التكاليف .
٢ ــ اقتصادي وطويل البقاء .
٣ ــ سهل الاستعمال حيث يمكن استعماله من قبل شخص بدون خبرة عالية .
٤ ــ لغته مفهومة وإعطاء النتائج ببساطة .

إن قدرته على التخزين كبيرة ومتعددة الاستعمالات والحقيقة أن الكمبيوتر البسيط في الأيام الحاضرة غير معد لطاقة تخزين عالية حيث إن طاقاته محدودة .

إن المؤلف على إيمان واسع أنه إذا تم وضع المقاييس والمعايير المقترحة سيكون للطب النبوي اهتمام كبير والإنسان يجد حلولاً للمشاكل الصحية تهز المجتمعات المتحضرة .